المركز الدولي للعلوم الاجتماعية
INTERNATIONAL CENTER FOR SOCIAL SCIENCES
ICSS MOROCCO

جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

مركز ابن خلدون لدراسات الهجرة والمواطنة
IBN KHALDOUN CENTER FOR STUDIES OF MIGRATION AND CITIZENSHIP
ICSMC AUI EEC MOROCCO

جامعة الأخوين
AL AKHAWAYN UNIVERSITY

أساسيات في الجغرافيا البشرية

الجزء الثاني

دينامية الحواضر والأرياف



إشراف وتنسيق:

محمد أيت حمزة، موسى كرزازي

عبد الكريم مرزوق ، عبد الرحيم العطري

إصدارات: مركز ابن خلدون لدراسات الهجرة والمواطنة، جامعة الأخوين، إفران

الكتاب رقم: 37

أساسيات في الجغرافية البشرية

الجزء الثاني

دينامـية الحــواضر والأريـاف

إشراف وتنســيق

محمد أيت حمزة، موسى كرزازي

عبد الكريم مرزوق وعبد الرحيم العطري

إصدارات مركز ابن خلدون لدراسات الهجرة والمواطنة

الكتاب رقم : 37

عنوان الكتاب	:	أساسيات في الجغرافيا البشرية: دينامية الحواضر والأرياف - الجزء الثاني
المؤلفون	:	كتاب جماعي
إشراف وتنسيق	:	ايت حمزة محمد؛ كرزازي موسى؛ مرزوق عبد الكريم ؛ العطري عبد الرحيم
إصدارات	:	مركز ابن خلدون لدراسات الهجرة والمواطنة، جامعة الأخوين، إفران
الكتاب رقم	:	37
الناشر	:	مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس
المطبعة	:	مطبعة وراقة بلال، فاس
تاريخ النشر	:	2025
الإيداع القانوني	:	2258MO**2025**
ردمك	:	-978-9920-495-20-2

الفهرس

أولا : توطئة

- **سياق إصدار الكتاب**

نَشرُ مؤلف تربوي جامعي حول أساسيات الجغرافيا البشرية فكرة قديمة / جديدة، خطرت ببال عدد من الجغرافيين المغاربة منذ أزيد من أربعة عقود. لكن، ورغم الإرادة والنية الحسنة للزميلات والزملاء الذين تعاقبوا على التعليم الجامعي بمختلف الجامعات المغربية، وبمختلف رتبهم الجامعية والأكاديمية، ومسؤولياتهم التربوية، فقد تعذر تحقيق هذا المشروع، حيث ظلت الساحة خالية من المؤلفات الوطنية، باللغة العربية، رغم أهميتها؛ وبناء عليه، ظل الجميع يعاني من هذا الفراغ خصوصا على مستوى فروع الجغرافيا البشرية.

مرت سنوات، وتمت لقاءات ونقاشات عديدة، إلى أن نضجت فكرة وفلسفة تهيئ الكتاب الجامعي حول الجغرافية البشرية، على هامش اللقاءات العلمية السنوية التي تنظمها جامعة الأخوين. حيث تقرر إصدار الكتاب من طرف ثلة من الباحثين، على شكل مؤلف جماعي يعالج إشكاليات وقضايا تندرج في العلوم الاجتماعية، وفي مقدمتها الجغرافيا.

وقد كان للترحيب الذي أبداه السيد عميد كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة الأخوين، الأستاذ مرزوق عبد الكريم، مشكورا، وللتشجيع والتحفيز المصاحبين، دور فعال في الانتقال من مجرد الفكرة إلى الإنجاز، وخاصة، بعد اقتراحه احتضان جامعة الأخوين للمشروع والسهر على تنفيذه.

تركزت الفكرة، منذ البداية، على مشروع طموح يرنو إلى إصدار سلسلة من الكتب ذات الطابع الأكاديمي، تُوجه أساسا إلى طلبة الجامعة المغربية في مادة الجغرافية البشرية، باللغة العربية، في مرحلة أولى، كمساهمة في تجويد التعليم العالي والبحث العلمي، نظرا للحاجة الملحة لسد الثغرات التي يشكو منها تكوين الطلبة، وللخصاص الذي يعاني منه نشر مثل هذه الكتب على المستوى الوطني. تكونت لجينة مصغرة، فقررت إصدار الكتاب المذكور، كما قررت ولذات الغاية، تكوين فريق من المؤلفين من صلب التخصص، للشروع في التأليف حول "أساسيات الجغرافية البشرية".

تقوم فلسفة هذا المؤلف على مراعاة التدرج في التكوين بسنوات للإجازة، بدأ بتقديم المفاهيم والمصطلحات الأساسية، إلى تعميق تحليل الظواهر البشرية والاقتصادية، وقضايا البيئية، وصولا إلى الاستنتاج والتوليف الذي يُفترض أن تقوم عليه عمليات الاعداد والمنهجية البحثية المرافقة. وتوخى المبادرون أن يفيد محتوى الكتاب ومنهجيته مختلف الباحثين على مستوى الإجازة والماستر والدكتوراه، بل وكل مهتم بمواضيع الجغرافية البشرية والعلوم الاجتماعية والانسانية المجاورة.

- **مراحل تحضير فصول الكتاب**

بعد لقاءات متعددة، توافق أعضاء اللجنة على ضبط الهدف من نشر مؤلف يواكب في الشكل والمضمون، مواصفات المؤلفات الدولية المتعارف عليها في الجامعات المتقدمة، قدر المستطاع. فسعوا إلى أن يعالج المؤلف الإشكاليات والظواهر والقضايا والمواضيع بشكل شامل، حتى يتمكن من إعطاء الطالب والباحث أفقا واسعا ومتنوعا يمكنه من استيعاب الاختلافات ووضع المقارنات الضرورية لضمان الانفتاح الثقافي والحضاري، مع اختيار النماذج الممثلة لواقع المغرب والبلدان المجاورة له على الصعيدين الإفريقي والمتوسطي، قصد إدراك أبعاد تطور الظواهر الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية في بُعديها المجالي والتاريخي. فانصب هم المؤلفين على تبسيط وتقديم فصول الكتاب للقارئ بشكل يُسهل استيعابها ومناقشة مكوناتها عبر وسائل توضيحية ودعامات تشمل الخرائط والصور والخطاطات والنصوص الداعمة، مع التركيز على تقديم التعاريف والمصطلحات والمفاهيم المفتاحية، والخاصة بفروع الجغرافية البشرية.

يسعى الكتاب، إلى تعميق تكوين الطالب، وبتدرج، في التخصص الجغرافي والعلوم المجاورة له، انطلاقا من بيئة موطنه، المغرب وإقليمه المتوسطي، فالإفريقي، مع إعطاء اهمية خاصة للقضايا الكبرى المطروحة على الصعيد العالمي، وتدريبه على كيفية استعمال أدوات البحث والمواد المكملة، مثل الإحصاء، ونظم المعلومات الجغرافية (SIG)، والصور الجوية والفلكية.

- **منهجية تأليف الكتاب**

بعد اختمار الفكرة، تكون فريق متخصص من الباحثين في فروع الجغرافية البشرية، ارتباطا بالإشكاليات الكبرى والقضايا المطروحة وطنيا وجهويا ودوليا، قصد تحيين المعطيات

المتوفرة، والانفتاح على مواد جديدة، غير مدرجة من ذي قبل في البرامج. وقد أُعطيت الأولوية للزملاء الجامعيين الممارسين والمتحمسين للعمل الجماعي. فتم، وعلى هذا الأساس، وضع لائحة لأعضاء الفريق وتكوين مجموعات صغيرة، تشتغل كل منها كخلية على فصل أو فصلين. ووُزعت عناوين الفصول وفق تخصصات المؤلفين الذين استجابوا لفكرة التأليف الجماعي سلفا، كما هو موضح في الجدول (ملحق) المتضمن لعناوين الفصول وأعضاء الفرق الساهرة على تأليفها ومنسقيها.

شرع المشرفون على إنجاز المشروع في تنفيذ الخطة، بدأ بالتشاور مع الممارسين في الميدان (بعض رؤساء الشعب ومديري المخابر العلمية بالمؤسسات الجامعية) من جهة، وبعض المسئولين الرسميين من جهة ثانية، قصد الاطلاع على الجديد في المقررات المعتمدة، وما يُهيأ في ظل الاصلاحات المرتقبة بالجامعة المغربية؛ علما أن الكتاب لا يصبو أن يكون مقررا "تربويا - مدرسيا" مرتبطا بمستوى جامعي معين، بل هو مُؤلف عام في تخصص الجغرافية البشرية، قد يفيد طلبة الإجازة والماستر، والباحثين بمدارس الدكتوراه في مجال العلوم الاجتماعية.

بعد توصل اللجنة باستمارة المشاركة، وتوصل المؤلفين بالمحاور الرئيسية المقترحة، وبأرضية ومنهجية كل فصول الكتاب، والتنسيق فيما بينها، شُرع في العمل التأليفي.

أنجز الزملاء والزميلات فرادى أو فرق صغيرة خطاطات أولى للفصول، تتضمن: (عنوان، هيكلة الفصل، كلمات مفتاح، ولائحة عامة للمراجع، بالإضافة إلى خطة تُنظم تقسيم العمل بين الأعضاء، ورزمانة إنجازه، واسم المنسق المختار)، مما سمح بهيكلة فصول المؤلف وتوزيع العمل بين أعضاء فرق التأليف. وبعد توصل اللجنة المشرفة على التتبع بالمنتوج العلمي، عملت على توزيعه بين أعضاء لجنة القراءة والمراجعة قصد إبداء الرأي. على أن يتم، بعد ذلك، قبول المخرجات أو إعادتها إلى منسقي الفرق قصد التعديل أو التصحيح.

ويسعدنا أن نقدم للباحثين في الجغرافية البشرية وفي العلوم الاجتماعية المجاورة لها، وإلى كافة المهتمين من القراء الكرام، المؤلف الجديد، تحت عنوان "**أساسيات في الجغرافية البشرية**". وهو عبارة عن عصارة عمل تربوي جماعي، ساهمت في إنجاز فصوله نخبة من المؤلفين مكونة من 21 أستاذا باحثا بالجامعات المغربية في تخصص الجغرافيا بصفة عامة، والجغرافيا البشرية بفروعها المتعددة والمتنوعة، بصفة خاصة.

وبعد أن توصلت لجنة الإشراف بالفصول المتفق على إنجازها، وتوضحت لديها صورة مضمون وحجم المؤلف، قرر نشر الكتاب بأكمله في ثلاثة أجزاء بالنظر لأهمية العمل الذي أنجز والمجهود الذي بُذل من قبل المؤلفين. يتكون المؤلف بكامله من 14 فصلا، موزعة بين ثلاثة أجزاء تستعرض أهم فروع الجغرافية البشرية، بدأ بنشأتها وتطور مدراسها وأدواتها، مرورا بإشكالات التوزيع الجغرافي للسكان وحركاتهم وبنية أنشطتهم وإشكاليات والنقل والسكن وما يترتب عنها من التباينات على مستوى الصحة والتعليم، ومن ديناميات مجالية ومستلزمات متعددة الابعاد على مستوى الإعداد وحماية البيئة، في عالم تتحكم فيه، أكثر فأكثر، قضايا ذات أبعاد جيوسياسية وجيواستراتيجية عالمية متشابكة. وهي أمور يُفترض من الطالب، بل ومن كل مواطن الالمام بها. وتتوزع الفصول بين الأجزاء الثلاثة كالاتي:

- الجزء الأول: الاتجاهات والمدارس والسكان؛
- الجزء الثاني: ديناميات الحواضر والارياف؛
- الجزء الثالث: التراب والبيئة والعولمة.

ويتصدر كل فصل محور أساسي، مخصص قصدا، للتعاريف والمفاهيم الأساسية المرتبطة به، ومحاور أخرى حول مقومات الظاهرة التي يتناولها، بارتباط مع العناصر البارزة في المحيط الوطني والجهوي والعالمي. وينتهي بخلاصة عامة تفتح آفاقا جديدة للبحث والدراسة.

ولتعميم الفائدة، أرفق كل فصل بلائحة تضم أهم المراجع والمصادر القاعدية المعتمدة في تأليفه. وكلمات مفتاح عبارة عن قاموس أولي للمفاهيم الرئيسية والمصطلحات التي تضمنها وما يقابلها بلغة أجنبية، قصد تيسير عملية التواصل وتوحيد المعجم.

وللتذكير، الكتاب ليس مؤلفا أكاديميا يدقق ويفصل في تحليل الظواهر، أو يقدم نتائج بحوث ودراسات مخبرية؛ بل هو مؤلف بيداغوجي موجه لطلبة أقسام الجغرافيا وللباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية المجاورة، حيث يرنو بالأساس إلى التعريف ببعض المفاهيم الأساسية المستعملة في فروع الجغرافيا البشرية ومواضيعها العامة، وفهم بعض الظواهر الجغرافية بمقياس عالمي، مع تقديم أمثلة ميسرة لتقريب الفهم، مستوحاة من المحيط القريب والبعيد من بلدان العالم. الهدف من ذلك هو توسيع آفاق ومدارك الطالب والباحث ودعم تفتحه على عوالم أخرى، حتى لا يبقى منغلقا في إطار وطنه الضيق. وبناء عليه، فقد

تم تقديم محتويات المؤلف في صيغة محينة، مبسطة، وبشكل مركز، وفي قالب تربوي وعلمي يواكب التحولات العالمية الكبرى.

وتبسيطا لقراءة الكتاب، رُعيت في إدراج محتوياته، إمكانية قراءة كل فصل، بل كل مبحث بمفرده، أو قراءة المؤلف كوحدة متكاملة، دون أن يفقده ذلك وحدة الموضوع. وتطمح اللجنة أن يصدر الكتاب بأجزائه الثلاثة قبل متم السنة الحالية (2025)، بحول الله وتوفيقه.

ثانيا: تقديم الجزء الثاني من الكتاب

يتضمن **الجزء الثاني من الكتاب**، المعنون ب"**دينامية الحواضر والأرياف**" أربعة فصول كبرى، تشكل القسم الثاني من "**أساسيات في الجغرافيا البشرية**"؛ حيث عالج المؤلفون المشاهد الريفية ومقوماتها، معرجين على التحولات العميقة التي شهدتها خلال العقود الأخيرة، والتي دفعت بعض الباحثين الجغرافيين إلى التحدث عن ظاهرة "تمدن الأرياف"، إذ لم تعد تقتصر على الوظائف الرعي- زراعية التقليدية التي كانت تسود خارج أسوار المدن، بل احتوت أنشطة صناعية وتجارية وإدارية وثقافية. وأصبحت الأرياف تأوي ساكنة لا تشتغل بالضرورة في القطاع الفلاحي، وبها تجهيزات غير موجهة بالأساس إلى الريفيين.

بشكل موازي لهذه الدينامية، عالج فريق ثاني من الباحثين دينامية الحواضر والضواحي والأحواز والهوامش الشبه حضرية، في إطار "**جغرافية المدن**". حيث اجتاحت ظاهرة التمدين العالم المتقدم، وتوسعت المدن لتشكل متروبولات، بها وظائف قيادية سياسية واقتصادية وثقافية، مما منحها إشعاعا دوليا. ونمت، بموازاة ذلك، ظاهرة التحضر "الديمغرافي" في البلدان النامية الناقصة التجهيز، الذي انعكس على السكن والخدمات الاجتماعية.

وعالج فريق ثالث من المؤلفين الأنشطة الاقتصادية في إطار فرع "**الجغرافية الاقتصادية**" عبر مباحث تهم النقل والصناعة ومصادر الطاقة واستغلال المواد الأولية، وانعكاساتها على الخدمات الاجتماعية والثقافية (صحة وتعليم، وتكوين..) والاقتصادية (تجارة وسياحة وأبناك) ومستوى الطفرات التي عرفتها بعد انتشار وسائل الاتصال والتواصل والاعتماد على المعلوميات والذكاء الاصطناعي.

ونحن إذ نقدم الجزء الثاني من الكتاب، لا يسعنا إلا أن نشكر كل الزميلات والزملاء الذين لبوا دعوة اللجنة المشرفة على تتبع مختلف مراحل انجازالكتاب ، منوهين بمشاركتهم الفعالة، بحماس واقتناع، وبغيرتهم على جودة المنتوج المغربي الأصيل. كما نشكر جامعة الأخوين التي احتضنت المشروع بمعية جامعة محمد الخامس، وإلى الأستاذ العميد، عبد الكريم مرزوق، الذي ساهم، رغم مسؤولياته الإدارية والتربوية في التأليف، وفي التتبع بكل عناية. والشكر موصول أيضا إلى مجمل الأساتذة أعضاء لجن القراءة والمراجعة والإخراج، وفي مقدمتهم الأستاذين عبد الرحيم العطري وقاسم النعايمي.

لجنة المتابعة والإشراف

الأستاذ عبد الكريم مرزوق (عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الأخوين)؛

الأستاذ موسى كرزازي (أستاذ فخري بجامعة محمد الخامس)؛

الأستاذ محمد أيت حمزة (أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس)؛

الأستاذ عبد الرحيم العطري (أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس).

الفصـل السابع

جغرافيـة الأريـاف

تأليف: عبد النور صديق[1]، بوعوينات أسماء[2]،

مقدمـة

تشـكل جغرافية الأرياف فرعا من الفروع الكبرى للجغرافية البشـرية، حيث هيمن هذا التخصـص العلمي على الجغرافيا منذ القرن التاسـع عشـر حتى عقد السـتينيات من القرن الماضـي، ليتراجع بعد ذلك حضـوره على صـعيد البحث الجغرافي بسـبب التحولات العالمية ومنافسـة تخصـصـات أخرى كجغرافية المدن والجغرافية الاجتماعية المواكبة لها، غير أن هذا التخصـص جَدد بعد ذلك مواضـيعه، ومناهجه، وأدواته، ووظائفه مما جعله يحتل مكانة أساسية إلى جانب التخصصات الرئيسية التي تنبني عليها الجغرافيا.

تدرس جغرافية الأرياف المجال الريفي بمفهومه الواسع كميدان لعمل الانسان، باعتباره منتجا وموزعا ومسـتهلكا، في تشـارك مع تخصـصـات قريبة، مما يفرض دراسـة المجال بما يحمله من موارد فعلية وكامنة، بمختلف مسـتوياتها، كما يدرس ثقافة ودراية ومعرفة الانسـان في تعامله مع مجاله المعاشـي، وكذا نوع العلاقة القائمة بين الموارد والإنسـان، وبذلك اهتم بدراسـة البنيات الاقتصادية وأساليب الاستغلال والتقنيات المستعملة وأنواع تنظيم المجال، والتحولات التي تطرأ على هذه البنيات وانعكاساتها على المشهد الريفي.

من أجل مواكبة المسـتجدات التي عرفتها الأرياف العالمية، تهتم جغرافية الأرياف، كتخصـص علمي، أيضـا بالهجرة القروية العكسـية، وتمدين البوادي، والعلاقات الريفية الحضـرية، والأنشـطة غير الفلاحية، والتحولات الحديثة التي تشـهدها المجالات الريفية. ومع

[1] أستاذ محاضر مؤهل؛ المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس-الرباط

[2] أستاذة التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء

تزايد الاهتمام بإشكالية البيئية وتدهور الموارد الطبيعية، أدمجت أيضا، مسألة المحافظة على التراث والثقافة ضمن اهتماماتها.

بناء عليه، فإن جغرافية الأرياف لم تنشأ كحقل معرفي شامل ومتكامل منذ الوهلة الأولى، بل تشكلت عبر فترات متعاقبة ومتتابعة كالآتي: السكن القروي، المشاهد الزراعية، البنيات الزراعية، أنواع وأصناف الفلاحة، أساليب الإنتاج، العلاقات بين الأرياف والمدن، وأخيرا تراجع المسألة الفلاحية وظهور أنشطة غير الفلاحية كالصناعة، والتجارة، والسياحة، والخدمات؛ وقد دامت حقبة ميلاد هذا التخصص العلمي من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن الحالي، وهي حقبة زمنية طويلة، تخللتها تحولات عميقة للأرياف، كان من نتائجها تراجع الانشطة الفلاحية بشقيها، الزراعة وتربية الماشية، كوظيفة أساسية، ليُفسح المجال لوظائف متعدد ومتداخلة فوق نفس الرقعة الجغرافية.

وبناء على ما ذكر فسنحاول من خلال هذا الفصل، أن نقدم بشكل موجز عناصر ومكونات هذا التخصص العلمي المندرج ضمن الجغرافية البشرية، حيث سنتطرق إلى تعريف المجال الريفي والمفاهيم الأساسية المرتبطة بجغرافية الأرياف، وإلى العناصر المكونة له والعلاقات التي تربط بينها، مع تتبع مظاهر التحولات التي تشهدها المجالات الريفية وإشكالية التنمية والتهيئة بها، استنادا إلى أمثلة من المغرب ومن خارجه. وسنذيل هذا الفصل بقائمة للمصطلحات والمفاهيم المرتبطة بهذا الحقل المعرفي، وبيبليوغرافيا مساعدة لتعميق الاطلاع على مختلف مضامين هذا التخصص العلمي.

1. المفاهيم المرتبطة بالجغرافية الريفية

1.1 المجال الريفي: المفهوم والخصائص

يكتنف هذا المفهوم كثير من الغموض بالنظر إلى التحولات المجالية والاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها خصوصا داخل البلدان المتقدمة، حيث بدأ فعلا تلاشي التعارض الكلاسيكي بين المدينة والريف. فإذا كان التعريف الكلاسيكي للمجال الريفي يطلق على مجموع الأراضي المستغلة في الزراعة والمتميزة بضعف الكثافة السكانية وضعف المنشآت العمومية كالبنيات التحتية والتجهيزات الاجتماعية والسكن، وسيادة المشهد الجغرافي الزراعي، فإن هذه الخصائص لم تعد تميز كل المجالات الريفية، في وقتنا الحاضر، بسبب التحولات المهمة التي شهدتها الأرياف العالمية، مما أدى إلى طمس معالم التعارض الذي كان

قائما بينها وبين المدن، حيث ظهرت أنشـطة غير فلاحية بكل المجالات الريفية، من بنيات تجارية ومنشآت صناعية وسياحية، وتجهيزات إدارية واجتماعية وبنيات تحتية، كما تغيرت معالم السكن الذي أصبح في معظمه يشبه السكن الحضري بل شهدت بعض الأرياف ظهور تجمعات سكانية ضخمة، وسط أو بجوار الحقول الزراعية.

2.1 معايير التمييز بين المجالين الحضري والريفي والضواحي والأحواز

أصبح من الصعب وضع تعريف شامل وموحد لجغرافية الأرياف كتخصص علمي، بالنظر إلى تعدد اهتمامات هذا التخصص، خصوصا بعد الانفتاح التدريجي للأرياف على العالم الخارجي واتصالها بالمدن وأسواق الاستهلاك، لتشمل الأنشطة الفلاحية للسكان وأحوالهم، إضافة إلى السكن (القرى) وظهور بعض الأنشطة غير الفلاحية وتضاؤل دور الأنشطة الفلاحية كمورد اقتصادي للسكان؛ وتأتي صعوبة التعريف، أيضا، من التداخل بين المجالات الريفية والحضرية، بحيث يتعذر وضع حدود تميز بين المجالين خاصة ببلدان الشمال، ونفس الإشكالية تشهدها أيضا أرياف البلدان النامية بدرجة أقل. وهكذا، تصطدم محاولات تحديد تعريف دقيق للمجال الريفي بالعديد من الصعوبات المنهجية والمعرفية، خاصة في ظل اختلاف الجغرافيين حول المعايير الدقيقة والموحدة للتمييز بين المجالين الحضري والريفي. فمنهم من اعتمد المعايير الديمغرافية ومنهم من انحاز إلى المؤشرات الطبيعة أو الأنشطة الاقتصادية أو المعيار الإداري، ومن حاول الجمع بينها.

فعن مفهوم الريف (Rural)، تحيلنا المعاجم، على شروحات، في أغلب الأحيان، لها علاقة بمفاهيم المدينة والتمدين، حيث يفهم من خلالها، في النهاية، أن الأرياف نقيض المدن أو خارج المجال الحضري دون تحديد المعايير الدقيقة للإحاطة بمحتوى كل منهما، ويعبر هذا الغموض عن عدم وجود تعريف قطعي دقيق ومحط إجماع عالمي لما يسمى بالمجال الريفي. حيث تتعدد التعاريف وتختلف من دولة إلى أخرى ومن باحث إلى آخر وعبر الأزمنة، تبعا لنوعية العلاقات القائمة بين المجال الحضري والريفي.

ويفهم، إجمالا، من المجال الريفي، أنه "تلك المجالات قليلة التعمير وذات كثافة سكانية ضعيفة، حيث يغلب النشاط الزراعي وتقل التجهيزات الأساسية المختلفة". غير أن ما يجب التركيز عليه هو أن المجال الريفي ليس مرادفا للمجال الفلاحي أي الأراضي القابلة لممارسة الأنشطة الرعي - الزراعية، بل يشمل كذلك الغابات والمساحات غير المزروعة، كما يتضمن

مســاحات خاصــة لوظائف أخرى كالحرف والصــناعة والتعدين والمحميات الطبيعية والمجالات السياحية، إلخ.

المؤطر رقم 1: تعريف مفهوم المجال الريفي

المجال الريفي هو مجال يتميز بنمط خاص من الحياة الاجتماعية وأسلوب لاستعمال الأرض. حيث يهيمن فيه النشاط الاقتصادي المعتمد على الزراعة واستغلال الغطاء الغابوي، وتقل كثافة سكانه، ويعكس سكنه الظروف الطبيعية.
Kayser Bernard (1990, p13)

يختلف تعريف المجال الريفي حسب المعايير الإدارية والإحصائية من بلد لآخر، بحيث لا يتم تحديد المجال الريفي بصفة مباشرة في التعاريف الإدارية والإحصائية، بل يتم استنتاجه بصفة غير مباشرة كمجال متبقي، أو سكن متبقي، بعد تحديد المجال الحضري والساكنة الحضــرية. ففي فرنســا مثلا، يركز التعريف الرســمي للمجال الريفي على معيار ديمغرافي عددي، حيث تحســب ريفية كل جماعة يقل عدد ســكانها عن 2000 نســمة. وفي اليابان، يعتبر مجالا قرويا كل مجال يقل عدد ســكانه عن 80000 نســمة، بينما نحتســب أقل من 10000 نســمة في اســبانيا، و5000 نســمة ببلجيكا، و2500 في المكســيك، وأقل من 1000 نسمة في كندا، وأقل من 250 نسمة الدانمارك. (Daniel NOIN, 1994, 33)

يتضــح مما ســبق أهمية تباين الأرقام بين الدول، الشــيء الذي يؤكد أن التقســيم بين الأرياف والمدن هو قبل كل شيء اعتباري، أي أن كل دولة تقسم بين أريافها وحواضرها وفق اعتباراتها الخاصــة. ومن تم فإن المعيار العددي والإداري يظل غير كاف للتمييز بين الأرياف والمدن، بل لا بد من اســتحضــار مجموعة من الأبعاد الأخرى كطبيعة الأنشــطة الاقتصــادية الممارسة داخل المجال، ونوع السكن السائد، إلخ.

3.1 التمييز بين الأرياف والمدن، حالة المغرب

بالمغرب، يُستوحى التعريف الرسمي للمجال الريفي من التنظيمات والتقسيمات الإدارية التي اعتمدتها البلاد منذ الاســتقلال وإلى حدود ســنة 2015، رغم تجاوز هذا المعيار منذ

التقسـيم الإداري الحـالي[3]، والـذي تم بموجبـه إلغـاء مصـطلحـات الجمـاعـات القرويـة والحضـرية، وتعويضـه بمصـطلح الجماعات الترابية، والتي عمليا تضـم الجماعات ومجالس العمالات والأقاليم والجهات. حيث تم اعتماد المعيار الوظيفي في التمييز بين المجالات الريفية والحضـرية، بالرغم من التحولات التي تعرفها المجالات الريفية المغربية وخصـوصـا الواقعة بضواحي المدن، والتي أصبحت تشهد غزو مظاهر التمدين وطغيان تمدين البوادي[4].

4.1 جغرافية المجالات الريفية ومحاولة في التمييز

تعتبر الزراعة من أقدم الأنشـطة البشـرية ومن أكثرها انتشـارا على وجه الأرض، فلا غرابة إذن في اهتمام الجغرافيا بمختلف أوجه هذا النشـاط، ولا غرابة أن تصـبح جغرافية الأرياف من أخصب حقول البحث والدراسـة في الجغرافية البشرية. فقد ظل المجال الريفي لمدة طويلة مرادفا للنشـاط الفلاحي (الزراعة وتربية الماشـية)، إلى أن تعقدت وتنوعت وظائفه، في العقود الأخيرة، بسـبب انفتاحه على العالم الخارجي، بعد اتسـاع تأثير المدن وأسـواق الاستهلاك ونمو شبكة المواصلات وتطور وسـائل النقل والاتصـال... حيث لم تعد الزراعة المصدر الوحيد لعيش السكان، مما فرض التمييز بين جغرافية الأرياف والجغرافية الزراعية والجغرافية الفلاحية، وأصبح لكل فرع منها اهتماماته الخاصة.

- **جغرافية الأرياف**

تهتم جغرافية الأرياف بكل ما يحدث خارج المجال الحضـري، وبدراسـة أحوال سـكان الأرياف وأوجه أنشـطتهم وتنظيم مجالهم. كما تقوم بتحليل العلاقات الموجودة بين الظواهر الطبيعية والبشـرية، والتي ينتج عنها رسـم المميزات الاقتصـادية والاجتماعية والديمغرافية للمجال. فجغرافيـة الأريـاف تهتم بدراسـة المشـاهد الريفيـة ومكوناتها، وطبيعة ونوعية المنتجـات الفلاحيـة، والأنظمـة الزراعيـة، والبنيـات الزراعيـة، والأنشـطـة غير الفلاحيـة

[3] - ظهير شـريف رقم 1.15.83 صـادر في 7 يونيو 2015، بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات.

[4] - راجع في هذا الصـدد، المؤلف الجماعي: تمدن البوادي بالمغرب، منشـورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة، ندوات ومناظرات رقم 162. تنسيق كرزازي موسى (2010) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

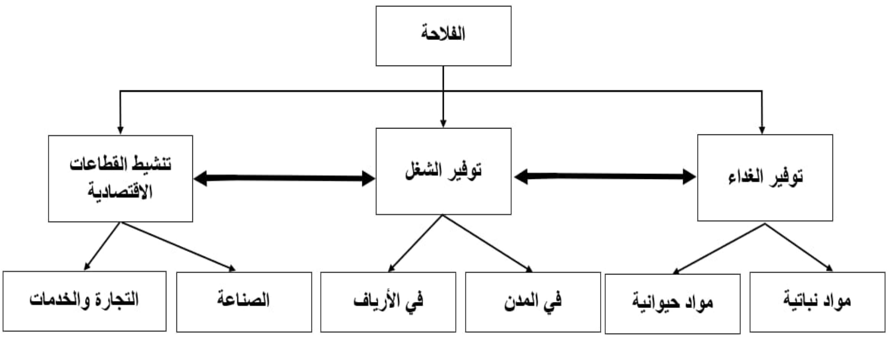
(الصـــناعة، التجارة، الخدمات، الســـياحة...)، والهجرة الريفية، وتمدين الأرياف، والنقل، والمراكز الريفية.

من هذا المنطلق، فإنه وبالإضـــافة إلى المزارعين ومربي الماشـــية، تهتم جغرافية الأرياف بالسكان الآخرين الذين يقطنون بالبوادي دون أن تكون الفلاحة المصدر الأساسي لعيشهم.

- **الجغرافية الفلاحية**

تُعنى الجغرافية الفلاحية بالجوانب التقنية والاقتصـــادية للإنتاج الزراعي أو لتربية المواشـي. بغض النظر عن الظروف البشـرية التي يتم فيها العمل، فهي ترتكز على الهندسـة الزراعية التي تدرس العلاقات القائمة بين الإنتاج الفلاحي والأســاليب التقنية المســتعملة لتوفيره، وبالجوانب الاقتصادية المرتبطة بالإنتاج.

خطاطة رقم 1: أهمية الفلاحية بالنسبة للإنسان



المصدر: اقتراح وإنجاز فريق البحث 2023

تهتم الجغرافيا الفلاحية بالجوانب التقنية لهذا النشـــاط، من حيث مؤهلات البيئة الطبيعية كالتربة والمناخ والنباتات، وإمكانية اعتماد الري واســتعمال الأســمدة واســتخدام الآلات، كما تولي أهمية للجوانب الاقتصـــادية، فتدرس المردود وحجم الإنتاج والتســـويق، ومن مواضيعها: دراسة القمح في العالم أو زراعة الزيتون في حوض البحر الأبيض المتوسط أو الشمندر السكري في سهل الغرب، من حيث الإنتاج والاستهلاك والتسويق.

- **الجغرافية الزراعية**

لقد وجد الجغرافيون صــعوبة في صــياغة تعريف جامع للجغرافية الزراعية، حيث تناولها باحثون متعددو التخصـــصـــات والاهتمامات. فاهتم هذا الفرع من الجغرافية بالحيازة

الفلاحية وطرق اســتغلالها، وبالأثر الذي يخلفه الاســتغلال الفلاحي على ســطح الأرض، والمتجسد في المشاهد الزراعية الناتجة عن استغلال المجال، فهو إذا يبحث في انعكاسات الماضي على الحاضر، وتباين التنظيمات الزراعية الكبرى في المكان والزمن (شكل الحقول، تعاقب المزروعات...)، اعتبارا لكل العوامل المؤثرة في التنظيم الزراعي، ســواء تعلق الأمر بعوامل طبيعية أو تقنية أو بعوامل اقتصادية واجتماعية.

المؤطرة 2: التمييز بين جغرافية الأرياف والجغرافية الزراعية والجغرافية الفلاحية

تدرس الجغرافية الزراعية المشاهد الزراعية الناتجة عن استغلال المجال؛ تهتم الجغرافية الفلاحية بالجوانب التقنية لمحصول معين وإطاره الطبيعي بغض النظر عن الظروف البشرية؛ تبحث الجغرافية الريفية في تنظيم المجال الريفي وما يلحق به من تحولات.

2. العناصر المكونة للمجال الريفي

1.2 المحاط Finage

المحاط هو مجال جغرافي، في ملك جماعة بشرية، تستقر به وتستغله قانونيا أو عرفيا (دوار، مجموعة دواوير، قبيلة، فخدة، مجموعة فلاحين...)، وتمارس عليه حقوقا قانونية وإدارية، ويضم المحاط الأراضي المستعملة من طرف مجموعة معينة من السكان (حقول، مراعي، غابات...). ويتشكل من ثلاثة عناصر أساسية، تقسم بدورها إلى وحدات صغيرة متنوعة البنيات تسمى رساتيق.

- **السكن** L'Habitat: الدوار أو الدواوير التي يقطن بها ساكنة المحاط؛
- **الحريث** Ager: هو الجزء الذي يستغل فعلا من المحاط، ويتألف من حقول تباشر فيها زراعة موسمية كالحبوب والقطاني مثلا، أو زراعة دائمة كالأشجار المثمرة؛
- **الشيم** Saltus: وهو مجموع الأراضي التي لا تزرع، والتي تستعمل كمراعي في غالب الأحيان.

وقد تنبه بعض الباحثين حديثا إلى العلاقة ما بين الانسان والمجال، ففضلوا أن يطلقوا على المحاط مفهوم الوحدة السوسيو- ترابية unité socio-territoriale، تجسيدا للأبعاد الانتمائية إلى حيز جغرافي متملك، وإلى الاستغلال الجماعي للموارد وتقاليد الدفاع المشترك عنه، والتضامن بين أفراد المجموعة البشرية التي تستوطنه بحكم الروابط الأسرية التي تجمعهم. وتعتبر القبيلة بمكوناتها (قبيلة، أو فخدة، أو عظم...) النموذج الأمثل لهذا التعريف، اعتبارا لأنشطتها القائمة على الزراعة وتربية الماشية، سواء كانت، هذه الأخيرة، مستقرة أو منتجعة بين أجزاء متكاملة للمجال الحيوي للعشيرة، حيث لا زالنا نصادف نماذج قائمة المعالم، في بعض جوانبها المادية والوظيفية، لمثل هذه التنظيمات (لحسن جنان، 2021، ص 63).

2.2 الرستاق

عبارة عن بقعة أرضية ذات خاصيات طبيعية لها مؤهلات زراعية أو رعوية معينة، تأصلت نتيجة التفاعل بين الخاصيات الطبيعية كالسطح والمناخ المحلي (ميكرو مناخ) والموارد المائية والترابية والغطاء النباتي، وخبرة السكان، ومهاراتهم، وثقافتهم، وتقاليدهم الزراعية، ونمط عيشهم. كما يرتبط الرستاق أيضا، بطرق الإعداد والتهيئة التي يتبناها الفلاح قصد استغلال هذه الأراضي (رستاق بوري، ورستاق مسقي، ورستاق سهلي، ورستاق بمدرجات...) لذا تسعى الجماعات البشرية، خاصة منها التي لا تزال تزاول زراعة معاشية، للحصول على محاط يتوفر على أكبر عدد ممكن من الرساتيق حتى تضمن تنوع الإنتاج وتكامله وتوزيع المخاطر.

يمكن للرستاق الواحد أن يمتد ليشمل محاطا لوحده، كسهول الأرز المسقية بالشرق الأقصى، أو سهول القمح الطري بفرنسا، أو سهول الذرة بالولايات المتحدة الأمريكية، أو سفوح الشاي بالصين والهند، وسفوح البن بالبرازيل.

يرتبط تجانس الرساتيق بمنتوجات فلاحية محلية (Produits de terroir) متكاملة ومتمايزة على مستوى الطعم، والشكل، والنسيج، والوزن، وطريقة الإعداد. وعموما يتم تصنيف منتجات الرستاق إلى ثلاثة أصناف: منتجات حيوانية (لحم، وحليب ومشتقاته...)، ومنتجات نباتية (حبوب، وتمور، وخضر، وفواكه...) ومنتجات محولة (عسل، وزيوت، وسمن، وجبن، ...)

3.2 شكل الحقول

- **الدبر:** يتكون الدبر من مجموع المشارات المستغلة برستاق أو محاط ما، ويطلق هذا المفهوم على القطع الأرضية التي تكون في حوزة مالك واحد والمخصصة لزراعة واحدة، وتختلف هيئة الدبر باختلاف أشكال المشارات، حيث تبدو أحيانا منتظمة، لارتباطها بتهيئة ريفية معينة، أو غير منتظمة، صغيرة أو كبيرة الحجم، مسيجة أو مفتوحة.

- **المشارة:** تنقسم إلى نوعين أساسين وهما:

✓ **مشارة الملك:** مشارة عقارية، وهي قطعة أرضية يملكها شخص أو عدة أشخاص مسجلة في بعض الأحيان تحت رقم يثبت ملكيتها بالمحافظة العقارية، وهذه المشارات هي التي تُبرزها الخرائط التأريفية.

✓ **مشارة الاستغلال:** هي أرض تستخدم لأغراض زراعية وتستغل من طرف فرد واحد، ويمكن أن تشمل المشارة زراعة واحدة أو زراعات متنوعة. وغالبا ما تتميز المشارة بعدة خاصيات، سواء من حيث الشكل، كأن تكون مفتوحة أو مسيجة، أو من حيث نوع الإنتاج: (مغروسة أو مزروعة)، وقد تصنف حسب حجمها: صغيرة (1 آر= 100م2) أو متوسطة الحجم، لا تتجاوز الهكتارين، وينتشر هذا الصنف الأخير في المناطق التي تسود فيها البستنة كالمرزات الآسيوية أو الحقول الواحية أو المناطق ذات التضاريس الوعرة، حيث تطغى الملكيات المجهرية. بينما تتجاوز مساحة المشارات الكبيرة 20 هكتارا، حيث تسود الملكيات الكبرى ويتم العمل بواسطة الآلات العصرية، وقد تكون المشارات متصلة فيما بينها أو تفصلها سياجات وحواجز.

أما من ناحية الشكل، فيمكن التمييز بين مشارات متعددة الأشكال، وأخرى ذات أشكال هندسية مربعة، مستطيلة، مثلثة أو دائرية.

4.2 السياج :

يطلق السياج على الحاجز الذي يحيط به الفلاح اراضيه ليجسد حدود ملكيته ودرءا لتطاول الغرباء والحيوانات عليها، ويعد السياج علامة الفصل بين الأراضي المتجاورة، وبين

الاستغلالية والمجال العمومي (طريق، مجاري، مؤسسات إدارية). وهو إما نباتيا أو جمدا كجدار أو على شكل أسلاك تحيط بالحقول، أو مرتفعا خطيا من التراب يحاذيه خندق ناتج عن الحفر، وقد يتكون السياج من جدار أو شبكة من الأسلاك والاعمدة أسمنتيا، أو مركبا يجمع بين عناصر متنوعة. يعتبر السياج من العناصر الأساسية للمشاهد الزراعية، وتتنوع الغايات من إنشائه وإقامته.

3. المجالات الفلاحية بالعالم

يتكون المجال الفلاحي من مجموع الأراضـي التي يسـتغلها الإنسـان عن طريق الزراعة والرعي معا. ويرتبط اتسـاع أو تقلص المجال الفلاحي بالعوامل الطبيعية من مناخ وتربة وتضـاريس...، وبالمؤهلات البشـرية المتمثلة في قدرة المجتمعات البشـرية على إعداد الأرض لتصبح منتجة، إلى جانب توسع المدن والمناطق الصناعية والمنشآت السكنية والطرقية، الخ.

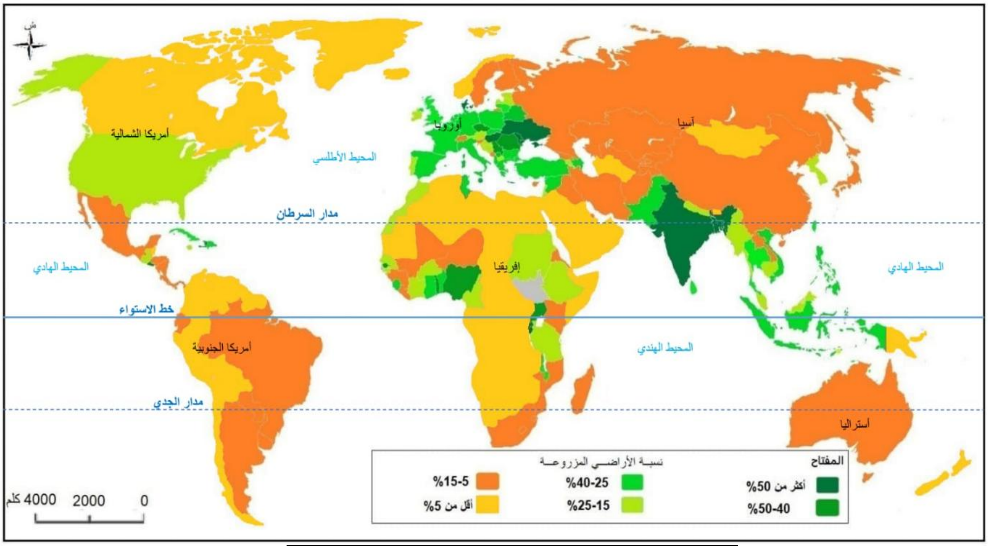
1.3 توزيع المجالات الفلاحية بالعالم

انتقلت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة بالعالم من 3,6 مليار هكتارات سنة 1980 إلى 5 ملايير هكتار سنة 2017، وهو ما يمثل 38% من مساحة اليابسة والتي تناهز 13,5 مليار هكتار. ويستخدم ثلث مساحة الأراضي الفلاحية لإنتاج المحاصيل الزراعية، بينما تخصص 10% تقريبا من المساحة الصالحة للزراعات للمغارس والأشجار المثمرة (النخيل، الزيتون، الكروم، التين، الكاكاو...)؛ في حين تتألف باقي الأراضي من مروج ومراع مخصصة لرعي المواشي.

تحتل القارة الأسيوية الصدارة من حيث المساحة المزروعة بحوالي 1,6 مليار هكتار، بنسبة 34% من مجموع المساحة العالمية (الثلث تقريبا)، تليها قارتي أمريكا الشمالية والوسطى بما قدره 1,2 مليار هكتار بنسبة 25% (الربع)، وإفريقيا بـ 1,1 مليار هكتار، أي بنسبة 24% (ما يقرب من الربع). فيما تمثل نسبة الأراضي الفلاحية بأوروبا وروسيا وقارة أوقيانوسيا 10إلى 11% من الأراضي الفلاحية العالمية (العشر). وتتوفر إفريقيا على أكبر مساحة للمراعي الدائمة، تأتي بعدها القارة الأمريكية، ثم آسيا. وتتفوق المساحة المزروعة

على حســاب المراعي الدائمة في كل من أوربا وأُوقيانيا (أســتراليا، والجزر المحيطة بها)، ويحدث العكس في باقي القارات.

خريطة رقم 1: نسبة الأراضي المزروعة بدول العالم سنة 2022



Source: FAO Rome, (2020): Statistical Yearbook, p.23

يتوقف امتداد المجال الفلاحي على المؤهلات الطبيعية، وقدرة الإنســان على التأثير فيها وتســخيرها قصــد الرفع من الإنتاج. إذ يتبين من خلال معطيات الخريطة (رقم 1) أن المساحة المزروعة تشكل نسبة محدودة من مساحة اليابسة بالعالم. وتختلف من قارة إلى أخرى، بحيث تحتل الأراضــي الزراعية في أوربا نســبة مرتفعة. ويعود الســبب في ذلك إلى موقع أوربا في العروض المعتدلة باســتثناء الشــمال منها. والتفوق التقني باســتخدام المكننة والأسـمدة والمبيدات. بينما تنخفض نسبة الأراضي الزراعية في آسيا وأمريكا الشمالية رغم شــساعة مســاحتهما، بســبب انتشــار الغطاء الجليدي في الشــمال، وانتشــار الغابات، ثم الامتداد الكبير للصــحاري. أما بالقارات الإفريقية وأســتراليا وأميركا الجنوبية، فتنخفض نسبة الأراضي الزراعية وتنتشر المراعي الواسعة، نتيجة وجود جزء كبير من تلكم الأراضي بالنطاقات الحارة والجافة والقاحلة، المتمثلة في الصحاري، وامتداد الهضــاب والســلاســل الجبلية الوعرة.

2.3 دواعي ووسائل توسيع المجال الفلاحي

رغم أهمية الأراضي المزروعة والمغروسة بالعالم، والتي تصل نسبتها إلى 38% من مساحة اليابسة، فإنها تعرف تقلصا مستمرا بسبب الأنشطة غير الفلاحية (توسع المدن، وانتشار الوحدات الصناعية والتجارية وتزايد المرافق الاجتماعية والبنيات التحتية)، وكذا التزايد الديمغرافي السريع للساكنة العالمية التي يفوق عددها 9 مليار نسمة، مع ما يرافق هذا النمو من ارتفاع الطلب على الغذاء.

لمواجهة اختلال التوازن بين تقلص المساحات الزراعية بالعالم وتزايد السكان والحاجيات الغذائية، لا بد من البحث عن سبل أخرى لتوسيع المجال الفلاحي العالمي والرفع من الإنتاج الزراعي والحيواني.

3.3 آليات وسبل توسيع المجال الفلاحي

تتعدد وتتنوع وسائل وآليات توسيع المجال الفلاحي العالمي، سواء عن طريق المبادرات الفردية أو التي تتم في إطار ما تنجزه الدول من البرامج ومشاريع التهيئة، وتبعا لما تيسر لكل فاعل من الأدوات والامكانات.

- **الاجتثاث Défrichement**

تستهدف هذه العملية إزالة الغطاء النباتي الأصلي الطبيعي، قصد إقامة أنشطة زراعية وممارسة الرعي. وتختلف هذه العملية في صعوبتها حسب اختلاف كثافة الغطاء النباتي ونوعه، وحسب الإمكانيات التقنية المتوفرة والمعتمدة. ولعل أهم التقنيات المستعملة في هذا الشأن هي: قطع الأشجار، واستعمال الجرافات، وحرق الغابات على غرار ما هو معمول به في المناطق المدارية (زراعة الضريم[5]).

- **العدن l'épierrage**

يقصد بالعَدْن كل عملية تستهدف توسيع المجال المنزرع بعد إزالة القشرة المتحجرة التي تغطي التربة، ويتم ذلك بتهشيم الصخور، أو تنقية الأراضي من الكتل الحجرية الموجودة على السطح أو داخل التربة والتي تعيق الحرث ونمو المزروعات. ويلجأ المزارعون إلى

---

[5] - زراعة متنقلة تقوم على حرق أشجار الغابة من أجل الحصول على أراض جديدة، وتخصيب تربتها بواسطة الرماد الناتج عن عملية الحرق.

تصفيف هذه الأحجار على شكل أكوام لتصبح سياجات تحيط بالمشارات. وقد استعملت في هذه العملية، قديما، وسائل بسيطة كالفؤوس، قبل أن تستعمل أدوات وتقنية متطورة وحديثة، مما وفر الوقت والجهد ومكن من الحصول على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية.

- **التجفيف واستصلاح الأراضي**

تتم هذه العملية إما على المستوى القاري (اليابسة) عن طريق تجفيف المستنقعات عن طريق حفر قنوات لتصريف المياه الراكدة، مثل ما تَم في سهل الغرب بالمغرب منذ عهد الحماية. أو يتم ردم المستنقعات بالأتربة المجلوبة من مناطق أخرى في مجالات مختلفة من دول العالم. وتتم هذه العملية أيضا قصد تجفيف مياه البحر على السواحل قصد توسيع المجال المنزرع، كما هو الشأن بالنسبة للأراضي المنخفضة بهولندا (بولديرات).

- **توسيع المساحات المسقية**

من أجل تكثيف الإنتاج الزراعي ومواجهة موجات الجفاف التي تعرفها بعض المناطق العالمية، لجأت دول المعمور إلى اعتماد السقي منذ القدم، سواء بالاعتماد على الطرق التقليدية المتمثلة في تعبئة المياه السطحية والباطنية عن طريق السواقي والسدود التقليدية (أكوك بالمغرب كمثال) أو الخطارات (الفجارات)، أو باستعمال وسائل الرفع والضخ للمياه الباطنية نحو السطح (الدلو والناعورة أو المضخات حديثا، ...). أو الوسائل العصرية مثل المضخات الكهربائية أو عبر إنجاز السدود الكبرى، ومد قنوات السقي الإسمنتية (السقي الانسيابي)، أو تَبَني طرق مقتصدة للمياه كالسقي الموضعي بالتنقيط والرش، إلخ.

- **تحسين الأساليب والتقنيات الزراعية**

ساهم التقدم العلمي والاختراعات التكنولوجية في تطوير مختلف وسائل الحرث والبذور والحصاد (المحراث الحديدي، والجرار، وآلات الحصاد...)، أو استعمال مختلف المخصبات الكيماوية والعضوية والأدوية المقاومة للحشرات والحشائش الطفيلية، أو انتقاء البذور وتكييفها مع معطيات مناخية متباينة، وخصوصا المقاومة للجفاف.

4. العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في النشاط الفلاحي وتنظيم المجال الريفي

رغم تطور قدرة الإنسان ومقاومته للإكراهات الطبيعية ومحاولته المستمرة لتجاوزها أو التكيف معها، فإن العلاقة التفاعلية بين الإنتاج الفلاحي وعناصر البيئة الطبيعية لا زالت قائمة، وإن بدرجات متفاوتة بين مناطق العالم. غير أن العوامل الطبيعية غير كافية لوحدها للتأثير على النشاط الفلاحي وتنظيم المجالات الريفية بالعالم، إذ تلعب العوامل البشرية، وتحديدا البنيات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والديمغرافية والسياسات الحكومية (التهيئة الريفية)، دورا أساسيا في إدراك وفهم تطور النشاط الفلاحي وتوزيع المجالات الفلاحية عبر العالم.

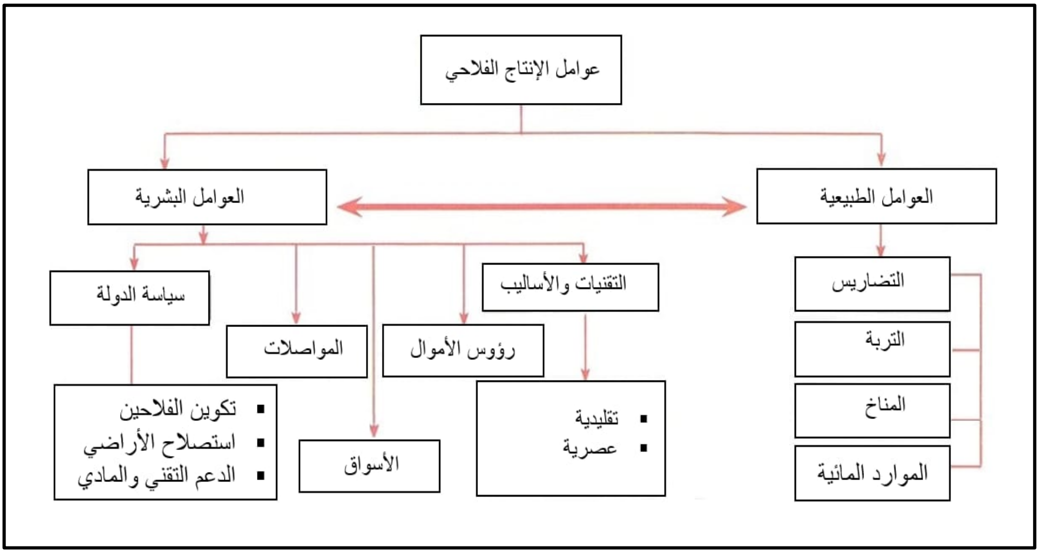
1.4 العوامل الطبيعية وأثرها على النشاط الفلاحي.

لا زالت العوامل الطبيعية تؤثر في دينامية النشاط الفلاحي، وتشكل عاملا مهما في توزيع المجالات الفلاحية العالمية وإن بشكل متباين بين المجموعات البشرية المتملكة والمستغلة للمجالات الريفية بالعالم، وخصوصا نوع المناخ والتضاريس والتربة، وأخيرا الموارد المائية.

2.4 المقومات البشرية وأثرها على النشاط الفلاحي.

تتجلى المقومات البشرية المساهمة في دينامية النشاط الفلاحي وتوزيع المجالات الفلاحية بالعالم في أساليب الإنتاج ونوع التقنيات المتعمدة (عصرية أو تقليدية) ورؤوس الأموال والأسواق والموصلات، بالإضافة إلى السياسات الحكومية المتجسدة في إعداد الأراضي وتكوين الفلاحين وتقديم الدعم المادي والتقني لهم.

خطاطة رقم2: العوامل المؤثرة على النشاط الفلاحي وتنظيم المجال الريفي



المصدر: تركيب فريق البحث 2023

يتأثر النشاط الفلاحي عالميا بتفاعل المقومات الطبيعة من تضاريس وتربة ومناخ وموارد مائية، مع المعطيات البشرية المتمثلة في التقنيات والأساليب المعتمدة أكانت تقليدية أم عصرية، كما تلعب السياسات العمومية في ميدان استصلاح الأراضي الزراعية، وتكوين الفلاحين ودعمهم، وفي ميادين البحث العلمي وتوفير رؤوس الأموال والمواصلات والبحث عن الأسواق، دورا حاسما في تطور الانتاج وتصريفه (خطاطة رقم 2).

5. تشخيص وتحليل بعض المشاهد الزراعية

تعتبر المقاربة المجالية أهم ما يميز الدراسات الجغرافية عن العلوم الاجتماعية الأخرى. وتعتبر دراسة المشهد الريفي من المقاربات المستعملة كوسيلة من الوسائل الناجعة في رصد تحولات الأرياف العالمية.

1.5 مفهوم وعناصر المشاهد الزراعية

يعتبر "المشهد الريفي والزراعي" من أكثر المفاهيم تداولا في مجال جغرافية الأرياف رغم تباينها وعدم دقة معانيها.

- المشهد الريفي (Paysage rural)

يشكل تحديد مفهوم المشهد الريفي رهانا صعبا بالنظر إلى التحولات التي يشهدها استعمال الأراضي الريفية. فالمشهد الريفي هو التعبير الشامل لمكونات الأرياف من أراض زراعية وحقول ومراعي وقرى وغابات، ومؤسسات إدارية وسوسيو- اجتماعية وتجارية وصناعية وطرق ومسالك...فهو يعتبر انعكاسا لكل التدخلات والأنشطة التي يمارسها الإنسان في الأرياف، سواء كانت فلاحية أو غير فلاحية. ويمكن معاينة المشهد الريفي بطريقة مباشرة عبر الزيارات الميدانية، أو بطريقة غير مباشرة من خلال استقراء الخرائط والصور الجوية وصور الأقمار الاصطناعية... فالمشهد الريفي إذا هو مشهد جامع لكل مكونات الأرياف.

صورة رقم 1: مشاهد ريفية بدول الشمال (الدول المتقدمة)





- المشهد الزراعي Paysage agraire:

هو حصيلة تنظيم وتجهيز وإعداد الإنسان للمجال الفلاحي، مهما كانت درجة التقنيات المستعملة ومستويات وطرق هذا الإعداد. وبعبارة أخرى، هو النتيجة المرئية لإعداد سطح الأرض من قبل الفلاحين، أو هو النتيجة المرئية للممارسات الزراعية. ويمكن رؤية المشهد الفلاحي من خلال المعاينة المباشرة، ومن خلال وثائق الصور الجوية والمرئيات الفضائية أو الخرائط الطبوغرافية ووثائق التحفيظ العقاري. ويتكون المشهد الزراعي من المشارات الزراعية، والأراضي البورية، والسياجات، والسكن، والمسالك الطرقية وشبكات

الري...ويرتبط تنظيم وترتيب مختلف عناصــر المشــهد بعوامل مختلفة كطبيعة التضــاريس ونوع المناخ والوزن الديمغرافي والإطار الاقتصادي وشكل تهيئته وتنظيمه من طرف مختلف الفاعلين. وتتعدد المشاهد الزراعية تبعا للعوامل المؤثرة في كل بلد من بلدان المعمور، وتبعا للتباينات المجتمعية والبيئية الطبيعية.

المشهد الريفي: يشكل المشهد الريفى التعبير الأكثر شمولية، يضم كل ما تضمه الأرياف من مجالات فلاحية وغير فلاحية، وحمولاتها المادية والرمزية غير المرئية.
المشهد الفلاحي: يضم المكونين الزراعي والرعوي، التنطيق بين مختلف المجالات (مجال للماشية المستقرة أو المتنقلة، مغروسات، زراعات...؛
المشهد الزراعي: يحدد المشهد الزراعي بالمشاهد والعناصر المتضمنة داخل المحاط.

- **المشهد الفلاحي** Paysage agricole:

بالمقارنة مع المشهدين السابقين يعتبر المشهد الفلاحي جد محدود حيث لا يتضمن سوى المشارات المزروعة ضمن المجال المستغل. وبذلك يرتبط المنظر العام بأنواع المنتوجات القائمة، لنميز بين مشهد الغراسة، والمشهد الخاص بالزراعة المسقية، والمشهد الخاص بالمناطق التي يسود فيها البور.

صورة رقم 2: مشهد فلاحي بجبال الأطلس الكبير
https://ma3lama.com.



2.5 أشكال استغلال الانسان للمجال الريفي

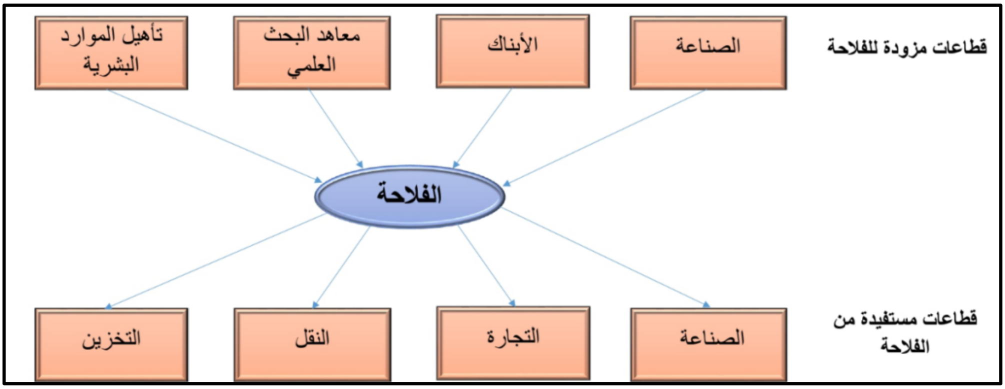
5-2-1. تنظيم المجال الريفي بدول الشمال

شهدت أرياف دول الشمال تحولات مهمة تمثلت في تراجع مهم للساكنة الريفية ولعدد المشتغلين في القطاع الفلاحي، وفي تنامي مظاهر التمدين بشكل قوي في الضواحي، وتنامي

القطاعات الاقتصادية الأخرى كالصناعة والتجارة والخدمات أو ما يطلق عليه أكرو-بيزنس[6]. بالإضافة إلى ذلك عرفت أرياف دول الشمال، خلال السنوات الأخيرة، ظهور نشاط سياحي مؤقت ولكنه كثيف...وهكذا انتقلت أرياف دول الشمال من مجالات أحادية الوظيفة إلى مجالات متعددة الوظائف.

لقد أصبحنا أمام مشهد ريفي لا يختلف في أنشطته ومستوى عيش ساكنته وتجهيزاته المنزلية عن مثيله في المدن، مما ساهم في تراجع خصائص المشهد الريفي التقليدي وسيطرة مظاهر الحياة الحضرية، الشيء الذي دفع ببعض الباحثين إلى القول بنهاية الفلاحين والمجتمع الفلاحي Mendras H.1967, Kayser B. 1992.

خطاطة رقم 3: أكرو بيزنس (قوة اندماج الفلاحة في الاقتصاد)



المصدر: ادريس الصقلي وآخرون (2010) كتاب مسار الجغرافية، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء.

تتميز الاستغلاليات الفلاحية بدول الشمال بشساعة مساحتها وتنوع منتوجاتها وشكلها الهندسي. كما تتوفر على مرافق متعددة تشمل سكنا مبنيا بمواصفات عصرية وحظائر مجهزة بمستلزمات الحياة العادية. وبوجود مرآئب للآليات، والمخازن المجهزة للمنتوجات الفلاحية.

[6] - **أكرو بيزنس** Agrobusiness: فرع اقتصادي يتركب من ثلاثة مستويات، وتندمج فيه الأنشطة الفلاحية بالأنشطة الصناعية التي تقوم بتخزين وتحويل المنتجات الفلاحية إلى مواد غذائية، وبأنشطة الخدمات التي تقوم بنقل وتوزيع الإنتاج الفلاحي.

تعتمد الفلاحة العصرية بدول الشمال على استعمال المكننة بشكل مكثف وفي مختلف العمليات الزراعية تمشيا مع شاسعة مساحات الأراضي المخصصة لها، وقلة اليد العاملة، الأمر الذي تترتب عنه ضخامة الإنتاج، وضرورة اللجوء، جزئيا، أو كليا نحو التسويق الخارجي. حيث تتخذ الاستغلالية الزراعية شكل مقاولة تستثمر أموالا ضخمة، مما يسمح بازدهار الزراعة التسويقية. ويعتبر الفلاح بمثابة رجل أعمال يشرف على إدارة استغلاليته بطرق عصرية. فهو يعتمد على المعلوميات من خلال اتصاله الدائم بمصلحة الأرصاد الجوية ومعاهد البحث العلمي قصد الاطلاع على المستجدات في الميدان الفلاحي، وبالبورصة لمتابعة أسعار المنتوجات الفلاحية وحاجيات الأسواق الدولية.

على المستوى الوظيفي شهدت أرياف دول الشمال انتشارا واسعا للنشاط الصناعي، واستقرار السكان الحضريين في سكن قار، إلى جانب الانتشار الكبير للسكن الثانوي. وقد ترتب عن هذه التحولات تعدد وظائف المجال الريفي وتداخلها، فأصبح بذلك مسرحا لرهانات مختلفة يشترك فيها الفاعلون المحليون التقليديون مع فاعلين ومتدخلين جدد لا يحملون بالضرورة نفس المشاريع، ولا تحركهم نفس الدوافع إزاء المجال الريفي.

5-2-2. تنظيم المجال الريفي بدول الجنوب

تتميز الفلاحة ببلدان الجنوب بتعايش الفلاحة المعاشية مع الفلاحة العصرية. وقد لا يقتصر الطابع المعيشي على الزراعة التي تعتمد على تقنيات بسيطة ومردودية ضعيفة موجهة للاستهلاك الذاتي، بل يشمل أيضا تربية ماشية محدودة العدد وضعيفة المردودية وهي تعتمد، في الغالب، على التنقل بحثا عن الماء والكلاء في المراعي الجماعية الواسعة، وموجهة أساسا نحو الاستهلاك الذاتي.

- **خصائص الزراعة المعاشية بالمناطق البيمدارية**

يمارس جل سكان المناطق البيمدارية زراعة معاشية، كزراعة الضريم التي كانت تقوم على حرق مساحات غابوية للحصول على أراض زراعية جديدة وتخصيب التربة عن طريق الرماد الناتج عن عملية الحرق.

تتميز الزراعة في النطاقات المناخية الحارة، ذات المناخ الاستوائي والمداري والصحراوي بقلة الأراضي الزراعية وضعف خصوبة التربة، حيث يمر الاستغلال الزراعي بثلاثة مراحل: تبدأ بإصلاح أدوات الإنتاج الزراعي وإعداد التربة وقلبها ثم عملية البذر، وجمع المحاصيل في المرحلة الأخيرة. ويمارس السكان خلال جميع المراحل أنشطة تختلف بين الفصول الجافة والمطيرة، اعتمادا على يد عاملة مكثفة وضعيفة التكوين، تستعمل أدوات ووسائل تقليدية.

صورة رقم 3: إحراق الغابة من أجل الحصول على أراضي زراعية



يتم تنظيم المجال الريفي بالمناطق المدارية بالاعتماد على السكن المتجمع في قرى محاطة بالحقول على شكل هالات، تمارس بها زراعات متنوعة. وقد عرفت أنظمة الاستغلال الفلاحي تطورا مهما بالزحف على الغابة الاستوائية، حيث ظهرت زراعات جديدة. وأصبحت الاستغلاليات منظمة بأشكال هندسية على حساب الغطاء النباتي (الغابات).

تنتشر زراعة الضريم بأمريكا الجنوبية والوسطى وإفريقيا الجنوبية وجنوب شرق آسيا والجزء الشرقي من أستراليا.

- **خصائص الاستغلال الفلاحي بآسيا الموسمية**

يهيمن المناخ الموسمي بجنوب شرق آسيا ويتميز بارتفاع درجات الحرارة وغزارة الأمطار، مما يساعد على زراعة الأرز على ثلاث مراحل وهي: حرث المرزات، ثم بذر الأرز، وأخيرا جني المحصول. وتستعمل في جميع مراحل الإنتاج تقنيات تقليدية ويد عاملة مكثفة. وتنتشر هذه الزراعة بشكل كبير في آسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية بنسبة 90%، وتحديدا بالهند والصين.

صورة رقم 4: حقول الأرز بالهند



صورة رقم 5: مرزات لزراعة الأرز بالنيبال



المصدر: موسوعة ويكيبيديا 2023

- **أشكال الاستغلال الزراعي بالمناطق الصحراوية الجافة**

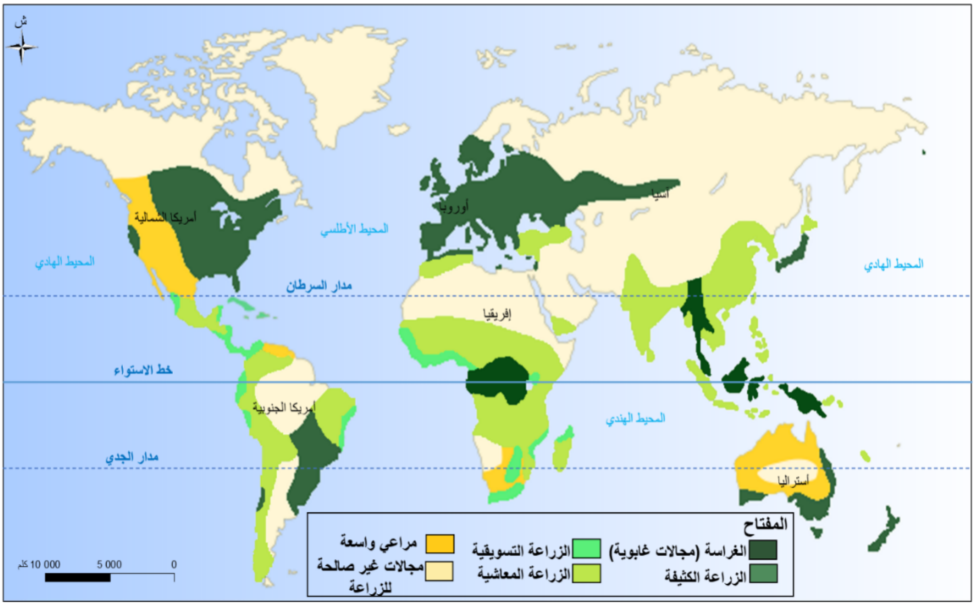
ينتشر النطاق الصحراوي الجاف بهوامش المناطق البيمدارية، ويتميز بالحرارة والجفاف وندرة التساقطات. وتتميز الاستغلاليات الزراعية بصغر مساحتها نظرا لقلة الأراضي الزراعية والموارد المائية، كما هو الشأن في الواحات[7] وتعتمد الأراضي الزراعية على السقي التقليدي إما بواسطة مياه الأنهار أو المياه الجوفية معبأة بواسطة الخطارات أو الضخ الآلي. ويتمثل الغطاء النباتي أساسا في أشجار النخيل وبعض الأشجار المثمرة التي تتعايش معه، إضافة إلى الزراعات الموسمية كالحبوب والخضر والأعلاف. وقد شهدت هذه المجالات مؤخرا إدخال وتحسين تقنيات السقي باستعمال الضخ وأساليب التقطير الحديثة وبعض المنتوجات التسويقية (الحناء، البطيخ الأحمر...).

عموما تشكل الفلاحة بمختلف مكوناتها النشاط الحيوي لسكان الأرياف. ويتباين توزيع الإنتاج الفلاحي على الصعيد العالمي تبعا لتنوع المقومات الطبيعية وأنظمة الاستغلال الفلاحي، حيث يحقق الإنتاج بالدول المتقدمة فائضا مهما، في حين تشهد الدول النامية نقصا هاما في الكم والنوع، مما يستدعي التوجه نحو الاستيراد قصد تلبية حاجيات السكان المتزايدة.

[7]- بقع من الاخضرار وسط مناطق شبه قاحلة، تعتمد التنوع الزراعي وتربية الماشية بشكل شبه مستقر. وتصنف الواحات إلى أربعة أصناف وهي: واحة الري، وواحة الإبط، وواحات السهول، وواحات بدون ري.

وتبين الخريطة (رقم 2) مجالات انتشــار الزراعة المعاشــية بجل دول العالم النامي وخصوصا بالقارة الإفريقية، وجنوب شرق آسيا، وبعض بلدان أمريكا الوسطى والجنوبية. وهيمنة الزراعة الحرجية (الغابوية)، أو ما يسمى بزراعة الضريم بهذه المناطق. بينما تهيمن الزراعات التجارية الكثيفة بجل دول أوربا وأمريكا الشــمالية وبعض بلدان أمريكا الجنوبية وأستراليا.

خريطة رقم 2: أهم أنواع النشاط الفلاحي بدول العالم



Source : https://www.hgsempai.fr/carto/?p=1069

6. الإطار الاقتصادي والاجتماعي للنشاط الفلاحي

يتـأثر النشــاط الفلاحي بطبيعـة العلاقـات التي تربط الإنســان بـالأرض، وبمختلف العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات المســتغلة للمجال. ومن بين الجوانب الأســاســية لهذه العلاقـات الاجتمـاعيـة: الملكيـة العقـاريـة أو ملكيـة الأرض أو الحيـازة التي تقوم عليها المجتمعات الريفية.

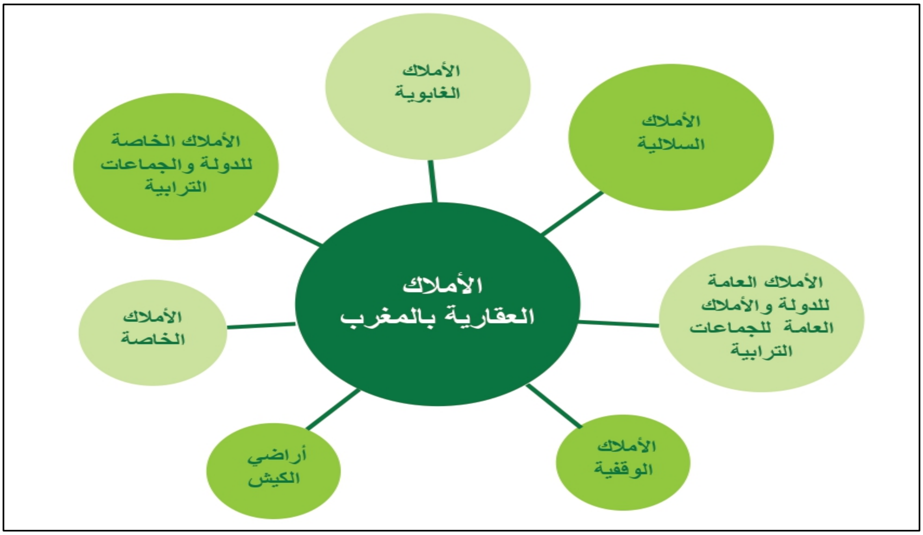
يعتبر التملك الحالي للمجال الفلاحي نتيجة تطور وتراكم تاريخي طويل. فبعد أن كانت الأراضــي الفلاحية ملكا جماعيا أو مشــاعا بين مختلف أفراد المجتمعات البشــرية قديما،

ظهرت الملكية الفردية وانتشــرت بشــكل واســع داخل كل المجتمعات. ولتقريب أهمية تعدد وتنوع الأنظمة العقارية وتأثيرها على النشـاط الفلاحي من المهتمين والباحثين، سنقتصر على تقديم هذه النظم بالمغرب.

1.6. تعدد وتنوع الأنظمة العقارية الريفية

يعتبر العقار من العناصــر ذات الوقع القوي في مجال التنمية الريفية، حيث تشــكل الأرض عاملا مهما من عوامل الإنتاج. غير أنها تتميز بخضــوعها المســتمر للأنظمة القانونية المختلفة، إذ نجد بها ما هو خاضــع للأعراف وما هو خاضــع للشــريعة الإسـلامية، وما هو خاضــع للقوانين الوضــعية. ففي المغرب. مثلا، يُرجع هذا التباين بالأســاس إلى ما عرفته الأنظمة العقارية من تحولات عبر الزمن بفعل عوامل سـياسـية واقتصـادية واجتماعية مما أفرز عدة أنواع من التملك، حيث نجد أراضـي الملك الخاص والأراضـي السـلالية وأراضـي الكيش والأحباس وأملاك الدولة.

خطاطة رقم 4: تعدد وتنوع الأنظمة العقارية بالمغرب



المصدر: منصة التكوين حول الأراضي السلالية https://takwin-soulali.ma/page/my.php

- الملكية الخاصــة: الملكية الخاصــة هي التي تخول لصــاحبها حق الاســتغلال والتصــرف بكل حرية. وتكون قابلة لكل المعاملات التجارية من بيع وكراء ورهن وتفويت. كما أنها تنتقل بالإرث حســب التشــريعات. وتنشــأ الملكية الفردية إما بتقســيم وتفويت أراضــي الدولة أو

الجماعات؛ أو عن طريق إحياء الأرض بصفة انفرادية، وتثبيت ملكيتها عن طريق الاستغلال الدائم لمدة طويلة أو بواسطة السجلات القانونية (عقود عدلية موثقة أو شهادات صادرة عن المحافظة العقارية).

- أراضي الجماعات السلالية: وهي أراض مملوكة للجماعات السلالية وينتفع بها الأعضاء أو المنتسبون إليها بشكل مشترك. وهي شكل من أشكال الأنظمة العقارية العريقة بالمغرب التي تتمتع بوضعية قانونية استثنائية. وقد خضعت لتغيرات عديدة نتيجة تدخل سلطة الحماية والحكومة المغربية فيما بعده في تدبير شؤونها (ظهير 1919).

- الأملاك العامة للدولة: وهي عبارة عن أملاك خاضعة لأحكام ظهير 1 يوليوز 1914. وترصد للاستعمال العمومي وخدمة المرفق العام كما هو الحال بالنسبة للطرقات والقناطر والمستشفيات والمدراس وغيرها.

- الملك الغابوي: هي عقارات ذات طبيعة خاصة، تخضع لظهير 10 أكتوبر 1917، والمتعلق بالمحافظة على الغابات واستغلالها كما وقع تعديله وتتميمه. وتتجلى خصوصية الملك الغابوي في كونه لا يكتسب بالحيازة، وغير قابل للتفويت مبدئيا، وقد يخضع لإجراء المبادلة.

- أملاك الأحباس أو الأوقاف: هي الأراضي المحبسة أصلها، بصفة مؤبدة أو مؤقتة، وتخصص منفعتها لفائدة مؤسسة إحسانية، عامة أو خاصة. ويتم إنشاؤها بعقد، أو بوصية، أو بقوة القانون. ويكون الوقف إما عاما، أو معقبا، أو مشتركا. تخضع الأملاك الوقفية لظهير 23 فبراير 2010 المتعلق بمدونة الأوقاف كما وقع تغييره وتتميمه بالظهير الشريف المؤرخ في فاتح مارس 2019.

- أراضي الكيش: هي أراض فلاحية أو قابلة للفلاحة، أو مراعي تستغل على وجه الشياع بين أفراد القبائل أو العشائر المكلفة بحماية بعض الثغور أو بعض المناطق بالمغرب. وتدخل في ملكية الدولة الخاصة. يتم توزيعها لفائدة بعض القبائل مقابل تقديم خدمات عسكرية.

- أملاك الدولة الخاصة: تتكون من مجموع الأملاك العائدة للدولة، والتي لا تدخل في عداد أملاكها العامة. وتقوم بتسييرها مديرية أملاك الدولة (الأملاك المخزنية سابقا).

- أملاك الجماعات الترابية: وهي أملاك عامة وخاصــة في ملك الجماعات الترابية. وتخضــع للقانون رقم 59.19 المتعلق بنظام الأملاك العقارية للجماعات الترابية الصــادر بتنفيذه الظهير الشريف 1.21.74 بتاريخ 14 يوليوز 2021.

يتســم النظام العقاري بالمغرب بتعدد وتنوع أنظمته العقارية، وبازدواجية طبيعته القانونية. وتتمثل هذه الازدواجية في وجود عقارات غير محفظة وعقارات تتوفر على رســوم عقارية خاصــة بها وتخضــع لظهير 12 غشــت المتعلق بالتحفيظ العقاري كما وقع تعديله وتتميمه بمقتضى القانون رقم 14.07 الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 177.11.1 بتاريخ 22 نونبر 2011.

2.6. طرق الاستغلال الفلاحي

يرتكز النشــاط على الحيازة التي تعتبر مقاولة فلاحية، لأنها وحدة إنتاج Unité de production. وتكون الحيازة بالملكية أو بالانتفاع (أراض جماعية أو أراضــي الجيش) أو مســتأجرة أو مشــروكه أو مرهونة، وتتميز بالوســائل المالية والتقنية التي يسـخرها الفرد أو الجماعة، لتنظيم اســتغلالها الفلاحي. كما نميز فيها بين حيازة ملك الأرض، وحيازة بدون أرض (تهم على الخصوص: تربية الماشية، أو تربية النحل، أو الدواجن)، أي أن الحيازة تكون متخصصة في الزراعة أو في تربية الماشية، ويمكن أن تكون متعددة الوظائف الإنتاجية أي ممارســة الزراعة وتربية الماشــية، وهذا النوع من الحيازات هو السـائد بالدول النامية. ومن هنا فإن الحيازة تختلف عن الملكية.

يتم تسيير الحيازات الفلاحية عن طريق الاستغلال المباشر، عندما يكون صاحب الأرض هو المستغل المباشر لملكيته أو حيازته، والاستغلال غير المباشر إذا تم ذلك بواسطة اتفاق أو عقد بين مالك الأرض وفلاح آخر يكون هو المستغل (كراء، شراكة...).

1-2-6. نمط الاستغلال المباشر

يحدد هذا الشــكل من اســتغلال الحيازة حينما يكون المالك هو المســتغل الوحيد. وفي هذه الحالة يحدث تطابق بين الملكية والحيازة. فالمالك هو الذي يتخذ القرارات بحيازته ويســيرها ويكون مالكا لوســائل الإنتاج المرتبطة بالأرض. ويســود هذا الشــكل بالملكيات الصغيرة، أو الاستغلاليات العائلية، حيث يرتبط الإنتاج وقوة العمل بحجم العائلة.

ساعد تزايد الاستغلال المباشر على الانتشار الواسع للمكننة والعمل المأجور سواء في الأشغال الفلاحية أو في تدبير وحراسة الأرض المستغلة، مما ساهم في تذويب المشاكل المتعلقة بالقطع البعيدة خصوصا بالنسبة للفلاحين المتوفرين على الإمكانيات المادية.

يساهم ارتفاع نسبة الاستغلال المباشر في تنمية القطاع الفلاحي بشكل كبير، نتيجة الأهمية التي يوليها الفلاح لأرضه والمجهودات التي يبذلها في سبيل مضاعفة الإنتاج، عكس الاستغلال غير المباشر الذي يجعل "الخماس" أو "الرباع"... قلما يعير الاعتبار لتنمية الاستغلالية.

2-2-6. نمط الاستغلال غير المباشر

يسود هذا النمط عندما لا يستغل المالك الحيازة الفلاحية بنفسه، بل يفوض تدبير شؤونها إلى شخص آخر. ويتخذ هذا النوع أشكالا متعددة ومعقدة أحيانا، تعوق، بشكل كبير، تطور القطاع الفلاحي، نذكر منها:

- **إجارة زراعية، كراء:** عملية إيجار أو تأجير أراضي زراعية مقابل مبلغ مالي يُتفق عليه بين المستأجر والمالك.

- **البيزرة:** تنتج عن مساهمة الشريك بنصيب من المال والعمل، لكن المالك هو الذي يحدد نوع المزروع ويقرر بيع المنتوج، مقابل نصيب يرجع إلى الشريك بعد نهاية السنة الفلاحية.

- **الخماسة:** أساسها اتفاق عرفي، يتم بموجبه تقسيم وسائل الإنتاج الفلاحي إلى خمسة أقسام وهي الأرض، والدواب، والبذور، والعمل والمصاريف. حيث يحصل الخماس، وهو القائم باستغلال الأرض، على خمس الإنتاج. غير أن هذه العملية تختلف باختلاف المنتوج وأهمية مردود المحاصيل. فقد يحصل على الربع ويسمى الرباع. وهذا النمط التقليدي من الاستغلال في طريق الانقراض.

- **الشركة:** من أهم الأنواع السائدة في العالم، نتيجة العجز الذي تعانيه الفلاحة التقليدية في وسائل الإنتاج. وبالتالي، فإن المزارعين يضطرون إلى التعاون فيما بينهم لمواجهة نوعية النقص الذي يعانون منه. وتشمل الأراضي ووسائل الإنتاج معا.

- تعاونيات : تهم جانبا من الفلاحة، إما الزراعة أو تربية الماشية، أو هما معا. فالتعاونية هي مؤسسة تضم عددا من الفلاحين. والغاية من وراء إنشائها هو تقديم بعض المساعدات والخدمات للمنخرطين لتطوير الإنتاج دون السعي إلى تحقيق الربح.

تختلف وتتعدد أنظمة وطرق الاستغلال، حسب التقاليد الاجتماعية الخاصة بكل جماعة وحسب حجم الملكية أو نوعيتها أو أنظمتها القانونية، فردية كانت أم جماعية، وحسب النظام السياسي والاقتصادي السائد في البلد. وبصفة عامة يمكن أن نؤكد بأن أنماط الاستغلال تتغير خاصة بالنسبة للملكية الفردية التي تنظمها قوانين شرعية واتفاقيات عرفية، حسب المكان وخصوصية المجتمع.

3.6. أنواع الزراعات

- زراعة الكفاف: وهي زراعة تقوم على الاكتفاء الذاتي، ويركز فيها المزارعون على زراعة المنتوجات التي تكفيهم لإطعام أنفسهم وعائلاتهم. وتشمل مجموعة من المحاصيل والحيوانات التي تحتاجها الأسرة لإطعام وكساء أعضائها خلال الموسم الفلاحي.

- زراعة معاشية: هي أحد أنواع الزراعات المنتشرة على مساحات كبيرة من العالم، تهدف إلى توفير المواد الغذائية للمزارعين والسكان المحليين. لكن مردوديتها الهزيلة قد لا تسمح بالتجارة إلا نادرا، بل يتم تخزين قسط من المنتوج من أجل التغذية. ويساهم هذا النوع من الزراعة بـ 20 % من الإنتاج العالمي للغذاء بسبب الممتهنين لها.

- زراعة واسعة: هي نظام إنتاج زراعي يوجد حيثما تكون الأرض شاسعة والسكان قليلون، وبالتالي تكون نسبة الملكية الفردية ضعيفة، حيث يعتمد المزارعون على الآلات الميكانيكية نظرا لقلة اليد العاملة واتساع مساحة الأراضي القابلة للزراعة، وقد ساعدت الآلات، بالإضافة إلى إنشاء الطرق وتسيير سبل النقل، وحاجة الإنسان المتزايدة إلى المواد الغذائية، والمواد الخام، على زراعة مساحات كبيرة من الأراضي. ورغم الضعف النسبي للإنتاج في هذا النوع من الزراعة، فإنها تحقق فائضا إنتاجيا يزيد عن حاجات القائمين بها، فيتم تسويقه.

- زراعة كثيفة: هي عبارة عن نظام زراعي يعتمد على الكثير من المدخلات مثل: الاستخدام الواسع للتقنيات الحديثة في الإنتاج، والسقي، والاعتماد على المبيدات والأسمدة

والبذور المنتقاة، وزراعة الأرض أكثر من مرة في السنة، وبالتالي الحصول على أكثر من محصول في السنة. كما تعتمد على تربية عدد كبير من رؤوس الماشية بطرق حديثة وعلى مساحة ضيقة جدا.

7. التهيئة الريفية وتنظيم المجال الفلاحي بالعالم

1.7. مفهوم التهيئة الريفية

يعتبر تنظيم المجال طريقة مثلى، يحاول الإنسان أن يرتب بها مكونات مجال عيشه تحقيقا للرفاه، وذلك باستغلال الموارد التي ينتجها بشكل أمثل. فالتهيئة الريفية هي مجموع التدخلات العمومية الرامية إلى توفير التجهيزات والبنيات التحتية والخدمات العمومية، وأعمال الإعداد والاستصلاح بشكل مندمج قصد تطوير الاقتصاد والمجتمع وتحسين مستوى العيش.

2.7. . التهيئة الريفية وتنظيم المجال الفلاحي بالبلدان النامية، حالة المغرب

أولى المغرب في مخططاته الاقتصادية والاجتماعية أهمية بالغة للقطاع الفلاحي بصفة خاصة والمجال الريفي بصفة عامة، مستهدفا بذلك تحقيق الأمن الغذائي وخلق فرص الشغل للساكنة، بالإضافة إلى توفير الخدمات الاجتماعية وتشييد البنيات التحتية. ورغم المجهودات المبذولة في هذا الشأن، فإن القطاع الفلاحي والمجال الريفي بالمغرب لازالا يعانيان من عدة إكراهات وصعوبات ترتبط بعضها بخصوصيات الوسط الطبيعي، وبعضها الآخر، بالأبعاد التنظيمية.

إن المتتبع لمسار التهيئة الريفية التي قامت بها الدولة المغربية طيلة الفترة الممتدة من بداية الاستقلال وإلى يومنا هذا، يقف على تعدد للمشاريع والبرامج الكبرى المنجزة لتنمية القطاع الفلاحي وتأهيل المجالات الريفية. غير أن نتائجها على أرض الواقع ظلت متواضعة. نعم إن استقراء بعض المؤشرات الخاصة بمساهمة قطاع الفلاحة في الناتج الداخلي الخام والتي لا تتعدى نسبة 14%، وكذا مساهمة القطاع في التشغيل والتي لا تتجاوز 40 % (73% بالعالم القروي). وملاحظة أهمية نسبة مساهمة القطاع في الصادرات الوطنية (ما بين 12 % و25 %). وملاحظة استمرار معاناة المجالات الريفية على مستوى نقص الخدمات العمومية من ماء صالح للشرب وكهرباء، رغم مجهودات الدولة لتعميم هذه الخدمات في

العالم القروي، وكذا ضعف البنيات التحتية من طرق ومنشآت فنية... تفضي إلى أن نتائج القطاع ظلت دون المنتظر.

جدول رقم 2: بعض المشاريع الكبرى المندمجة لتهيئة الأرياف المغربية

اسم المشروع	أهدافه	المناطق المعنية
مشروع التنمية الاقتصادية القروية للريف الغربي	- فك العزلة والتهميش عن منطقة جبال الريف. - محاربة مشكل التعرية بواسطة التشجير. - التخفيف من مشكل الهجرة الريفية. - إعادة إسكان 2.7 مليون نسمة من سكان القرى.	مناطق جبال الريف الأوسط الغربي: طنجة، تطوان، الحسيمة، الناضور، فاس
مشروع حوض سبو	- الرفع من المساحة المسقية بمد قنوات الري. - إدخال الزراعات الكثيفة والصناعية. - مضاعفة القدرة الإنتاجية للحوض سبع مرات. - خلق مناصب شغل لسكان الأرياف بالمنطقة. - الحد من الهجرة القروية نحو المدن الساحلية.	المناطق التي يغطيها حوض سبو: أزمور، سايس، هضاب وتلال مقدمة الريف، جزء من الاطلس المتوسط، سهل الغرب.
مشروع إنعاش وتنمية أقاليم الشمال اقتصاديا واجتماعيا	- التنمية المندمجة لأقاليم الشمال اقتصاديا واجتماعيا. - القضاء على مظاهر التهميش بالمنطقة وإدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني. - عقلنة استغلال الموارد الطبيعية بالمنطقة. - تقوية النسيج الإنتاجي وخلق مناصب للشغل. - المساهمة في أعمال التهيئة بالمنطقة.	أقاليم وعمالات: طنجة- أصيلة، الفحص بني مكادة، العرائش، تطوان، شفشاون، الحسيمة، تاونات ثم تازة.
استراتيجية 2020 للتنمية القروية بالمغرب	- تهيئة المجال الفلاحي وحماية البيئة. - تحسين البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية. - توفير الخدمات العمومية الأساسية بالأرياف. - تنويع الأنشطة الاقتصادية بالعالم القروي.	المناطق والأقاليم المغربية الأكثر فقرا (البور، الجبال، الواحات) ...وبقية المناطق المهمشة.

مخطط المغرب الأخضر 2010-2020	- تطوير وتنمية فلاحية تنافسية وعصرية ومندمجة وذات قيمة مضافة وإنتاجية عاليتين، موجهة بالأساس نحو التصدير. - التأهيل التضامني للنسيج الإنتاجي لصغار الفلاحين الموجودين بمناطق هشة لفائدة 840 000 فلاح مستهدف - الزيادة في حصة القطاع الفلاحي في الناتج الداخلي الخام. - خلق 1500000 منصب شغل جديد في أفق 2020.	المناطق الفلاحية المغربية
الجيل الأخضر 2020-2030	- تعزيز سلاسل الإنتاج الفلاحي - تحديث قنوات توزيع المنتوجات - الجودة والابتكار والتكنولوجية الخضراء - فلاحة مقاومة للتغيرات المناخية	المناطق الفلاحية المغربية

المصدر: مختلف التقارير الرسمية: من تركيب فريق البحث

خـــاتـــمة

تهتم جغرافية الأرياف كتخصص علمي بدراسة المجالات الريفية كميدان لعمل الإنسان كمنتج ومستهلك وموزع، ودراسة المجال بما يحمله من موارد فعلية وأخرى كامنة بمختلف مستوياتها، وبالإنسان بما توفر لديه من ثقافة ومعرفة لاستغلال مجاله، ونوع العلاقة القائمة بين الموارد والإنسان. كما يهتم التخصص بدراسة البنيات الاقتصادية وأساليب الاستغلال والتقنيات المستعملة، ونوع تنظيم المجال الموروث، وتتبع المجهودات التي تبذل في إعداده، ونوع التحولات التي تطرأ عليه والتي تنعكس على بنية مشاهده.

ويعتبر اهتمامنا بوضع قائمة مصطلحات ومفاهيم علمية ذات الصلة بجغرافية الأرياف ومحاولة تعريفها بشكل دقيق إلى تمكين الطالب الجغرافي من استيعاب مضمون هذا التخصص بالشكل المطلوب، والتمكن من تمحيصه واستدخال المفاهيم والمناهج المرتبطة به.

- **قائمة المفاهيم والمصطلحات باللغات الثلاث**

الرقم	اللغة العربية	اللغة الفرنسية	اللغة الإنجليزية
1	إصلاح زراعي	Réforme Agraire	Agrarian reform
2	أنشطة غير فلاحية	Activités Nom Agricoles	Non-farming activities
3	بادية	Campagne	Countryside
4	بنية زراعية	Structure Agraire	Agrarian structure
5	بوار اجتماعي	Friche Sociale	Social Wasteland
6	تربية الماشية	Elevage	Breeding
7	تمدن الأرياف	Urbanisation des campagnes	Rural urbanisation
8	تناوب زراعي	Assolement	Crop Rotation
9	التهيئة الريفية	Aménagement Rural	Rural Planning
10	جغرافية الأرياف	Géographie Rurale	Rural Geography
11	جغرافية زراعية	Géographie Agraire	Agricultural geography
12	جغرافية فلاحية	Géographie Agricole	Agrarian Geography
13	حيازة	Exploitation Agricole	Farming
14	دوار	Douar	Rural Settlement
15	الرستاق	Terroir	Terroir
16	زراعة الضريم	Culture sur Brulis	Slash-and-burn agriculture

Rainfed Farming	Culture Bour	زراعة بورية	17
Commercial Agriculture	Culture Commerciale	زراعة تسويقية	18
Intensive cultivation	Culture Intensive	زراعة كثيفة	19
shifting cultivation	Culture Itinérante	زراعة متنقلة	20
Irrigated Farming	Culture Irriguée	زراعة مسقية	21
Subsistance cultivation	Culture de Subsistance	زراعة معاشية	22
Extensive farming	Culture Extensive	زراعة واسعة	23
Rural dwelling	Habitat Rural	سكن ريفي	24
Dispersed habitat	Habitat dispersé	سكن متفرق	25
Grouped habitat	Habitat groupé	سكن متجمع	26
Village	Le Village	القرية	27
rural territory	Territoire Rural	المجال الريفي	28
Farming area	Espace Agricole	المجال الفلاحي	29
Finage	Le Finage	المحاط	30
Parcel	Parcelle	مشارة	31
Agrarian Landscape	Paysage Agraire	مشهد زراعي	32
Land Status	Statut Foncier	النظام العقاري	33
Cultivation system	Système de Culture	نظام زراعي	34
Fallow land	Jachère	بور أو شيم	35

Livestock	Cheptel	قطيع	36
Pasture	Pâturage	مرعى	37
Transhumance	Transhumance	انتجاع	38
Agricultural	Agriculture	فلاحة	39
Oasis	Oasis	واحة	40

بيبليوغرافية مساعدة

1. باللغة العربية

- **اقيوح الحسين (2020):** تاريخ الفكر الجغرافي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء
- **بلفقيه محمد (1988):** أوليات في الجغرافية الزراعية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية.
- **بلفقيه محمد، فضـل الله عبد اللطيف (1983):** المصـطلحات الجغرافيـة، معجم فرنسي- عربي، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- **بوشـتى الخزان وآخرون (2018):** المعرفة الجغرافية للمجال الريفي المغربي بين التشخيص والإسهام في التنمية، مجلة مقاربات، العدد 33 المجلد 17.
- **جنان لحسن** (2010): العالم القروي في البحث الجغرافي، مجلة دفاتر جغرافية، العدد السابع مطبعة آنفو- برانت، صص 9-33.
- **جنـان لحسـن** (2021): البـاديـة المغربيـة في البحـث الجغرافي: قراءة في تطور الإشـكاليات والمناهج، ورد في تنسـيق (على بنطالب وآخرون)"البادية المغربية: الذاكرة والتحولات، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، صص (35-60)

▪ **جنان لحسن** (2021): الجغرافية القروية من المقاربة الكلاسيكية إلى النظرة المعاصرة، منشورات مؤسسة مقاربات النشر والصناعة الثقافية- المغرب

▪ **ضايض حسن** (2021): في معجم الجغرافيا الفلاحية، شرح وتفسير، مطبعة آنفو- برانت، فاس.

▪ **الطاك بوطيب** (1996): تحولات العالم القروي، المشهد الريفي كمقاربة مجالية، إمكانياتها وحدودها، ورد في تنسيق (محمد الأسعد، محمد مدينة)" تنمية الأنظمة الريفية للشاوية وقضايا منهجية حول المجال الريفي بالمغرب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء، صص 157-163.

▪ **عبد اللطيف الصاوي** (2000): الخطاب الفرنسي حول الأرياف المغربية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

▪ **العلوي إسماعيل** (2018): دور البادية والأرياف في تاريخ المغرب، مجلة أمل، العدد 50، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

▪ **كرزازي موسى** (2010): (تنسيق) تمدن البوادي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة. ندوات ومناظرات رقم 162، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

▪ **كرزازي موسى** (2018): تهيئة الأرياف وتنميتها في إطار الجهوية المتقدمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، عدد مزدوج 37-38، خاص بمناسبة مرور ستين سنة على تأسيس الكلية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، صص271-298.

▪ **المباركي حسن** (1996): التحديث الريفي والمعالجة الجغرافية بين الأهمية المنهجية والفائدة الإجرائية، ورد في تنسيق (محمد الأسعد، محمد مدينة)" تنمية الأنظمة الريفية للشاوية وقضايا منهجية حول المجال الريفي بالمغرب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء، صص 149-156.

▪ **المباركي حسن** (2010): دور جغرافية الأرياف في تدعيم التكوين الجغرافي- تحليل وتقويم ورد في (تنسيق الأسعد محمد)"تقييم التعلمات في الجغرافية الجامعية، مطبعة بيست أمبريمري، الدار البيضاء.

▪ **المختار الأكحل، عبد العالي فاتح، محمد حنزاز**، (تنسيق)، (2016): تنظيم وتهيئة المجال الريفي: أبحاث وتدخلات. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

2. باللغة الفرنسية

▪ CHALEARD Jean- Louis, CHARVET Jean- Paul (2004) : Géographie agricole et rurale, Cours-document- entrainement, Editions Belin.

▪ FEJJAL, A. et GUERRAOUI, D. (1997) : Activités non agricoles et développement des zones rurales, Note à partir d'une réalité dans la région de Fès, in Les zones défavorisées méditerranéennes, pp 298- 307.

▪ GONIN Alexis, Christophe QUEVA (2018) : Géographie des espaces ruraux, Edition Armand colin

▪ Gérard Fay (2015) : Collectivités, Territoires, et mal-développement dans les campagnes marocaines. Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, Série : Essais et recherches, n° 73, éditions, Bouregreg Impressions.

▪ LAZAREV Grigori (2012) : Les politiques agraires au Maroc 1956 – 2006, Un témoignage engagé, Imprimerie, El Maarif Al Jadida, Rabat.

▪ LAZAREV Grigori (2014) : Les structures agraires au Maroc, une mise en perspective historique, Imprimerie Bouregreg, Rabat.

▪ LAZAREV Grigori (2014) : Ruralité et changement social, études sociologiques, Imprimerie Bouregreg, Rabat.

▪ NONJON Alain (1992) : Concepts et Mécanismes de géographie économique contemporaine. Ed. Ellipes, Paris, p.99.

■ JENNAN. Lahcen. (1996) : La pluriactivité en milieu rural marocain, quelle approche, quelle interprétation, in développement des systèmes ruraux Chaouia et méthodologiques pour étude de l'espace rural au Maroc, Publication de FLSH, Ben M'Sick, Casablanca, pp 154- 163.

■ KERZAZI Moussa (2003) : Migration rurale et développement au Maroc, Pub- FLSH-UM5, Série Thèses et Mémoires, N° 55, Imprimerie, Najah el Jadida, Casablanca.

▪ ZEROUALI Allal (2015) : Terminologique en Géographie Humaine et Economique Français-Arabe, Imprimeur, Empreinte Numérique, Oujda.

الفصل الثامن

السكن الريفي وأبعاده السوسيومجالية.

تأليف: محمد أيت حمزة[1]

مدخل

يهدف إدراج هذا الفصل ضمن الكتاب الخاص بأساسيات الجغرافية البشرية إلى تحقيق ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول، إثارة انتباه الباحثين في جغرافية الأرياف إلى دراسة السكن كعنصر هام من المشهد، حيث يفوت تَجاهله أو تهميشه على الباحث ملامسة أهم عنصر في المنظومة الريفية، وذلك رغم ما يوفره من إفادات معرفية ومنهجية، قد لا نصادفها في غيره؛

المقصد الثاني، ويكمن فيما تُوفره دراسة السكن من رواشم ذات جذور في التاريخ من معلومات حول الابعاد الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل والثقافية؛ رواشم قد تساعد على تفسير الكثير من الظواهر، التي لها جذور في الماضي، ونتعايش معها في الحاضر، وتستمر فيما بعد لتتعايش معها الاجيال المقبلة. وهي صنف من الدراسات لا تستقيم إلا بالاستعانة بمجمل العلوم سواء منها "الحقة" مثل الجيولوجية، المناخ، البيولوجية أو الانسانية (الصحة، الديموغرافية، الاقتصادية، الاجتماعية، السياسة...)؛

المقصد الثالث بيداغوجي، ومفاده أن السكن يوفر للباحث المبتدئ مادة مرئية ملموسة تُمْكِن ملاحظتها وتمحيصها، مما يسمح بطرح إشكالية العلاقة بين المشهد والعناصر المكونة له، والتنبؤ بما ستكون عليه تلك العلاقة لو تغيرت احدى مكوناتها.

[1] أستاذ التعليم العالي، جامعة محمد الخامس، الرباط

مقدمة

لم تعد التحولات التي يشهدها الفضاء الريفي العالمي عامة، والمغربي خاصة، بحاجة إلى إثبات. فقد فرضت نفسها إن على مستوى حجمها وسرعتها أو طبيعتها العامة أو آلياتها، مما يستدعي التعمق في تحليلها من أجل فهم أسسها وأبعادها على المركب الاجتماعي-المكاني.

ويعتبر السكن الريفي أهم عنصر يمكن من تولفة مجمل هذه التغييرات، وإن ظل يفتقر إلى دراسات أكاديمية جدية، ودراسات تروم الجوانب التطبيقية، لتعضد عمل الأقسام المسؤولة عن التخطيط والاعداد الترابي.

وترنو هذه المساهمة، رغم عدم شموليتها، إلى تشْخيص مكونات المركب السكني في علاقتها الحقيقية أو المحتملة مع المحفزات الداخلية والخارجية، اجتماعية كانت أم سياسية أم اقتصادية. وهي تغيرات يبرز أثارها على مرفولوجية المشهد الريفي ومكوناته، بل وطرق اشتغاله.

وتستند الملاحظات الواردة في هذا العمل، على العديد من القراءات لأعمال المتخصصين، ولكن وبدرجة لا تقل أهمية على أعمال ميدانية تم إنجازها عبر التراب المغربي، إما في إطار المشاريع الأكاديمية أو استجابة لطلبات تطبيقية صادرة عن هيئات دولية أو مؤسسات عمومية وطنية.

وقد مكننا استخدام صور الأقمار الصناعية أو الطائرة أو التصوير الرقمي، واعتماد الإحصائيات، خاصة الرسمية منها، من إضفاء لمسة بيداغوجية على محتواها. كما مكنت عملية المزج ما بين هذه الأدوات من صياغة بعض الفرضيات التي تشرح تنوع المشهد الريفي الناتج وتحولاته، ولو جزئيًا.

وتسهيلا لتتبع مراحل معالجة هذا الموضوع، ولتقريب مقاصده من القارئ، خصصنا منطلقات هذه الدراسة للمغرب وجزأناها إلى ثلاثة محاور رئيسية: تطرقنا في المحور الأول إلى مجمل النظريات والمفاهيم التي تستعمل في هذا الصنف من الاشغال العلمية؛ بينما تناول المحور الثاني، اشكالية السكن وإعادة هيكلة المجال الريفي المغربي، وأسهبنا في تحليل التحولات التي عرفها المغرب خلال فترة الاستعمار وما بعدها؛ وأفردنا الجزء الثالث للحديث عن التحولات التي شهدها السكن الريفي وإشكالية إعداده. ثم ذيلنا حديثنا ببعض الخلاصات العامة.

1. الإطار النظري والمفاهيمي

يشير مفهوم الفضاء الريفي، عمومًا، إلى كل ما هو غير حضري[2]، مع العلم أن هذا المفهوم ليس موحدًا ولا ثابتًا، بل أن الطابع الحضري المميز لبعض المجالات يمكن أن يَلحق بالريف بمجرد تغيير بسيط صادر عادة عن قرار إداري وذي طابع سياسي.

1.1تعريف المجال الريفي

تقليديا نعني بالريف مجموع المساحات التي يسود فيها النشاط الزراعي، عكس الحضر حيث تسود أنشطة القطاعين الثاني والثالث. ويتم التعبير عن هذا التصور السلبي، الخاطئ أو الحقيقي، من خلال العديد من السمات التي تلصق بهذه المجالات وقاطنيها: "إنها مجالات ريفية، زراعية، رعوية، سكانها من سكان الريف، الفلاحين، المزارعين، أو الحرفيين، أبناء الأرض، ... "

وبالتالي فإن فكرة الريف تشير إلى إقليم ما، ولكن أيضًا إلى أسلوب حياة وسلوكيات غالبًا ما تُعتبر سلبية: "سكان الريف، أناس أقوياء، محافظون يفتقرون إلى الحضارة"، وهو ما يذكرنا به مسح أجرته المندوبية السامية للتخطيط (HCP، CERED، 1999)[3].

ووفقًا للمسح نفسه، "يحدد جميع المستجوبين تقريبًا أن" الريف "هو عكس" الحضري أو المدني". وهو وصف يعتبر المجال الحضري كأنه متفوق بالنظر "لتطور الأماكن والأشخاص المكونين له"، على عكس "الريف"، الذي يشير ضمنيًا إلى "وضع أدنى، بدائي، يفتقر إلى التطور"، علما أن مفهومي "الفقر والتطور" أيضا مُبهمان وغير قارين. وبالتالي، هناك صلة وثيقة بين نمط تمثُل النشاط الزراعي وإجراءات تصنيف الريف مقابل الحضر. حيث يُنظر إلى الزراعة على أنها نشاط "بدائي ودنيء" أو "أساسي"، وبالتالي فإن المجال الذي تهيمن فيه

[2]) إن هذا التعريف، زيادة على أنه يوحي بقطبية التفكير حيث لا يتصور الأرياف إلا انطلاقا من المدن، ويضمر من ورائه القول بأن المدن أرقى وأنها المآل الذي يصبو إليه الجميع، مع العلم أنه، ومن حيث الكرونولوجيا، الأرياف أقدم. التعريف، أيضا تفرد بأنه عرف المجهول بالمجهول. حيث لم يعرف لا المدينة ولا الريف.

[3]) تعتبرالمندوبية السامية للتخطيط الجهاز المسؤول على إجراء الدراسات الاجتماعية والديموغرافية بالمغرب (مركز الدراسات والأبحاث الديموغرافية (CERED وتنفيذ التعدادات العامة للسكن والسكان (RGPH).

ينحسر في مستوى بدائي أو أولي، بالنسبة لمستوى التطور المفترض في الأنشطة الأخرى والمجالات التي تُزاول بها.

هذا النمط من تمثيل الريف يتجاوز مجرد البعد الاقتصادي للفضاء ليعكس مستوى تطور البيئة الريفية بأكملها والسكان الذين يعيشون هناك. "سكان الريف" هم إذن صورة لفضائهم والنشاط الاقتصادي المهيمن، "البدائيين" الذين يعيشون على عرق ما ينتجونه، بقلوب وأيادي خشنة، نتيجة الكدح والفقر السائدين في محيطهم. فهم "يعيشون، منغلقين على أنفسهم. مثل ماشيتهم " يشير تقرير صادر عن (HCP / CERED، 1999).

في المغرب ووفقًا للإحصاء العام (2014) ، يشير مفهوم المجال الريفي إلى كل مساحة ذات كثافة بشرية منخفضة (55 شخصًا للكيلومتر المربع). علما أن 20٪ من البلديات الأقل سكانًا بالمغرب لا يتجاوز متوسط حجم سكانها 2979 نسمة، حسب نفس الاحصاء. ويتركز بها 3٪ من مجموع سكان المغرب فقط. بينما يبلغ متوسط حجم البلديات الأكثر سكانا 67.536 نسمة، أي نسبة 20 ٪ وتمثل 67.5 ٪ من إجمالي السكان. وبذلك فإن من بين 75 إقليما وعمالة تشكل مجمل الأراضي المغربية[4]، 62 إقليما يغلب عليها الطابع الريفي. وتشمل عددًا من السكان يقدر بنحو 13.415.803 نسمة، يقطنون في حوالي 40 ألف دوار أو تجمع سكني، عام 2014[5].

وقد لا يمثل ضعف معدل الخصوبة السبب الوحيد لانخفاض الكثافة السكانية، بل مؤشر نقص للمرافق الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى هيمنة نمط عيش مرتبط بما يسمى بالأنشطة الأولية. وبالمقابل نجد ضعف الكثافة السكانية بالبلدان المتقدمة

---

4) تعتبر بلدية تيفاريتي (55 نسمة) بإقليم السمارة أقل بلدية اكتظاظًا بالسكان وبلدية آيت عميرة (إقليم شتوكة أيت باها) الأكثر اكتظاظًا ب (76،646 نسمة) حسب إحصاء 2014

5) يستخدم جهاز الإحصاء مفهوم الدوار علما أنه غير متداول بين أغلبية سكان الأرياف خصوصا المتحدثة بالأمازيغية (المصطلحات المستخدمة هي: دوار، دشر، لقصر، إيغرم، لموضع، تقبيلت). يختلف عدد هذه التجمعات من مصلحة إلى أخرى. الرقم المعتمد في البرنامجين الرئيسيين للكهرباء والماء الشروب يقارب 40 ألف قرية. وبلغ معدل الربط بالكهرباء 99.43٪، ب 39445 قرية (PERG).

يؤشر إلى فلاحة تعتمد على المكننة والانتاج الفلاحي التسويقي (الولايات المتحدة)؛ إنها مقارنة وتصور يقود إلى نشوء مشاعر سلبية تجاه ارياف البلدان المتخلفة وقاطنيها:

- هذا الشعور المفرط بالوضع الدنيء، يثير التساؤل حول نجاعة المجهودات التي تبذلها الدولة لتطوير وتحديث المناطق الريفية، وحول أهمية ما استفادت منه هذه المجالات من عمليات تطوير الأنشطة، وتوفير وسائل الراحة وحول جدوى الانفتاح الذي يشهده السكان؛

- الشعور بإهمال وتهميش للمساهمات الريفية كمساحة تنتج الثروة (مواد أولية، منتجات فلاحية، مصادر طاقة، بالإضافة إلى ما يوفره من الطاقات البشرية "مهندسين، جنود، يد عاملة، فنيين، إلخ." علما أنه يوفر أيضًا مساحات ترفيهية لسكان المدن، الذين، بدون المساهمات المذكورة أعلاه، سيجدون صعوبة في الوجود والبقاء على قيد الحياة.

- الاعتراف بأن الريف يتميز باستخدام الأراضي الزراعية في الغالب، كلام أيضا قد تُجُوّز؛ ففي المغرب وفي غيره من البلدان، الريف لم يعد يعني مجالا، يرتبط مُجمل سكانه بالنشاط الزراعي وحده، لأن نسبة كبيرة من سكان الأرياف، تعمل في قطاعات التعليم والصحة والإدارات المحلية، بل وفي الصناعات الخضراء واستخراج المعادن والمؤسسات السياحية (المزارع، والفنادق، ودور الضيافة، وملاعب الفروسية، ...)، والمجمعات الحرفية للصناعات التقليدية (المناشر، ومصانع النسيج، إلخ.)

فقد أدى تطور وسائل الاتصال وسهولة التنقل إلى تكثف التفاعلات بين المجالات، أكثر فأكثر، وخلق تداخل وترابط بين الريف والمساحات الحضرية الوطنية والدولية. مما ساهم في إضفاء الطابع الريفي على المدن (ruralisation des villes)، وتنامي تمدين الأرياف (l'urbanisation des campagnes) الذي أصبح واقعا ملموسا. حيث تم تجاوز الحقائق المكانية لمحتوى المفهومين، لتؤثر على السلوكيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسكان. كما تنامت بعض الدوائر الزراعية ليتجاوز مستوى أهلها، مستوى سكان الحضر، وتنامت "الزراعة الحضرية" (l'agriculture urbaine) ليحظى مفهومها أيضا بإعجاب كبير من قِبل مخططي المدن الجديدة، في حين حافظ سكان المدن التقليدية، وإلى عهد قريب، على بعض رواشم الثقافة الزراعية داخل الدوائر الحضرية (العرسة، النزهة، السانية،

الجنان)، قبل أن يزحف عليها الاسمنت والمباني[6]، لتظهر الضواحي شبه حضرية أو التي تتأهب لتنضم إلى الحضر .(la banlieue)

وبالتالي، يمكن أن يختلف تعريف المجالات "الريفية" اختلافًا كبيرًا وفقًا لاختلاف الأزمنة والأمكنة، ودرجة انفتاحها. فالتسمية التي ظهرت في كتب الجغرافيا، والتي تبنتها الأجهزة الرسمية، بجمودها، بعيدة كل البعد عن واقع الحال. فقد تمت إعادة هيكلة المجالات الريفية وبشكل جد متطور ومتنوع للغاية، حسب الإمكانات الطبيعية، ووفقًا لتدخلات الدولة وللعلاقات التي نسجها كل مجال مع الأقطاب الحضرية المُهيكلة إقليميا ووطنيا ودوليا.

2.1 مفهوم السكن الريفي وديناميته

1.2.1- معنى السكن الريفي

السكن الريفي، ببساطة، هو شكل من أشكال المآوي التي يقيم بها الانسان لحماية نفسه من الحر والقر ومن الآفات البيئية المختلفة، وقد لا يمكن دراسته كظاهرة خارج هذا السياق المسؤول عن تطورها وعن فِراسة القائمين على بنائها. فَفهمُ تركيبتها وبنايتها يتطلب فهم بيئتها الطبيعية والبشرية، بل ومجمل العناصر المسؤولة عن تحولاتها عبر الزمان والمكان.

فتسهيلا للمعنى يتميز السكن الريفي عن نظيره الحضري بضعف كثافته أولا وبمورفولوجته ثانيا، وبخصوصية وظائفه ثالثا، حيث يتميز شكله الخارجي العام بخاصية التشتت أو التجمع، وهما خاصيتان تطرحان على دارسي المشاهد الجغرافية اشكالية الأصل في تشتت السكن أو تكتله. وقد لا يسمح المقام بدراسة كل الأشكال الوسطى بين الصنفين؛

يرى الباحثون أن مربي الماشية عادة يميلون إلى السكن المتفرق سعيا وراء توفير المجال الأوفر للرعي، بينما يغلب طابع السكن المتجمع عند المزارعين المرتبطين بالسقي والبستنة، حفاظا على الأتربة (صورة رقم 1) أو تسهيلا للمراقبة والعناية (الواحات). ويصعب تحديد العوامل المتحكمة اصلا في اختيار نموذج دون آخر، فهي طبيعية، ثقافية، اجتماعية،

---

[6]) العرسة (ج) العراسي: كلمة عربية وتعني شكلا من الحدائق الحضرية، المعروفة منذ زمن طويل في المدن التقليدية مثل سلا ومراكش وفاس والرباط ... وهي تختلف في طريقة تدبيرها عن حدائق العمال التي نصادفها في المدن الصناعية الأوروبية.



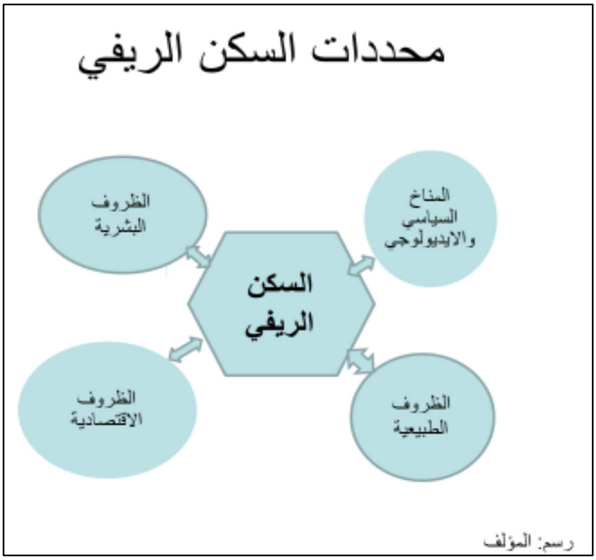
اقتصادية وأحيانا سياسية. وتكمن أهمية ملاحظة ودراسة المشهد، في البحث عن هذه العوامل التي تحمل جزء من العناصر المفسرة، علما أن تطور المشاهد قد لا يخضع دائما لنفس المنطق، حيث نلاحظ ظهور السكن المتفرق بعد نمو استعمال الضخ الآلي في ميدان السقي مثلا (الواحات)، أو بالمجالات البورية المنزرعة (الشاوية)، أو حيث تنمو الزراعات المطرية، مثل الألب السويسرية (صورة رقم 2) أو حيث طورت نقط البيع عند مفترق الطرق، بالنظر لضرورة اللجوء إلى التخزين والتصدير (Bourgs).

وهي حيثيات لها وقع كبير على بنيات السكن نفسه. والسكن يتكون من وحدات سكنية بالإضافة إلى ملحقاتها، وتشغل كل وحدة أسرة أو عائلة، نطلق عليها: المنزل، الدار، الخيمة، العشة، الحطة... حسب المكونات المادية المستعملة في البناء ونمط عيش المستغلين لها.

ف"**المنزل أو الدار**" هو مفهوم شائع يعبر عن شعور الارتباط بالأرض والتربة عند الكائن الحي. فالمنزل وشم مادي على الأرض يقوم الانسان ببنائه ليشاركه مع ذويه وأحبائه ومجتمعه. فهو المكان الذي يُحصنه باستمرار ويَتعلق به ويُدافع عنه، بل ويُضحي من أجله بالنفس والنفيس. إنه مكان يَشعر فيه صاحبُه بالأمان من الحيوانات المفترسة والأخطار الطبيعية والبشرية، بغض النظر عن طبيعته وحجمه وأهميته، فيمكن بذلك أن يكون الموطن منزلًا أو خيمة أو كهفًا أو حفرة أو عشًا. فهو مساحة لا غنى عنها لحياة طبيعية، ولا تختلف وظيفته عن وظيفة الطعام والهواء. فالمنزل يشكل المكان الذي نُولد ونَنمو داخله، والبيئة التي نُطور فيها المشاعر العشائرية والانتماء الإقليمي. فهو جزء من التراب نغادره، في الحالات العادية الطبيعية فقط، لإعادة شحن البطاريات والبحث عن الطعام، ثم نعود إليه مباشرة بعد ذلك، توخيا للاطمئنان والراحة أو هروبا من قهر كائن أو ظروف طبيعية.

سكن ريفي مشتت بجبال الألب بسويسرا صورة 2:





يتميز السكن الريفي عن نظيره الحضري بكثافته الخافتة المتلاشية، ولكن أيضًا بوظيفته كأداة إنتاج ومكان للإقامة، ولأجيال عدة. فهو متجذر في البيئة التي أنتجته، حيث ينطبع بخصائصها الطبيعية والبشرية الرئيسية ويعكسها بقوة. يأخذ جذوره من التاريخ، ويحمل شحنة علائقية وثقافية تعكس أشكال التكيف التي يحافظ عليها الإنسان مع بيئته، متأثرًا بعناصر بيئته في الماضي، في الحاضر، ليتوخى التعايش بها مع أجيال المستقبل، بأبعاده المادية وتطلعاته وإكراهاته المعنوية (شكل 1). فالسكن، وباختصار، هو مركب وانعكاس لجميع أشكال التكيف والعلاقات التي يحافظ عليها الكائن مع بيئته. يتطور في نفس اتجاه بيئته وانشغالات قاطنيها.

على عكس المساكن الحضرية، التي تتميز بأشكالها الضخمة، وبكثافتها العالية وبنيات معمارها المستوحاة من النماذج التي ترسخها المدارس العالمية الكبرى، تتميز المساكن الريفية بكثافتها المتلاشية، وتجانسها المعماري، حيث لا يلاحظ تركز خارج مجالات القصور الواحية أو بالمراكز القروية وشبه الحضرية، أو قرى صغيرة أو مزارع معزولة. يمكن تصنيف هذه المساكن بشكل مبسط، إلى منازل متجمعة (أو مركزة)، أو منازل متفرقة، بها فجوات، أو مبعثرة ومعزولة على شكل مزارع عائلية تتوزع حسب ما تمليه العوامل الطبيعية، مثل التضاريس والتعرض وتوزيع نقاط المياه وأنواع التربة، والغطاء النباتي، حيث تَبصُم كل هذه العوامل بآثارها على السكن وبجلاء. ورغم هذا النوع من الحتمية الجغرافية، فالسكن يظل شديد الحساسية للعناصر الثقافية وأنواع الأنشطة السائدة ومستوى التحكم في التقنيات وامتلاك التكنولوجيا ومدى قوة تدخل الأنظمة السياسية - الأيديولوجية.

يتجمع السكن، عادة، على شكل منشئات متقاربة أو متماسكة تسمى رسميا "الدوار". ويطلق عليها محليا اسم "المدشر" أو الدشر" بشمال المغرب و"المُوضع" بسوس، "إغرم أو القصر" بالأطلس الكبير والواحات. ويمكن التعرف عليها بسهولة من خلال المنشئات الجمعاتية (communautaires) أو العامة التي تميزها كالمسجد، والمقبرة والمطفية، والباحات المخصصة لاستقبال الغلل الزراعية والفلاحية (أماكن الدرس، المخازن الجماعية[7]، المطمورات، مناشر تجفيف الفواكه، الباحات المسيجة لاستقبال الدواجن والماشية. كما تتميز أحيانا بوجود أبراج الحراسة والأضرحة. وقد انبثقت عن التدخلات الحديثة ظواهر جديدة مثل الأبراج المشيدة لتخزين الماء وتوزيعه، المدارس بساحاتها الواسعة، الهوائيات لالتقاط الموجات الهرتزية وبرامج التلفاز... إن هذا المجال الذي يبدو للزائر، غير الفطن، بسيطا، يجسد أيضا شحنة ثقافية ثقيلة تميزه وتكمن في حدود شعاع تنقلات سكانه وماشيتهم، وحدود شعاع سلطة الضريح أو الأضرحة التي "تسهر على حماية" المجموعة البشرية وممتلكاتها، وحدود شعاع المسجد وملحقاته (باحة صلوات الأعياد). بالإضافة إلى الحدود التي تغطيها دائرة الدورة المائية وحراسة الغلل، وأعمال كناسة السواقي، وعمليات التآزر الجماعي أثناء القيام بالأشغال الفلاحية "التويزة"، والتعاون في ميدان استقبال الضيوف وأداء الواجبات التي قد تُفرض على المجموعة. حيث تجسد هذه العناصر، شبه الدائمة، المركزية الاجتماعية - المكانية (Centralité socio spatiale). وقد عملت الدولة بواسطة شبكات سلطة مراقبة التراب على تعزيز هذه الحدود أو أحيانا تفكيكها بواسطة حدود السلطات الإدارية للمقدم والشيخ والتمثيليات المحلية المختلفة ومؤسسات الاستقطاب المستحدثة (المحرك الكهربائي، مضخة التزود بالماء الصالح للشرب، المدرسة، النقل المدرسي الجماعي، قاعات التمريض، سيارة الإسعاف، الجمعيات، التعاونيات...). وقد لوحظ أن هذا التعدد في محددات المجال الترابي للتجمعات الريفية، دعم ديناميتها وميولها نحو التفرق والتشتت، بدل أن يدعم تماسكها[8].

---

[7]) أكادير أو إغرم ن الخزين، مبنى جماعي يقام لخزن المؤن، ويعتبر إحدى خصوصيات الأطلسين الصغير والكبير. ويقابل بالمطورة أو تسرافت وإن كانت هذه الأخيرة تحفر في الأرض، أو تازوضة، وتبنى بالحجارة وتعرف بشكل رئيسي في سهول المحيط الأطلسي جنوب الدار البيضاء.

[8]) لقد تبين خلال الدراسات التطبيقية أن اختفاء "اجماعة" ترك فراغا مهولا، حيث لم يعد لهذه التجمعات مخاطب واحد، ذا مصداقية.

1.2.2 - السكن بين الحتمية والقرار

يتشكل تنظيم القرى، حسب ما يمليه تصميمها العام (خطي أو نجمي) حول الساحات المركزية التي تضم المباني الدينية[9] (كنائس، أديرة، مساجد) أو الأسواق. وتحدد العناصر الطبيعية، إلى حد ما، معالم هذا التنظيم. حيث تعتبر المجاري والمنابع المائية أصل تركز المنازل على ضفاف الوديان في غالبية سلاسل الأطلس والريف. بينما تتجنب المساكن قيعان الاودية والمنحدرات القوية لتستقر حيث يتيح لها الموضع مراقبة الحقول وسهولة ولوج القطعان إلى المراعي الغابوية. ومن تم تصطف المنازل وجهاً لوجه على ضفاف الأنهار الرئيسية، مع مراعاة التعريض، وسهولة الوصول إلى مجالات الإنتاج (وادي آيت بوكماز، تساوت، دادس، درعة، تافيلالت، أوريكا، إمليل، أملن، الريف...).

• يستدعي إقامة السكن، وجوبا، الاقتراب من مصادر المياه الدائمة، حيث غالبًا ما تلتئم المباني على شكل تجمعات متماسكة، تنعت بالقصر (حالة الواحة أو مخارج الأودية، ...) حيث يُبرر وجود القصور السبعة بواحة فجيج، بضرورة ضبط مسار القوافل العابرة نحو الصحراء واستغلال منسوب مياه وادي زُزْفانة، ومياه الينابيع العديدة التي أدت إلى ظهور الخطارات وبروز الواحة (Bencherifa & Popp، 1990).

صورة رقم 3: تجمع السكن عند مخرج نهر (الأطلس الصغير)



Source : A. Humbert **2016**

• "(فم = إمي) "، يستخدم هذا المصطلح بكثرة في جغرافيا المغرب، إشارة إلى مخارج الأودية من الجبل أو إلى الممرات الضيقة التي تتشكل عند القمم (Imi n'tizi)، وترتبط هذه المواقع الاستراتيجية بوجود الماء والتربة، كما قد تشكل ممرات (فم الخنك)، تلزم القوافل سابقا على المرور بها. تُعرف هذه المواقع بشكل خاص في مجالات الاتصال بين

---

[9]) عكس المساجد، تحتل الزوايا والمقابر والمدارس، عادة، مواقع هامشية بالنسبة للسكن بالدول الإسلامية، إما لعدم ارتباط وظيفتها بالمعيش اليومي (مزارات الأموات) أو بالنظر للمساحة التي تحتلها، ووضعية الطارئ الذي تحتله المدرسة.

السهل والجبل (قدم الجبال أو الدير)، وهي مواقع استراتيجية تتراكم فيها الاتربة الخصبة وتكثر بها تدفقات المياه، وتستقطب المجموعات السكنية (صورة رقم 3)، حيث يتم استغلال هذه الموارد في تطوير المنتوجات الفلاحية المتنوعة (فم أُودي، فم العنصر، فم لعلام على مستوى دير بني ملال، فم زكيط، فم الحصن، عند قدم الأطلس الصغير...)

رقم 4: السكن والتحديث الفلاحي بسهل سوس

A. Humbert, 2016



- في السهول الفيضية، مثل الغرب، تشكل السدود التي تقام على ضفاف نهر سبو وروافده الملاجئ الوحيدة للسكن، حيث فرضت وضعية عدم الاستقرار، أصلا إقامة بيوتات هشة اعتمادا على القصب أو أغصان الأشجار (نوايل) أو المتلاشيات من المواد الصناعية، تيسيرا لعملية إعادة بناء المساكن بعد كل اجتياح مائي. واتخذ السكن ضفاف النهر موضعا له متجنبا الأراضي المنخفضة التي تتعرض للفيضان "المرجات". وقد أدت عملية تصريف فائض الماء والتجفيف، بعد الاستصلاح إلى ظهور العديد من المراكز الريفية دون تغيير مواضع استقرار السكن –صورة رقم 4 (J. Le Coz, 1964).

- وبناء على أهمية دور الماء في تنظيم السكن، فان ندرة المياه السطحية تعتبر، إلى حد كبير، العامل المفسر للمواضع التي يستقر فيها السكن، ووضعه المشتت للغاية بالسهول الأطلسية المغربية (الشاوية، دكالة، رحامنة وعبدة ...). كما تفسر أسلوب الحياة المرتبط بالزراعة البورية المقلالة، حيث تهيمن المنازل المعزولة، التي حلت محل الخيم أو العزبان "لعزيب[10]" المرتبطة أصلا بتربية الماشية الصغيرة والجمال التي تبحث عن الأعشاب ومياه الشرب حيثما وجدت، وإن كلفها ذلك أن تغدو وتروح لاستغلال المراعي الجماعية الفسيحة خارج المناطق المروية تقليديًا، والمزارع التي أقامها سكان المدن مؤخرًا.

[10]) عزيب: كوخ صغير مخصص للرعاة العزاب. مصطلح شائع في الأطلس الكبير الأوسط، وقد يعني في سهل الحوز، بيت ثانوي تأوي إليه العائلات الميسورة قصد الاستجمام (عزيب القائد).

صورة رقم 5: قصر لمعاضيد بأرفود



وفرت الأراضي السلالية "غير المواتية" مجالا خصبا للاستقرار، حيث يتم توزيعها لتصبح مجالا للاستثمار يسمح بإعادة نشر المساكن على طول الطرق الرئيسية، مما تسبب في ظهور مشهد لبنايات مسترسلة وذات شكل خطي. بنايات تتلخص بها المرافق الجماعية في الطريق والسوق والمسجد وخزان للماء الشروب وشبكات للكهرباء والمواصلات، ومطاعم، بالإضافة إلى المؤسسات الإدارية والتعليمية. وهو نمط جديد من التجمعات السكنية، انتشر وساد، دون استثناء يذكر، بكل الأمكنة التي سمح فيها الوضع العقاري للأرض، بهذه التحولات.

بناء عليه، يمكننا وانطلاقًا من حتمية طبيعية معينة، التمييز بين المنازل المجمعة بالوديان الجبلية والواحات ومناطق "دير" (إيغرم والقصر)، والمنازل المنتشرة والمشتتة بالسهول الأطلسية الكبرى، باستثناء منطقة الغرب، حيث فرضت الفيضانات، وإلى عهد قريب، انتشار نوع من السكن الهش، وحيث قاومت بقايا الحالات، الوضع غير المستقرة للأرض (أراض الكيش، أراضي السلالية، أراضي الاحباس، ...) أو حيث فرض التهجير إعادة الاسكان (الصحراء)[11].

يضاف إلى هذه الأنماط المتفق عليها تقليديا، نمط آخر حددته وبشكل أساسي سياسة إرادية للدولة. وتنتشر مظاهره الرئيسية على مستوى الدوائر التي خضعت لعمليات الري الحديث (القرى النموذجية) وضم الأراضي (تادلة، الغرب، دكالة، إلخ)، وداخل الدوائر المستصلحة بعد إدخال الضخ المدعوم وأساليب السقي العصري (الرش، التقطير...) والمنتوجات الزراعية التسويقية، كما هو الشأن بضواحي بوذنيب وعلى هوامش الواحات التقليدية (درعة، تافلالت...).

---

[11]) وفقًا الإحصاء العام 2014، يمثل البدو 7% فقط من إجمالي السكان (25،274 شخصًا مقابل 68،540 شخصًا في عام 2004). ويتركزون أساسا في 4 مناطق: درعة تافيلالت (60.8٪)؛ كلميم وادي نون (21٪)؛ العيون - الساقية الحمراء (6.6٪) وسوس ماسة (6.3٪)

1.2.3- السكن وغزو الإسمنت والمواد المصنعة

صورة رقم6 : سكن بجبال الريف. صورة للمؤلف 2014



بالنظر لقيمتها الوقائية من الظروف الطبيعية القاسية، ينتشر استعمال الكهوف والعزبان كمآوي، أساسا، بالمناطق الجبلية والنجود العليا الشرقية، وبالفيافي الجنوبية، قبل أن يترك المجال للخيم المصنوعة من الوبر والشعر والصوف أو الحلفاء، بل البلاستيك. ويلجأ البدو الرحل وأشباه الرحل إلى هذا النوع من السكن لسهولة حمله ونقله وسهولة الحصول على مواد صنعه محليا، وأهمية التحكم في التقنيات المصاحبة لاستعماله، إضافة إلى قيمته الاجتماعية لدى البدو الرحل (E. Laoust، 1930؛ 1932 و1934؛ P. Pascon، 1968).


صورة رقم 7. سكن النخب المخزنية بداية ق 20. جنوب الأطلس الكبير.

بينما هيمنت المساكن المبنية بالتراب (التابية)، بواحات درعة وتافيلالت وفجيج وطاطا، وبالأودية الجبلية التي تتعرض للتقلبات الحرارية المرتفعة. حيث يبنى السكن على شكل قصور متكتلة تتماشى والظروف البيئية المحيطة. (Montagne، R.، 1930؛ Terrasse H.، 1938؛ Meunier J.، 1962 J. Hensens، 1969؛ 1986). بنايات على شكل أكوام ذات طابق واحد أو طابقين أو ثلاثة طوابق، مما يترك مجالًا لمختلف الملحقات الخارجية، ومجالا لمعالجة المحاصيل الزراعية وإقامة المنشئات الأخرى كالطرق والمساجد (صورة رقم 5).

تسود بجبال الريف الشمالية، منازل جاثمة، مواد بنائها من الطوب المجفف، والمكسو بالطين الممزوج بالتبن أو من القصب المبطن بالطين الممزوج بالقش. وتتميز هذه المباني، عادة، بأسطح مكونة من صفائح قصديريه ذات ميل خفيف لتسهيل انسياب مياه الأمطار وتفادي تراكم الثلوج عليها (صورة رقم 6). وقد فسر بعض الباحثين هذا النوع من السكن بسيادة الصخور الطينية غير المستقرة وبصعوبة إيجاد مواضع لإقامة المباني خارج المنحدرات التضاريسية القوية، والوديان الضيقة (Maurer G، 1968 ؛ Gauché E.، 2005).

يعد الاعتماد على استخدام الحجر الجاف كمادة أساسية في البناء مظهرا مميزا فقط لأجزاء من السهول الأطلسية (دكالة)، وبعض القرى من جبال الأطلس الصغير وجبل سيروا (وادي أملن، إغرم، إلخ) (H. Popp et all، 2011)، ومرتفعات الأطلس الكبير الشرقي لدى قبائل آيت يفلمان... إذ تحظى واجهات المنازل الموجهة نحو الرياح الدائمة والأمطار بمعاملة خاصة. ويعمل السكان على أن تنفتح الغرف على أفنية داخلية، وتوجيه الباب الرئيسي نحو مشرق الشمس الصباحية، أي نحو الجنوب الشرقي (القبلة)، بينما يتحاشى السكان فتح النوافذ والأبواب على الجدران الموجهة نحو الرياح الغربية. كما يبدو أن البحث عن الظل يوجه كثيرًا عمارة قصور الواحات، وأن للعوامل الاجتماعية - الاقتصادية دخلُ كبير في هندسة القصبات (قصبة لشيخ امكونة رقم 7) ومجمل السكن الذي أفرزته الهجرة.

إن اللوحة المرسومة أعلاه، رغم واقعيتها، تأثرت في شكلها ومضمونها بالتغييرات العميقة التي شهدتها الأرياف نتيجة العوامل الذاتية، لكن وبدرجة أكثر قوة، نتيجة الصدمات الاقتصادية – الاجتماعية والنفسية التي عرف المغرب بعد انفتاحه على العالم.

3.1 - الطفرات الاجتماعية المكانية

من الناحية المطلقة، عند استخدام مفاهيم الطفرات والتغييرات والتحولات، يجب مراعاة ثلاث ملاحظات أساسية:

ا) يعتبر الطابع الديناميكي لمجمل مكونات البيئة حتمية طبيعية. والسكن، باعتباره جزء من هذه المكونات لا يخرج عن هذا المنحى، فهو يخضع وباستمرار لتغير وتحول مكوناته المادية، إضافة إلى ما يتعرض له نتيجة تفاعله مع المؤثرات الخارجية، اجتماعية كانت أو اقتصادية أو ايديولوجية. فالسكون والجمود الكلي ليس من طبعه ولا من طبع محيطه. وتعتبر هذه التغييرات، إيجابية كانت أو سلبية، عادية عندما تحدث بشكل تدريجي. بينما تبدو غير طبيعية

عندما يبلغ وقعها أو سرعتها حد الانقطاعات (ruptures) ، والقطائع، سواء كان ذلك على مستوى مواضع السكن أو تقنياته ومواد بنائه أو حجمه ووظائفه. وقد يدل تغير أحد هذه المعالم أو المؤشرات بشكل غير عادي عن حدوث شيء غير مألوف (كارثة طبيعية أو تدخل خارجي استثنائي). كما قد يحدث ذلك عندما يتوسع المدى بين الطاقات المحفزة وتأثيرات المقاومة الملازمة للأجسام المستقبلة.

ب) تستحق لحظات التمزق (déchirure) على مستوى السرعة أو الشكل أو الطبيعة أو مدى التغيرات التي تميز الزمان والمكان الذي يشغله كائن أو ظاهرة، الاهتمام والتحليل من طرف الباحث. لأنها تشكل مختبره ومجال مراقبته. وقد يساعد فهم وإتقان معرفة الدوافع المحفزة وطبيعة التغييرات وميولاتها (tendances) في التنظيم والتخطيط المستقبلي للمكونات المختلفة للمركب السوسيو – اقتصادي والمكاني.

ج) لفهم هذه الظواهر، على المستوى المنهجي، من الضروري العودة إلى الوراء قصد تحديد التواريخ المرجعية وتحديد المتغيرات ومعايير الرصد وأدواته.

فيما يتعلق بالتغيرات التي شهدها السكن الريفي بالمغرب، يمكننا أن نتذكر بسهولة أن بداية القرن الماضي تشكل نقطة القطيعة (point de rupture) بالنظر إلى قوة الصدمة التي أحدثتها الحماية الفرنسية. فالاستعمار الزراعي والانتقال من الاقتصاد المعاشي إلى اقتصاد السوق، وتنامي حركات النزوح من الأرياف والهجرة الدولية وظهور مراكز حضرية كبيرة، وانتشار حركة التمدرس وبروز نخب محلية مدعومة من المخزن، كلها عناصر ذات وقع بالغ على ما شهده البلاد من التحول.

إن اختيار مواقع السكن الجديد وتشكل هذا الأخير بناء على استغلال مواد مصنعة ونماذج معمارية حديثة توخى توفير الراحة والصحة (Confort sanitaire)، وما يصاحب ذلك من مظاهر الرقي الاقتصادي والاجتماعي. هكذا، فحتى لو ثبت أن سرعة ومدى موجات التغيير متعددة الأوجه عبر الأقاليم الريفية، فإن تعزيز نزعتها من خلال "إضفاء الطابع الديمقراطي" على المرافق الاقتصادية والاجتماعية التعليمية، بعد الاستقلال، يظل أيضًا أمرًا لافتًا للنظر.

2. السكن وإعادة هيكلة المجال الريفي المغربي

على الرغم من التأثير القوي للعوامل الطبيعية، فقد استطاع السكن الريفي أن يتحرر وبشكل سريع من الحتمية التي طالما فرضتها عليه الطبيعة، ليسقط تحت تأثير تبعية شبه تامة للعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية.

1.2 المحددات السياسية والاقتصادية

شكلت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بالنسبة للمغرب، بداية مرحلة حاسمة بالنسبة لمستقبل تطوره، ليس فقط سياسيًا، بل أيضًا اجتماعيًا واقتصاديًا ومكانيًا. حيث أدى بسط فرنسا لنظام الحماية عليه، إلى التأثير على الموارد الاقتصادية للبلاد (الماء والأرض) [12] ومؤسسات التنظيم المجتمعي، مما أدى إلى نشوء ديناميكية، تعتبر اليوم، مصدر تعزيز المشهد الاجتماعي والاقتصادي والترابي الجديد في البلاد.

هكذا، فبالإضافة إلى الدفعة التي أعطيت لظهور نخبة من الوجهاء المحليين المتحالفين مع المخزن، فإن لنظام الحماية تأثيرا على:

• سيطرة الإدارة على الغابات[13] والموارد المائية[14] من خلال حرمان السكان من وسائل الإنتاج التي كانت تُدار من قبلُ من طرف مؤسسة اجْماعة وبواسطة القانون العرفي. حيث

[12]) عملت الدولة، ضمن مع معاهدة مدريد (1880)، على زعزعة استقرار المناطق الريفية تمامًا. حيث أثر ظهير 27 أبريل 1919، الذي سمح بالإشراف الإداري على أراضي الجموع إلى تغيير وضع 12 مليون هكتار، أي ثلث الأراضي القابلة للزراعية والرعي-رعوية، وتهم 48 اقليم وبلدية، و4631 تجمع يضم 2.5 مليون من ذوي الحقوق. (Bouderbala N، 1996، 145).

[13]) بموجب ظهيري 1917/10/10 و 1925/4/3، أصبحت المناطق الغابوية جزء من الملك العام، ويعترف للسكان بممارسة حق الاستغلال ضمن الحدود التي تضعها الدوائر المختصة.

[14]) بموجب ظهير1 يوليو 1914 اعتبرت: "جميع المسطحات المائية سواء السطحية أو الجوفية؛ مجاري المياه والعيون بجميع أنواعها؛ البحيرات والبرك والبحيرات والمستنقعات بأنواعها. جزء من الملك العام. تعتبر ضمن هذه الفئة البرك التي لا تغطيها المياه بشكل دائم، أو التي من غير المحتمل أن تكون في السنة العادية صالحة للاستخدام الزراعي (المستنقعات، إلخ)؛ تدفق الآبار الارتوازية. الآبار العامة وأماكن ارواء الماشية" (تم إلغاؤها بالقانون رقم 10-95)؛

قوضت الإدارة تمامًا كل القواعد الاقتصادية للفلاحين الفقراء بعد نشر وتطبيق ظهيرها الشهير على الأراضي الجماعية (27) Terres collectives) أبريل 1919) (Bouderbala N، 1996).

• يبدو أن ما يسمى بالاستعمار الزراعي هو العنصر الأكثر تخريبًا للحياة الريفية بالمغرب. حيث روجت الإدارة لما كان يسمى بالاستعمار الخاص (Colonisation privée) من خلال تحفيز الفلاحين والدفع بهم إلى القيام بعمليات مختلفة بهدف بيع أراضيهم للمستوطنين. كما عملت على الاستيلاء على الأراضي السلالية بواسطة الاستعمار الرسمي (Colonisation officielle) ، حيث عملت على توزيع الأراضي المحتلة على المستوطنين الأجانب ابتداء من عام 1915 (Gadille J.، 1957) أو عن طريق تشجيع الاستحواذ المباشر عليها.


صورة 8 - إعادة هيكلة سهل تادلة. جوجل / التقاط 2022

أثرت هذه العملية على ما بين 900.000 و1000.000 هكتار، غالبًا، فيما سمي بالدوائر الفلاحية الجيدة (الحوز، الغرب، سايس، الشاوية، تادلة، تريفة (Gadille، .J، 1955، 305). حيث تم تجهيزها وتزويدها بالري وبتقنيات إنتاج حديثة، وقد أدت العمليات الدخيلة هذه، إلى تلبية احتياجات الأسواق الخارجية، وتشجيع رسملة الأرياف من خلال اللجوء إلى اليد العاملة المأجورة والقروض وتشجيع المنتوجات التسويقية الجديدة (صورة رقم 8).

• قامت فرنسا إبان الحماية، بهدف تلبية احتياجات صناعاتها من المواد الخام، بتنشيط عمليات البحث والاستغلال للموارد الزراعية والمعدنية (الفحم، الفوسفات، المنغنيز، الكوبالت، الفضة، الذهب، إلخ)، وصممت لهذه الغاية شبكة من الطرق والسكك الحديدية، تُسهل نقل تلك المواد من مناجمها نحو الموانئ المهيأة للتصدير. بينما تم حرمان بقية المناطق الفقيرة من جميع شبكات ووحدات الاتصال والتصنيع، مما عمق عدم التوازن بين الأقاليم وتسبب في خلق أقطاب اقتصادية نشيطة وجيوب فقر صعُب تجاوز آثارها حتى اليوم (انظر خريطة شبكة المواصلات بالمغرب: الفصل بالنقل والمواصلات (الجزء 3 من الكتاب).

إن الصدمة هذه، كونت منطلق مسار واستراتيجية ترنو إلى تفكيك الهياكل السوسيو - مجالية للبلاد وتعويضها بهياكل أخرى أكثر اندماجا مع مخططاته الاقتصادية الرأسمالية، مما أدى إلى حرمان العديد من القبائل من مصادر إنتاجها، وفرض استئصالها من جذورها الترابية قصد توجيهها نحو أسواق العمل بمزارع المعمرين أو نحو أوراش المدن الشاطئية الناشئة.

عمل المعمر، بعد ترسيخ قدمه بالبلاد وفرض سيطرته على دواليب الاقتصاد على إدماج التعامل النقدي في السوق المحلية مما سهل اندماجه تدريجيا في نظام رأسمالي غير متكافئ، وإدخاله في دوامة تبعية شاملة لامتناهية. حيث فقدت البلاد قواعد إنتاجها المحلي دون أن تستطيع تعويضها بأخرى عصرية. بل أدت المنتوجات التسويقية الموجهة نحو الأسواق الخارجية إلى زعزعة شروط التبادل التجاري لصالح القوى العظمى. فأصبح واجبا على الفلاح الصغير أن يغادر أرضه وماشيته ليسخر طاقاته في الجيش أو البناء، أو في تعزيز صفوف العاطلين عن العمل أو العاملين في القطاعات غير المتشكلة (secteurs informels) بضواحي وهوامش المدن الكبرى والمتوسطة.

بعد الاستقلال، وفي إطار تقريب الإدارة من المواطنين، تم إحداث وتطوير العديد من المراكز القروية، وتجهيزها بالمؤسسات العمومية الاساسية من إدارات ترابية وأسواق، بغية تسهيل المراقبة وتلبية الحاجيات الأولية للسكان، وجمع الضرائب والمنتجات المحلية، وتسهيل توزيع المنتجات الاستهلاكية الحضرية.

وقد أثرت التدخلات المختلفة هذه، عن وعي أو غير وعي، على العالم القروي وقاطنيه. حيث أدى توفير المنتجات الحضرية المختلفة للسكان، وتشجيع الاستهلاك، وأحيانًا دون أن يكون لدى هؤلاء، لا الوقت ولا القدرة على التفكير في المستهلكات وحمولتها، إلى تحقير قيمة التراب وما يحمله من المنتوج والبشر. ولم يخرج السكن الريفي عن دائرة الازدراء هذه، حيث شمله التدمير/ وإعادة الهيكلة، اللذان اجتاحا المجال ومكوناته. وبذلك ورث المغرب المستقل من هذه الفترة عبئاً ثقيلا، عمل السكان على التعايش معه وتدبيره حينا، والانسياق معه أحيانا:

- حافظ المغرب على إرثه من السدود الكبرى والدوائر المسقية، ودعم تجهيزاتها بالتقنيات الحديثة، مما عزز مكانة منتوجاته الموجهة نحو الأسواق الخارجية، رغم التبعية الناتجة عن ذلك.

- وجب ضمان استمرارية النموذج الاقتصادي الموروث من أجل تلبية الحاجيات الغذائية للأسواق المحلية والأجنبية وإنتاج الطاقة والمواد الخام اللازمة للصناعة الزراعية الناشئة؛

- اعتماد الدولة على الأسواق الخارجية على مستوى حاجياتها من العملة الصعبة والتكنولوجيا والمنتجات الصناعية والزراعية اللازمة لتلبية الطلب الداخلي المتزايد كما وكيفا.

هكذا، ومنذ السنوات الأولى لاستقلالها، أولت الدولة اهتماما بالغا لسياسة التحديث الزراعي من خلال الشروع في بناء سدود كبيرة جديدة، بهدف تحقيق ري مليون هكتار قصد ضمان استقلالها الغذائي. وبهدف إنتاج الطاقة الضرورية للصناعة، وتلبية حاجيات السكان المتزايدة. وبذلك تميزت الفترة بعمليات رئيسية، نذكر منها على وجه الخصوص:

- اعتبار سياسة السدود ركيزة من ركائز تحديث الاقتصاد الوطني وذلك بواسطة إنتاج الطاقة، إنتاج مياه الري والمياه الصالحة للشرب وللصناعة؛

- إنشاء المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي(ORMVA)[15] لتحل محل المكتب الوطني للري (ONI) الذي تم إنشاؤه في أوائل الستينيات ؛

---

[15]) بعد حوالي 5 سنوات من انشائه في 3 شتنبر 1960 تم تعويض المكتب الوطني للري ب 9 مكاتب جهوية للاستثمار الفلاحي وتغطي مجالات: تادلة، الغرب، دكالة، الحوز، سوس ماسة، اللوكوس، ملوية، درعة وتافيلالت. استفادت هذه المؤسسات من استقلالية الميزانية على مستوى نطاق عملها لتنفيذ إجراءات متكاملة من البحث إلى التنفيذ والإنتاج والتسويق لتحسين أوضاع السكان. ودور هذه المؤسسات لم يقتصر فقط على بناء السدود أو القنوات. بل احتضن جميع الأنشطة الرعي - مزرعة وتجاوزها إلى حد المساهمة في إنشاء القرى وتجهيزها والقيام بالتداريب المهنية https://www.monde-diplomatique.fr/1962/06/A/24790..

- ظهير شريف بمتابه قانون رقم 71-72-77 المؤرخ في 29 ديسمبر 1972، المتعلق بتخصيص الأراضي الزراعية التي تشكل جزء من نطاق الدولة للمزارعين (الجريدة الرسمية، رقم 3178 بتاريخ 09/29 /. 1973. الصفحة 1631)

- إطلاق المخططات الزراعية (مخطط السكر، مخطط القطن، مخطط القمح الصلب، مخطط الحليب، إلخ) قصد تلبية حاجيات البلاد من هذه المواد؛

- استرجاع أراضي المعمرين الاجانب وإنشاء تعاونيات الإصلاح الزراعي[16]؛

- توسيع قاعدة المنتجات التي يشملها الدعم الحكومي والقروض الزراعية[17]؛

- الإعفاء الضريبي على القطاع الزراعي منذ مطلع عقد الثمانينيات الماضي مما مكن من تدفق الاستثمارات الحضرية نحو المرتفعات ودعم الأنشطة الرعوي - زراعية (قرار ملكي 1984)؛

- إطلاق العديد من المشاريع والبرامج التنموية، في اتجاه المناطق الريفية (الريف، الغرب، الأطلس الكبير والمتوسط ...) في إطار برنامج مكافحة الجفاف (تزويد العالم القوي بالماء الصالح للشرب، تزويد العالم القروي بالكهرباء، ربط القرى بالشبكات الوطنية للاتصال والمواصلات، دعم البرنامج الوطني للطرق القروية (PERG، PAGER، PNRR)[18]، مخطط

---

[16]) ظهير شريف بمثابة قانون رقم 71-72-77 المؤرخ في 29 ديسمبر 1972، المتعلق بتخصيص الدولة جزء من الأراضي الزراعية او القابلة للزراعة التابعة لها للمزارعين (الجريدة الرسمية، رقم 3178 بتاريخ 09/29 /. 1973. الصفحة 1631)

[17]) ازدد حجم المساعدات العمومية (الإعانات ومكافآت الاستثمار) مع تنفيذ مخطط المغرب الأخضر، من حوالي 8 ٪ من تكلفة الاستثمار قبل عام 2008، إلى ما بين 35 و 40 ٪ أو أكثر، حاليًا. حيث هم جميع الأنشطة وعوامل الإنتاج. من نظام الري إلى مشاريع معالجة المنتجات الزراعية والتعبئة واقتناء المعدات الزراعية والتجهيز. (Economiste: رقم 3970 تاريخ 2013/18/02).

[18]) شرع في برنامج تجهير الأرياف بالكهرباء (PERG)، رسميًا سنة 1996، حيث انتقل المغرب من معدل ربط لا يتجاوز 18٪ (1995) ليصل إلى 99.43٪ بنهاية عام 2016 (المصدر: www.one.org.ma)

- شرع في برنامج إمداد سكان الأرياف بالماء الصالح للشرب (PAGER) في عام 1995 (الظهير رقم 1-95-154 المؤرخ في 16 أغسطس 1995) وذلك من أجل تحسين عيشهم، بشراكة معهم ومع السلطات. وبلغت نسبة التغطية 96٪ نهاية عام 2016. (المصدر: www.pncl.gov.ma/fr)

- للحد من الفوارق الإقليمية، تم إطلاق ثلاثة برامج وطنية للطرق الريفية على التوالي: [PNRR I، 1995-2005 ثم PNRR II (2005-2015) ثم PNRR III، 2016-2022) تهدف هذه البرامج، بالإضافة إلى بناء طرق جديدة، توسيع وإعادة تأهيل العديد من الطرق القائمة، وتبنت هذه التدخلات رؤية تنموية متكاملة تشمل الطرق الريفية والصحة والتعليم والمياه والكهرباء.

المغرب الأخضر، مخطط الجيل الأخضر، ودعم الاستثمار في الجديد من سلاسل الانتاج، ...).

عُممت هذه التدخلات وغيرها على نطاق واسع، وأدت إلى سيولة العلاقات بين أرجاء العالم القروي وانتشار العمالة الزراعية المأجورة. حيث تعززت حركات السكان والأفكار والأموال والتقنيات لتعم مجمل الأرياف المغربية، مما أثر على المشهد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ... والمكاني. إذ استفادت أجزاء كبيرة من التراب الوطني، وبشكل هام، من التجهيزات الجديدة، مما حرر الفرد من القيود التي كانت تعيق انفتاحه، لكن وبالمقابل زادت من ارتباطه بثقافة الاستهلاك اللامحدود والشمولية التي تروج لها العولمة والتي نادرا ما ساهم في بنائها والتخطيط لآفاقها، ونادرا ما اهتمت بالتفكير في مآل الجوانب الأيكولوجية واستدامة تلك الثروات؛ مما أسقط البلاد في هوية يصعب التنبؤ بسبل الخروج منها، في ظل التغيرات المناخية الحالية.

2.2 السكن وتنامي السياحة الريفية

السياحة الريفية هي شكل من أشكال الجولات التي يقع مسرحها خارج المراكز الحضرية الكبيرة والمناطق الساحلية، حيث ترتبط ببعض المجالات الريفية "العذراء" كالجبال والواحات والصحاري، لتصبح مصدر دخل إضافي بجانب الزراعة لقاطنيها. وتشمل هذه السياحة خدمات الإقامة (المساكن الريفية، وجبات الإطعام، والنقل والخدمات وبيع المنتجات المحلية، ...) والأنشطة السياحية (المشي، والتسلق، والتجديف، وزيارة المآثر والمشاركة في التنشيط...).

Ph. 9 : Gite Nerrahte, Moyen Atlas



يعتبر هذا القطاع لدى العديد من المخططين شكلاً من أشكال السياحة البديلة، حيث لا يعتمد على التجهيز الثقيل، بل تتناسب هياكله الخفيفة وحاجيات صنف من السواح المتحمسين للعيش في أحضان الطبيعة قصد تذوق الثقافة التلقائية لسكان الارياف، مع تعديلات بسيطة، دون حاجة إلى دراية كبيرة أو استثمار ضخم.

أدخل هذا النمط من السياحة الترفيهية الثقافية إلى المغرب في بداية القرن الماضي من طرف أصدقاء نادي جبال الألب، واختُصر في البداية على الأجانب الذين يقيمون أساسا بالحواضر خارج أوطانهم. حيث وبإيعاز من أعضائه، قام النادي، بإنشاء بنيات خفيفة للإيواء (نزل) في عدد من المواقع الجبلية مثل أوكيمدن، توبقال، إفران وإموزار ... لتُضاف إلى فرعه في الدار البيضاء.

بعد تنامي حركة تيار حُماة البيئية، خلال عقد الثمانينيات من القرن الماضي، شرعت الوزارة المشرفة على القطاع، بدعم من فريق من الخبراء الأجانب، في تجربة بديلة، بهدف تطوير الهوامش الجبلية مثل الأطلس الكبير المركزي (مشروع تنمية الأطلس الكبير المركزي). حيث أنشأت مركزا للتكوين في الحرف الجبلية (CFAMM)[19] ببوادي بُوكماز قصد التسويق للسياحة الجبلية، تحت رعاية وزارة الداخلية. ووقع التركيز أساسا على تكوين المرشدين ودعم منشئات الإيواء عند السكان، بالإضافة إلى فروع عديدة من الحرف المهددة بالانقراض (أشغال البناء بالمواد الأولية المحلية، تربية النحل، دعم غراسة التفاح وزراعة البطاطس، انتاج حليب البقر، الحياكة...). ودعما للسياحة القروية، شرع في إصلاح عينة من المنازل وتحويلها إلى مآوي مرحلية بمباركة ومشاركة أهلها، مما فرض وضع برامج تأهيل للمنخرطين في العملية (حرف الاستقبال، الطبخ، النقل عبر المسالك "تدارب، أسفار، لقاءات ..." وبرنامجا لتكوين المرشدين. وقد أدت هذه العمليات النوعية إلى إطلاق دينامكية غيرت معالم وادي بُوكماز قبل أن تنتشر لتعم منطقة أوكيمدن وتوبقال ثم الأطلسين المتوسط والصغير وجبال الريف (Ait Hamza M، 1999) .



صورة 10: دار الضيافة، مضايق دادس المؤلف

إنه وبالنظر للنجاح الذي لقيه هذا الصنف من السياحية، فقد اكتسح أغلبية المجالات الريفية الوطنية. وأدت هذه الطفرة إلى بناء مساكن جديدة تحترم معالم المعمار التقليدي وإعادة تأهيل العديد من المساكن والمعالم الأثرية، مع ادماج وسائل الرفاه الحديثة لضمان راحة الزوار (الماء، الكهرباء، الهاتف، شبكة الأنترنيت).

[19]) CFAMM : Centre de Formation Aux Métiers de Montagnes (Tabant, Azilal)

تسهر الإدارة الوصية، وبتعاون مع السلطات الترابية على إنشاء المسارات السياحية وتسويقها وتحسين وضعيتها، كما تسهر على توفير ظروف الصحة والسلامة. حيث تقوم لجنة مشتركة بعملية تصنيف المآوي حسب متطلبات دفتر التحملات، حتى تحصل على العلامة الرسمية المميزة (GTAM) وتسمية: Gîte أو Auberge أو Maison d'Hôte (صورة رقم 10)

ودعما للسياحة القروية، تم إثراء العرض بأنشطة تتيح للضيوف فرصة اكتشاف الطبيعة (ركوب الخيل، المشي، الاشغال الفلاحية، الكتابة، الرسم، الطبخ، تقنيات العمارة الريفية، إلخ.)، وتبرز وتثمن الخصوصيات الترابية سواء منها الثقافية أو التقنية والعمرانية. وقد كانت هذه الأنشطة في السابق حكرا على الأجانب، لكن مداها اتسع ليشمل المغاربة[20]، حيث تزايد عدد السكان، خاصة الحضريين الذين يتحمسون لمثل هذه التجارب التي تقام بين أحضان الطبيعة، وتعزز حضورهم بظهور الجمعيات ووكالات متخصصة في مثل هذه الأسفار. كما توسعت دائرة الأقاليم المتعاطية لهذه الأنشطة، حيث كانت في السابق تقتصر على الأطلس الكبير والمتوسط وبعض الواحات، ثم اكتسبت شعبية وعمت جميع الأرياف. فاجتذبت التجربة، بالإضافة إلى المستثمرين المحليين، مستثمرين من مدن مغربية وأجانب (فرنسين، إسبانيين، إيطاليين، إلخ). وظهرت مقاولات صغيرة في ميدان الإيواء والنقل والتنشيط السياحي بالأرياف (فرق فولكلورية)، مما ساهم في حل جزء من معضلات الشغل الناتج عن النمو الديمغرافي، لكنه وبالمقابل، دعمت جوانب كثيرة ومظاهر من الاستلاب الترابي.

3.2 الضغط الديموغرافي وعواقبه

أدى الاصطدام المفاجئ بين الهياكل الاجتماعية الثقافية التقليدية والهياكل الحديثة المفروضة من طرف الاستعمار والعولمة، إلى تأثيرات، ليس فقط سلبية، بل أيضًا إيجابية خاصة في ميدان الصحة. فقد كان لتوجس الاستعمار من نقل ما يسمى بأمراض السكان الأصليين إلى مواطنيه، نتائج إيجابية على المركبات المحلية، حيث عمل المعمر على إنشاء العديد من الهياكل بهدف تحسين الوضع الصحي للسكان. وتجسد ذلك من خلال ظهور

[20]) يستقبل العديد من القصور والقصبات والمخازن الجماعية وفودا من الطلابَ المتدربين القادمين من المدارس الإيطالية والإسبانية والسويسرية واليابانية قصد القيام بتمارين تحت إشراف مكونين مغتربة وأجانب (الاستفادة من الخبرة المحلية)

العديد من المؤسسات الاستشفائية والتكوينية في المدن الكبرى، ومن خلال تنظيم مهنة التطبيب. "كان الانتصار العظيم للطب الاستعماري في البداية ضد الأمراض المعدية، ولا سيما تلك المتفشية بطريقة وبائية" (Moussaoui & all، 1992)[21]. حيث أثمرت هذه التدخلات بسرعة، فقفز عدد سكان المغرب من 4.5 مليون نسمة في عام 1912 إلى 8.6 مليون نسمة في عام 1951، وإلى حوالي 11.7 مليون في عام 1960 وحوالي 36.69 مليون حسب إحصاء 2024.

هكذا، وعلى الرغم من تراجع معدل النمو السكاني السنوي، فقد حقق المغرب بين عامي 1960 و2014 ما يقرب من 21.8 مليون نسمة، بمعدل نمو سنوي قدره حوالي 2٪. بينما انخفض هذا المعدل بين 2014 و2024 إلى 1.08%، مما يفترض وجود سياسة استباقية للتعامل مع هذا النمو وعواقبه الاجتماعية والاقتصادية والمكانية.

ويعتبر ما حققه المغرب من التقدم على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، مكسبا لا يمكن نكرانه وإن كان يطرح ثلاث إشكالات ذات وزن ثقيل:

- زيادة في معدل سكان الحضر 62.8٪ في عام 2014)، دون أن تنخفض حصة المناطق الريفية بالأرقام المطلقة، باستثناء بعض الحالات المحددة، حيث أصبح النزوح الجماعي القوي للسكان نحو المدن والأرياف المواتية، من الإشكالات التي تؤرق المسؤولين السياسيين؛

- تدفق أعداد كبيرة من السكان نحو دول الشمال الصناعية أو البلدان التي اغتنت من ريع البترو- دولار في الشرق الأوسط والخليج. (انظر الفصل الخاص بالهجرة)

- تحسن الأوضاع الاجتماعية للسكان نتيجة انتشار الهجرة والتمدرس والتحضر، رغم التعثر الناتج عن انتشار كورونا 2019 وما تلاه من قلاقل جراء اندلاع حروب جديدة في أكرانيا وفلسطين.

---

21) إضافة إلى الهدف الأيديولوجي الذي وسم تدخل فرنسا في المغرب، "كان الهدف الأساسي للأنشطة الصحية هو احتواء الموجات المتتالية من الأوبئة التي اجتاحت البلاد" وهكذا تم إنشاء العديد من المستشفيات بالمدن الرئيسية بالمملكة وزودت بطاقم طبي بلغ عددهم 200 عام 1930 و1050 سنة 1955.

أثرت هذه الحركات الرأسية والأفقية للسكان، حيث أدى انتشار وسائل الإعلام وكذا الاحتكاك بالمدن وبالسياح، وبشكل كبير، على تصورات وطموحات السكان وسلوكياتهم. حيث أصبح شباب الأرياف، يتطلع اليوم وبشراهة، إلى وسائل الراحة والرفاه والحداثة. وهو تطلع مشروع، طبعا، لكنه "غير عقلاني في كثير من الحالات"، لأنه يتغذى بالأساس مما تشيعه وسائل وشبكات الاتصال والتواصل، من سلوكيات الاستهلاك المفرط للسلع المستوردة ومن أفكار الازدراء وتحقير المحلي، قَلْبا وقَالَبا.

إن مسارات الصعود الاجتماعي والاقتصادي (ascension socioéconomique)، في معظمها، قلما تتم خارج مفرزات المدرسة والهجرة، العلاقات غير الأسرية. والنخب المفرزة منذ العقود الأولى من القرن الماضي، تنامت معالمها خلال العقدين الأوليين من القرن الحالي فزرعت عند الشباب تطلعات تتجاوز بكثير ما هو متاح محليا من الفرص ومن المؤهلات (Ait Hamza M.، 2005). حيث أصبحت المدرسة والهجرة أهم محفزات تغير السلم الاقتصادي – الاجتماعي، وكَون السكن أهم حقل لتمظهر هذا التحول.

- كونت الوظائف التي صاحبت استحداث الإدارات المحلية أول حاضنة انبثق عنها ظهور مجموعة من المتعاونين المحلين مع سلطة المخزن، فاستغل هؤلاء مواقعهم للحصول على بعض الامتيازات، كنخب. وتأكيدا لوضعهم الجديد، عملوا على تغيير مساكنهم بأخرى جديدة، مواضعُها بعيدة عن مساكن العامة، وأساليب معمارها مستوحاة من الحضر، ومواد بنائها وتجهيزاتها مستوردة، وتنم عن تطلعات ساكنيها.

- أُدخلت المدرسة في الأرياف، في البداية، بغية إعداد شريحة من الموظفين الصغار في خدمة الإدارة الاستعمارية. ثم وبعد استقلال البلاد، كونت حاضنة لتدريب المديرين التنفيذيين الجدد الذين سيحلون محل المعمرين. وقد طبعت هذه المدارس المشهد الريفي بطابع بنايتها، وبنماذج وسلوكيات تنقلُها البرامج التعليمية المُقدمة للتلاميذ والقائمين عليها (المعلمين، المدراء، الأعوان). حيث كونوا شريحة، غالبًا ما تستقر في المراكز الحضرية الناشئة، وتقيم مساكن متميزة بنمطها المحاكي للبنايات الحضرية، هندسة ومواد بناء ووظائف.

- أفرز الاصطدام المفاجئ بين الاقتصاد الريفي التقليدي والاحتياجات التي حفزها النمو السكاني القوي اختلالا في التوازن الهش القائم بالأرياف. فكان رد فعل السكان الطبيعي أن عمت رغبة البحث عن البدائل عند جميع الشرائح وخاصة منهم الشباب. فاندفع هؤلاء في

البداية نحو الدوائر المروية بشمال الأطلس، فالمدن الساحلية التي تنشط فيها حركة البناء والمواقع المنجمية (خريبكة، جرادة...)، ثم البلدان المجاورة التي احتلتها فرنسا (الجزائر، تونس)، قبل أن تتركز منذ بداية الستينيات على الدول الأوروبية التي عرفت حركة إعادة البناء بعد الحرب الثانية. وقبل أن تنتشر وبسرعة كبيرة لتشمل أغلبية دول العالم، وبنسب متفاوتة.

تميزت الهجرة هذه، بدينامية كبيرة، حيث بدأت بفئة الفلاحين "بدون أرض" (P. Pascon et M. Ennaji, 1986) قبل أن تشمل جميع الشرائح الاجتماعية، وبالمجالات "الهامشية" قبل أن تطال كل مناطق المغرب، وبفئات العمال قبل أن تعم الأطر والمثقفين، وبالرجال قبل أن تمس النساء والاطفال. كما تميزت بدورها في تغذية دوراتها، حيث عملت أغلبية المهاجرين على تهجير ذويهم وأقربائهم وعشيرتهم، ومساعدتهم في البحث عن العمل وتسهيل ظروف انتقالهم واندماجهم.

وتعتبر الهجرة اليوم، أحد المحركات الرئيسية للتغييرات الاجتماعية-المكانية. فقد شجعت انتشار وتعميم العديد من السلوكيات وأنماط الحياة السائدة. كما عملت وارداتها على تحسين المساكن القائمة وعلى بناء مساكن جديدة، وإدخال تجديدات عبرت من خلالها عن طموحاتها ونجاحاتها وإخفاقاتها أيضا.

3. الأرياف والتحولات الحديثة

تعكس التغيرات العميقة التي شهدها الفضاء الريفي بشكل عام، والسكن بشكل خاص، أهمية التفكك الذي شهده المركب الاجتماعي - الاقتصادي المغربي، وأهمية المحاولات التي تقام من أجل إعادة الاندماج بشكل أفضل في الديناميات التي فرضها الانفتاح والعولمة.

1.3 إعادة هيكلة المجال الريفي


صورة رقم11: انتشار السكن على جنبات الطرق والأودية


(صورة 12 : سيارة الإسعاف، جماعة إغيل امكون

عرف السكن الريفي المغربي تغييرات عميقة من حيث مواقعه، وتشكله الخارجي والداخلي،

ومواد بنائه، ووظائفه. ويعتبر بذلك صورة حقيقية للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها المغرب خلال قرن من الزمان وما ينيف. فحتى نهاية القرن الماضي، يمكننا التأكيد، ودون الخوف من الوقوع في الخطأ، أن المجال الريفي الوطني، باستثناء المناطق المروية، كان يعاني من العزلة الطبيعة والبشرية، أي الموسوم بما يسمي بالفقر المتعدد الأبعاد، وذلك رغم الوقع الايجابي لبرامج التنمية المختلفة التي انطلقت مع نهاية القرن الماضي.

- لم يقتصر تأثير تطوير البنى التحتية للطرق والتزود بوسائل النقل الميكانيكية على مواضع إقامة المباني، فحسب، بل أيضا على مواد البناء وهندسة المساكن. حيث نلاحظ في كل مناحي الأرياف المغربية انحراف المباني نحو الاستقرار بجانب الطرق (صور رقم 12- 13. واحتي دادس وامكون). وهي ظاهرة لا تهم فقط الوديان والواحات (الناصري، م. 1988) (دادس، تودغى، تافيلالت، درعة، إلخ)، بل أيضًا على طول الطرق التي تعبر السهول الكبرى كتادلة والشاوية أو المناطق الجبلية (تافراوت، أملن، أكنول، دريوش، بن الطيب، إلخ.). حيث ارتبطت هذه الظاهرة بالاستخدام المكثف للسيارة في نقل الأشخاص والبضائع، بعدما

انفتحت هذه العوالم على النموذج الاقتصادي الجديد. وأصبحت الطرق، أكثر من نقاط الماء، العامل الحاسم في تحديد مواضع ومواقع استقرار المستوطنات البشرية[22].

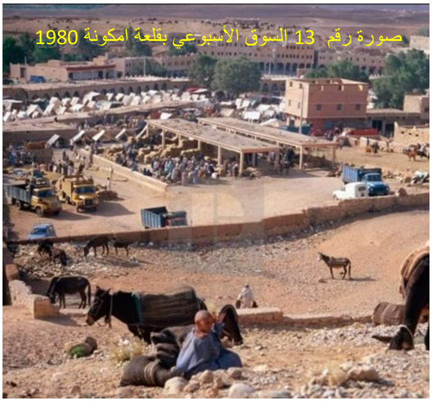
تطلب تطوير محيط الإنتاج الزراعي الحديث، منذ البداية، تركيب المعدات المائية - الزراعية والصناعية. وهي عمليات طوعية، غالبًا ما تتطلب تهجير السكن وإعادة توطينه، وبالتالي ظهور أشكال جديدة من المنازل يُتخلى فيها عن السمات المشتركة والرواشم الطبيعية، حيث كانت تفرض حماية الأراضي الزراعية نوعًا من المنازل المجمعة أو الخطية (المراكز الفلاحية، القرى النموذجية، التعاونيات الفلاحية...). بينما فضلت التجهيزات الجديدة، إعادة هيكلة السكن القديم، وظهور أشكال أخرى مشتتة أو خطية، حول الطرق والمرافق الاجتماعية والتعليمية الحديثة ومراكز التجارة والخدمات؛

- أدت التقسيمات الإدارية الجديدة إلى انتشار المرافق السوسيو- تربوية في الأرياف، مما أثر وبشكل بالغ على السكن الريفي. حيث أدى التقسيم الترابي الجماعي لسنة 1992 وما بعده إلى تزايد عدد الجماعات، وإنشاء مقرات لها واستقرار عدد من التجهيزات بجوارها[23] (المدارس، غرف العلاج، الأسواق والمحلات التجارية الدائمة، ...) مما منح لبعض القرى جاذبية جعلت منها عقدًا حضرية مُهيكلة، وإن ظلت غير مكتملة.

[22]) تعززت هذه الصورة بعد انتشار النقل المدرسي والإسعاف الصحي. أهمية تدخلات المبادرة الوطنية، ومساهمة المجتمع المدني في عملية فك العزلة عن العالم القروي.

[23]) تتابعت التقسيمات الترابية منذ بداية السبعينيات. ويبدو أن التقسيم الترابي لعام 1992 هو الأكثر إثارة للانتباه منذ عام 1960، حيث تضاعف عدد المقاطعات بأكثر من 8، وازداد عدد البلديات بأكثر من 50٪.

2.3 السكن وتحضر الأرياف


صورة رقم 13 السوق الأسبوعي بقلعة امكونة 1980

أفرزت الضرورة الفنية أو استراتيجية الإدارية لتدبير التنمية، حاجة إلى مضاعفة التقسيمات الترابية، خصوصا بعد الأحداث التي عرفتها البلاد خلال السبعينيات والتسعينيات من القرن الماضي. وهكذا، بلغ عدد البلديات الترابية 1538 وحدة، عام 2014، منها 256 حضرية و1282 بلدية قروية. وارتفع معدل التحضر من نسبة 29٪ فقط في عام 1960، إلى أزيد من 60.3٪ في عام2014 وأزيد من 64.8 %سنة 2024.

أدت رغبة التحكم الترابي إلى ظهور العديد من المراكز الريفية الصغيرة، التي قلما تتوفر سوى على النزر الأدنى من التجهيزات التحتية (مقر الجماعة، مدارس، غرف للعلاج، أسواق، خدمات فنية، ...) (صورة رقم 15). لكنها كافية لتحدث دينامية محلية بالنسبة للمناطق النائية، ولتُحدث دينامية ديموغرافية فيما حولها. وتصبح بمثابة عتبة لتكسير حركة الهجرة وتخفيف موجات تنقل السكان نحو التجمعات الساحلية الكبرى.

كَوّن التوسيع المستمر للمحيط الحضري، قصد تكوين الوعاء العقاري الضروري لتلبية الاحتياجات الديموغرافية ومجابهة المضاربات، إلى توسيع جميع المراكز وقضم مساحات واسعة من الأراضي الفلاحية المجاورة لها، إلى حد يهدد المجالات الريفية، خصوصا الملائمة بالانقراض. وساعد تمديد شبكات الاتصال والتواصل والكهرباء والماء الصالح للشرب على ذلك، مما ساهم في إضفاء على السكن الريفي بعض مظاهر التمدين خصوصا بعد توسعه ونمو كثافته، ليأخذ مظهر التجمعات الكبرى، مَوقعا وشَكْلا وهَنْدسة ووظيفة، رغم استمرار بعض معالم بنيات جِسمه المحلي.



صور رقم 14- 15 مباني مجهولة الغاية لمهاجرين بالأطلس الصغير ومضايق دادس

ميزت هذه التغييرات المتنوعة للغاية، في نطاقها وعمقها، سلوك سكان الأرياف. حيث تذوق هؤلاء طعم الرفاه، وأصبح الكل يتطلع إلى حياة أفضل بعيدا عن الفاقة وشظف العيش المنتشران بالأرياف. ولِمَا لَا، في أماكن بعيدة عن القيود التي تفرضها الحياة المجتمعية العشائرية، في قراهم.

بالفعل، فقد تحرر السكن من القيود المفروضة عليه بدافع الحاجة إلى الأمن والاستقرار بالقرب من الأودية والعيون، والمجالات الزراعية أو المراعي، فطفح على أراضي الجموع التي فُتحت في وجهه بعد توزيعها بين ذوي الحقوق وتجهيزها بشبكة الماء الشروب والكهرباء والمسالك.

ويتبين من تحليل الأرقام الخاصة بالتجهيزات المرتبطة بالسكن، أن الفوارق تضاءلت بين المجالين الريفي والحضري، بما سوى الماء الصالح للشرب والتجهيزات المتعلقة بنظافة الجسم، وذلك رغم الاختلاف من ناحية الجودة وإمكانيات الولوج اليها.

جدول رقم 1: تباين نسب تجهيز السكن بين الأرياف والمدن المغرب

المجال	الماء	كهرباء	حمام	المرحاض	المطبخ
الأرياف	37,8	84,6	45,1	83,4	90,8
المدن	91,3	95,2	58,3	99	94,3
مصدر: الإحصاء العام للسكنى والسكان 2014					

كما تحرر الساكن نفسه من القيود الاجتماعية المفروضة عليه (التضامن، الحفاظ على الأمن، إلخ)، ليجد نفسه وجهاً لوجه في مواجهة السلطات المختلفة والقوانين والتخطيطات التي صُنع جلها خارج دائرته، وليتبين أن التحرر المفترض ليس سوى واجهة لنفحات سُلطة مستوحاة مما تُروج له العولمة ومناصروها الداخليين والخارجيين:

- إزاحة القيود أمام الاستهلاك اللامشروط للتقنيات المستوردة (شاحنة، سيارة، جرار، حصادات، دراسات، ثلاجة، تلفزيون، هواتف، إلخ.)؛

- التقديم لمختلف الصلاحيات المقدمة من البلديات ووكالات الإعمار والسلطات الترابية عبر متطلبات خطط التنمية المختلفة.

- الخضوع للشروط المطلوبة من قبل مؤسسات الائتمان (عدم الاعتراف بالمواد المحلية) مما يساهم في استنزاف الملاك بشكل عام ومدخراتهم، بل وينال من قيمة الموارد والمعاريف المحلية.

والجدير بالذكر أن الكثير من الفاعلين المحليين يصادفون صعوبات جمة في استيعاب واتباع عناصر التجديد هذه، مما يهدد بتعريض الموارد النادرة من المياه والأراضي الزراعية والغطاء النباتي للزوال، كما أن الانسلاخ مما كانت تفرضه الجماعة من القيود والقيم، فتح الباب على مصراعيه لتفشي ظواهر اجتماعية سلبية شتى بين المجالين الريفي والحضري، وهي مظاهر تنبئ بمخاطر شتى[24]، إن لم يستدرك الأمر، قبل فوات الأوان.

خلاصة

تعكس التغييرات التي يشهدها السكن الريفي تعميم توجه عام نحو العولمة وتوحيد أسلوب الحياة على مستوى التطلعات التي ينشرها الاتصال والتواصل وما يصاحبه من الانفتاح. حيث يخضع الفضاء الريفي، مثل نظيره الحضري، وبشكل متزايد للحرمان من حرية التصرف واتخاذ القرار، مما يجبره على التقليد اللامشروط، ويقتلعه، وبشكل جذري، من سياقه الاجتماعي والاقتصادي والبيئي، ليزج به في تبعية شاملة، دون أن يمنح قدرة إرضاء

[24]) انتشرت ببعض القرى النائية ظواهر غريبة مثل استهلاك المخدرات، العزوف عن العمل، الخمول، الهجرة السرية، وشملت الشباب والشابات على السواء، تلتها سلوكيات الانزواء وبوادر الانتحار.

طموحات ساكنيه. فتفسير المناظر التي توفرها المستوطنات الريفية، اليوم، لا يمكن أن يتم خارج هذه البيئة المعقدة والمترابطة شكلا ومضمونا وبشكل متزايد.

- فإذا كان تركز المستوطنات البشرية على طول قدم الأطلس وعند مخارج الأودية الجبلية وحول المجاري المائية بالواحات، يتأثر إلى حد كبير بما تفرضه العوامل الطبيعية من قيود، فإن تلاشيه يمكن تفسيره جزئيًا بوضعية الأرض وأنماط العيش ونوعية الأنشطة التي يزاولها السكان، على مستوى السهول والهضاب الممتدة؛

- إن مدى سرعة التغير في الهندسة المعمارية ومواد البناء والوظائف، ظواهر مرتبطة إلى حد كبير بالانفتاح الذي أحدثه تعميم وسائل النقل والتمدرس ووسائل الاتصال الحديثة والمدن عن طريق الهجرة والإعلام والسياحة.

لقد أدت الاطلالة السريعة التي سمحت بها فسحة هذه الدراسة، إلى إثارة الانتباه إلى تقلص الفجوة، بين "الحضر والريف"، حيث أصبح نطاق "الرفاه"، الذي كان حكرا في السابق على سكن الحضر، يتسع أكثر فأكثر وإن على حساب الطابع التراثي الناتج عن عبقرية السكان على مستوى التنوع وحرية الابداع في ميدان تعاملها مع ندرة الموارد، مما منح للفضاء جاذبية وشخصية متفردة، رغم ما ناله من التعرية والتهميش، وما قد يناله من الانحلال وانمحاء قيم الفضيلة التي كانت تُوسم سكان الأرياف خاصة.

فهل تعني العناية بالأرياف، الانغماس في التبعية؟ إنها نقطة محورية قوية تُترك إمكانية العودة إليها لاجتهادات المجدين ومخططات التنمية الريفية المُبتكِرة مستقبلا.

Bibliographie

-Ait Hamza M., 1992, «*L'habitat dans le Dadès et le rôle de l'émigration dans son évolution récente*». In Série Colloques et Séminaires, n° 22, Pub. FLSH, Rabat, pp. 127-146.

-Ait Hamza M., 1999, « *Tigammi n'Iromiyne : tourisme et conflit culturel dans le Haut Atlas central* ». In Le Tourisme au Maghreb. Diversification du produit et développement local et régional. Edité par M. Berriane et H. Popp. Série Colloques et Séminaires n° 79.

-Ait Hamza M., 2005, «*Elite locale: enjeux et stratégies (Sud Maroc)*» In Dynamique des espaces agricoles au Maroc. Kerzazi M. et Lakhal M. (coord). Pub. FLSH, Rabat, Série Colloques et Séminaires, n° 121, pp. 93-114

-Ait Hamza M., 2013, «*Les paradoxes d'un territoire migratoire: Anti-Atlas occidental*». In « Patrimoine architectural au Maroc » Ait Hamza et Bentaleb, (Coord.), Edit. IRCAM, Imp. Al Maarif Al Jadida, Rabat. pp. 9-27.

-Ait Hamza M., 2013, «*Les architectures en pisé: identité et modernité*» In : Préservation et valorisation du patrimoine matériel culturel de la Région Souss Massa- Draâ, Ait Hamza M. & Nouhi El Ouafi (Coord), IRCAM, Pp. ?

-Ait Hamza M., 2015, «*Emigration et électrification (Bassin d'Assif Mgoun* ». In : Paysages lus du ciel. Hommages à André Humbert. J. P. Husson et M. Deshaies (Dir). PUN- Editions Universitaires de Lorraine, pp. 289-303.

-Ait Hamza M., 2015, «*Mobilité socio-spatiale et développement local au Sud de l'Atlas marocain (Dadès-Todgha*) ». 2ème édit. Série : Etudes et recherches, n°47 ; IRCAM, imp. El Maarif Al Jadida.

-Bouaouinate A., 2009, "*Les acteurs locaux du tourisme de désert au Maroc* ": Cas de l'Erg Chebbi et de Zagora –M'hamid. Thèse de Géographie. Université de Bayreuth, Allemagne.

-Bouderbala N., 1996, «*Les terres collectives du Maroc dans la première période du protectorat (1912-1930)* ». *In.* Revue du monde musulman et de la Méditerranée, Vol. 79 N° 1, pp. 143-156.

-Cavaillès H., 1936, «*Comment définir l'habitat rural ?*». In : Annales de Géographie, T. 45, n°258, pp. 561-569.

-Delpy, D. 1959, « *Note sur l'habitat des Ida Ou Semlal, Ameln et Tsoul (Maroc)* ». In, Cahier des Arts et architectures d'Afrique du Nord, n°5, Edition Privat. Toulouse, pp. 5-16.

-Direction de la statistique (Maroc) CERED, 2005 ; «*Dynamique urbaine et développement rural au Maroc*». www.hcp.ma/.../Demographie-Dynamique-urbaine-et-developpement-rural-au-Maroc.

-Direction de la statistique, 1994. « *Manuel méthodologie et d'instruction pour le recensement de la population et de l'habitat au Maroc* ». Rabat.

-Fay G. et Benabdellah A., 1986, « *Habitat rural, système de production et formation socio- spatiale dans le Haut Atlas Central* ». Edit. CNRS, Annuaire de l'Afrique du Nord. T. XXV, 1986, pp.377-392.

-Gauché Évelyne, 2005, « *Recomposition et renouveau de campagnes menacées : le cas des Beni Saïd, (Rif oriental, Maroc)* ». In ; Annales de géographie /6 (n° 646), pages 617 à 642.

-Gadille J., 1955, « *La colonisation officielle au Maroc* ». In Cahiers d'outre-mer. Volume 8 Numéro 32 pp. 305-322.

-Gadille J., 1957, « *L'agriculture européenne au Maroc. Étude humaine et économique* ». In Annales de Géographie. Vol. 66 N° 354 pp. 144-158.

-Hensens, J., 1969, « *Habitat rural traditionnel des oasis présahariennes. Le Qsar. Problème de rénovation* ». BESM /31, n° 114 ; pp. 83-107.

-Hensens, J., 1986, « *Qsours et Qasbas du Maroc : réflexion sur l'habitat rural traditionnel* ». Prix Aga Khan d'Architecture. Pp. 1-37.

- HCP: Différents recensements généraux de la population et de l'habitat au Maroc.

-Humbert A. & H. Popp, 2016, "*L'Anti-Atlas, une montagne marocaine méconnue. Découverte d'un riche patrimoine*". IRCAM, Rabat.

-Kachmar, M., *1986, « L'habitat rural dans le périmètre irrigué du Gharb »* : https://aan.mmsh.univ-aix.fr/Pdf/AAN-1986-25_32.pdf

-Laoust E., « *L'habitat chez les transhumants du Maroc Central* ». In Hespéris n° 10, 1930 ; pp.151-253 ; n° 14, 1932, pp.115-218 et n°18, 1934, pp. 109-196.

-Maurer G., 1968, « *Les paysans du Haut Rif central* » RGM, N°14, pp.3-70 ;

-Maurer G., 1992, « *Montagnes et montagnards au Maghreb (Maroc, Algérie, Tunisie). Evolution récente du milieu rural* ». Les cahiers d'URBAMA, N°7 ; pp.35-61

-Meunier, J. D., 1962 « *Architectures et habitat du Dades : Maroc présaharien* » Paris C. Klincksieck.

-Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire, 1970, « *Atlas du Bassin de Sebou* » Imp. à London. 51 planches plus une notice de 143 pages.

-Ministère de l'Aménagement du Territoire National, de l'Urbanisme, de l'Habitat et de la Politique de la Ville, 2018-2019, « *Ateliers de réflexion sur la redynamisation du secteur de l'habitat* » du 2 au 9 mai 2019 à Rabat et du 27 février 2019 à Benguerir.

-Montagne, R., 1930, « *Villages et kasbas berbères : tableau de la vie sociale des berbères dans le sud du Maroc* », Paris.

-Moussaoui D., Battas O., et Chakib A., 1992, « *Histoire de la médecine au Maroc sous le Protectorat* ». In Histoire des Sciences médicales. Tome XXVI, n° 4, pp. 291-299.

-Mrabi M.-A., 2016, « *Logement : Une cartographie de la demande* » www.leconomiste.com - Édition n°4740 Le 30 Mars 2016

-Naciri, M., 1988, *« Les ksouriens sur les routes. Emigration et mutation spatiale de l'habitat dans l'oasis de Tinjdad »*. In : P. R. Baduel (édit) Habitat et Société au Maghreb. Paris ; pp. 647-364.

-Pesez J.-M. 1988, « *Objectifs et terminologie* », in : Structures de l'habitat et occupation du sol dans les pays méditerranéens : les méthodes et l'apport de l'archéologie extensive, G. NOYÉ (éd.), Castrum 2, Rome-Madrid, pp. 129-135.

-Pascon P., 1968, « *Type d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc* ». In Revue de Géographie du Maroc, n° 13, pp. 85-101.

- Pascon P. & Ennaji M. « *Les paysans sans terre au Maroc* » Editions Toubkal, Casablanca.

-Popp H. ; Ait Hamza M. et El Fasskaoui B. 2011, « *Les Agadirs de l'Anti-Atlas occidental. Atlas illustré d'un patrimoine culturel du Sud marocain* ». Naturwissenschaftliche Gesellschaft Bayreuth.500 p.

-Popp H. & El Fasskaoui B., 2017 ; « *La route des kasbahs – jadis et maintenant : sur les traces de Werner Wrage au Maroc du sud* » Michael Imhof Verlag. Germany.

-Terrasse, H., 1938, « *Kasbah berbères de l'Atlas et des oasis* ». In : Les grandes architectures du Sud marocain, 136 ; Paris Horizon de la France.

مفاهيم مرتبطة بالسكن الريفي

Concepts	توضيحات
Ascension socioéconomique	**الصعود السوسيواقتصادي** :عرف المجتمع المغربي تباينات عميقة، يرجع بعضها إلى المعتقدات الدينية والبعض الأخر إلى الانتماء الاجتماعي أو إلى فئات ذوي الجاه. وقد ساهمت المدرسة والهجرة والوظائف الحديثة، في تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للعديد من الأشخاص الذين استفادوا من هذا الانفتاح، وكان الطبيعي أن يعبروا عن نجاحهم بطرق مختلفة، منها تغيير السكن كأهم حقل لتمظهر هذا التحول.
Communautaire	**العشائري**: قبل الطفرة الحضرية التي شهدها المغرب، كان أغلبية المجتمع يعيش حياة اجتماعية، لا يستقيم فيها للفرد وجود إلا بقدر مساهمته في إطار الجماعة من عمل ومنفعة، وبالمقابل، تقوم الجماعة بحمايته وحماية ممتلكاته والسهر على تنظيم الحياة العامة لمحيطه عن طريق مؤسسات اجماعة.
Centralité socio-spatiale	**المركزية السوسيومجالية**: يتسم التراب الجمعاتي، رغم ما يبدو للزائر العادي، بتنظيم جد محكم؛ وتجسيدا لذلك، تعتمد المجموعات البشرية على العديد من المؤسسات الجمعاتية لتشكيل المركزية المجالية لوسطها الترابي، أو ما يسمى (مرافق عمومية) وهذه الرموز إما مادية أو روحية مثل المخزن الجماعي، المسجد، الضريح، السوق، مَربَط المواشي، الباحات العمومية لإقامة الأفراح؛ وحديثا موقف السيارات، دكاكين، مقر الجمعية...
Colonisation privée	**الاستعمار الخاص**: عمل المعمر بعد دخوله إلى المغرب على تسهيل انتقال الأراضي الفلاحية إلى المعمرين الأجانب عن طريق الشراء، بعد أن دفع بأهلها على التخلي عنها بشكل أو بأخر (اثقال كاهلهم بالضرائب...)
Colonisation officielle	**الاستعمار الرسمي**: عمل المعمر بعد دخوله إلى المغرب على السيطرة على الكثير من الأراضي بدعوى عدم توفرها على رسوم الملكية أو أنها غير مستصلحة، فوزعها على الملاكين الأجانب بعد استصلاحها وتجهيزها لتكون مجالا للفلاحة العصرية التسويقية بالمغرب.
Coopérative de la réforme agraire	**تعاونيات الاصلاح الزراعي**: شهد المغرب مباشرة بعد الاستقلال عملية استرجاع الكثير من الأراضي التي كانت بيدي المعمرين، فأسس شركات فلاحية

تابعة للدولة على جزء منها (SODEA et SOGETA)، بينما تأسست تعاونيات الاصلاح الزراعي على الجزء الأخر. ورغم أهمية التجربة، فقد تهاوت، واستولى بعض الخواص على الاراضي التي كانت بيدي الشركات، بينما عادت التعاونيات إلى التقسيم بفعل التوريث الذي لم يتم إيجاد الحل لمعضلته.	
مركز التكوين في الحرف الجبلية: في إطار الاهتمام بتنمية المجالات الجبلية، قامت الدولة في بداية الثمانينات من القرن الماضي، بتعاون مع خبراء من فرنسا، بإنشاء مركز للتكوين في المهن المرتبطة بالمناطق الجبلية (فلاحية، حرفية، سياحة) بوادي بُوكماز، إقليم أزيلال. وأسندت إدارته إلى وزارة الداخلية، وقد تم التركيز أساسا على السياحة والمهن المرتبطة بها (تكوين المرشدين. الفندقة، تربية النحل، تربية البقر الحلوب، ادخال المغروسات...) فتخرجت منه ثلة من المهنيين، وسهر على إدخال السياحة الجبلية كنشاط اقتصادي تكميلي إلى الأرياف.	Centre de formation aux métiers de montagnes (CFAMM)
الدوار: تنعت التجمعات البشرية بالأرياف المغربية، بأسماء مختلفة حسب اللغة المتحدث بها: (الدوار والقصر والمدشر وهي مفاهيم عربية، وإغرم والموضع، تمازيرت وهي مفاهيم أمازيغية)؛ وتتشكل هذه التجمعات من بنايات تختلف مورفولوجيتها، وعدد مساكنها، لكنها تلتقي فيما تحويه من المرافق الجمعاتية الأساسية.	Douar
المجال الريفي: يطلق المجال الريفي، على المجالات التي لا تشملها الدوائر الحضرية. وتنعت بهذا النعت كل المجالات التي تتلاشى فيها الكثافات السكانية والبنايات والتجهيزات، وبذلك التصقت بالريف صفة الدناءة عكس الحضر، الذي يوصف ايجابيا، علما أن هذه النعوت قد لا تتوافق مع الواقع.	Espace rural
نقط الانقطاع: منهجيا عند الحديث عن التحولات، ينحو بنا المنطق إلى استعمال المنهج التاريخي المقارن في التحليل، ومعناه تحديد نقطتي الانطلاق والنهاية، وملاحظة التطور بينهما. والطبيعي أن يكون التطور تدريجي ما لم يحدث طارئ، وإذا حدث ووقع انكسار في المسار نتحدث عن الانقطاع، ونقطة الانقطاع.	Rupture /point de
اراضي الجموع: يتميز النظام العقاري المغربي بتنوع شديد، حيث نميز بين أراض الخواص (ملكية) واراضي الجموع وأرضي الاحباس ... واراضي الجموع هي التي كانت، حتى عهد الاستعمار، تستغل من طرف الجماعات السلالية عن طريق الرعي أو عن طريق التقسيم الدوري بواسطة الزراعة. ابتداء من 1914 بسط الاستعمار نفوده على المجالات الغابوية لتصبح تابعة للدولة، بينما وضع الجزء الثاني تحت تصرف الجماعات	Terres collectives

	السلالية ووصاية وزارة الداخلية 1919. وتقدر مساحتها بحوالي 15 مليون هكتار؛ وتعتبر من الإشكالات العويصة التي تجابه التحديث الريفي.
Secteurs informels	**القطاع اللامتشاكل** : يطلق المفهوم القطاع اللامتشاكل على كل القطاعات غير المهيكلة وغير المنظمة. وهو قطاع يتناسل وبشكل مهول ويقصده كل من لا عمل له خصوصا ابان الأزمات (البناء، التجارة، الخدمات...)
Villages rues	**الشكاك الطرقي**: بنايات خطية مصطفة على جنبات الطرق، وقد نجد لها مثيلا حول الأودية بالواحات ومناطق الدير، ويطرح تجهيزها بالمرافق العمومية إشكالات (موضع المؤسسات الاجتماعية، الصحية، الثقافية، الإدارية)
Urbanisation rurale	**تمدن الأرياف:** عرفت الأرياف خلال العقود الأخيرة اكتساحا من طرف التجهيزات ومظاهر مختلفة من التحضر، تتمثل في تنوع وتغير الأنشطة وتغير وتنوع المساكن إلى حد لم يعد فيه البون بارزا ما بين المدينة والقرية، وقد أطلق الجغرافيون على هذ الوضع مفهوم: تحضر أو تمدن الأرياف.
Programme national de la lutte contre la sécheresse	**البرنامج الوطني لمحاربة أثار الجفاف**: خلال سنوات الجفاف الحاد التي عرفها المغرب، خصوصا منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، وضعت الدولة برامج لتجهيز القرى بالماء الشروب (PAGER) وبالكهرباء (PERG) وفك العزلة بواسطة الطرق القروية (PNRR) وتوفير فرص الشغل.
Politique des barrages	**سياسة السدود**: بعد الاستلاء على الارض عمل المعمر على الاستحواذ على مصادر المياه ببناء السدود على الاحواض الكبرى قصد ضمان ري الدوائر المستحدثة وضمان الكهرباء للمراكز الكبرى، فترك بذلك إرثا ثقيلا للبلاد، اقتضى تدبيره الاستمرار في نفس النهج لضمان تموين الاسواق الأجنبية وتحقيق توازنات الميزان التجاري، ومجابهة الحاجيات المتزايدة من الماء الشروب والكهرباء، مما أدى إلى استغلال مجمل المواقع الصالحة لبناء السدود، وتخزين كمية هائلة من المياه التي كانت تنتهي إما إلى البحر أو إلى الصحاري، رغم الوقع البيئي السيئ أحيانا. بلغ عدد المنشئات، إلى حدود 2020، حوالي 148 سدا.

الفصل التاسع

جغرافية المدن

تأليف: محمد حنزاز[1]،
عبد الوهاب صديق[2]، محمد أنفلوس[3]

مقدمة

يعرف سكان المدن عبر العالم نموا متسارعا، حيث انتقل عدد السكان الحضريين من 29 % سنة 1950 إلى حوالي 55 % في بداية 2020. ويعيش أكثر من نصف سكان العالم في المناطق الحضرية، حاليا. ومن المرتقب أن يتزايد هذا العدد بحوالي 1.5 مرة ليصل إلى 6 مليارات نسمة بحلول عام 2050، (منشورات البنك الدولي 2023).

ويتباين توزيع سكان مدن العالم، حسب درجة تقدم الدول واختلاف ثقافاتها. حيث يعيش أغلب سكان الدول المتقدمة التي تتجاوز بها نسبة التحضر أكثر من 70 %، في المدن، كما هو الشأن في أمريكا الشمالية وأوروبا؛ بينما يظل معدل التحضر ضعيفا في أغلب دول افريقيا، وجنوب آسيا، حيث تقل نسبة السكان المستقرين بالأوساط الحضرية عن 50%.

وفي خضم هذا التزايد التصاعدي للسكان الحضريين، توسعت مساحات المدن وتعقدت بنيتها وصيرورة نموها، وتشعبت خدماتها وحركية السكان بها، فتشابكت إشكاليات تدبير تلكم المدن اجتماعيا واقتصاديا وبيئيا. مما أدى إلى بروز مشاكل جديدة، أثارت انتباه واهتمام الباحثين الجغرافيين وغيرهم، فأنجزوا أبحاثا ودراسات متنوعة، حول المجالات الحضرية وإشكالياتها الكبرى، أهم محاورها:

1 * أستاذ التعليم العالي؛ المعهد الوطني للتهية والتعمير الرباط
2 ** أستاذ محاضر مؤهل، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس الرباط
3 ***أستاذ التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية ، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

- **الكثافة السكانية:** حيث يترتب عن ارتفاع الكثافة السكانية للمدن، مشاكل السكن والهشاشة والاكتظاظ والنقل وغيرها. مما ينتج عنه ارتفاع معدل الجريمة والعنف خاصة بالأحياء الهشة التي تعيش حالة الاقصاء.

- **الفقر الحضري والتمايزات السوسيواقتصادية:** تشهد المدن معدلات فقر مرتفعة جدا وتباينات اقتصادية واجتماعية في مختلف وحداتها الترابية...

- **تفاقم المشاكل البيئية:** تتعرض المدن -خاصة الصناعية- لتلوث الهواء والماء والتربة وتراجع المجالات الغابوية.

- **محدودية الولوج للخدمات الأساسية:** تعاني المدن من الإشكاليات المرتبطة بالماء الصالح للشرب والتطهير الصحي والتطبيب والتعليم وخدمات النقل.

- **التوسع الحضري غير المنظم او العشوائي:** تواجه الحواضر تمدينا عشوائيا ونموا غير منتظم، وتدهورا بيئيا يفضي إلى مشاكل اجتماعية واقتصادية.

- **المشاكل المتعلقة بالحكامة الحضرية:** تواجه المدن مشاكل الحكامة الحضرية مثل الرشوة والفساد وعدم الفعالية وسوء التدبير للخدمات العمومية.

وفي هذا السياق، برزت أهمية جغرافية المدن، "الجغرافية الحضرية"، وتبوأت مكانة متميزة ضمن فروع الجغرافية البشرية، وباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالنظر إلى ما تقدمه من أدوات ووسائل منهجية تحاول فهم مختلف تحولات المجالات الحضرية، والظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية والثقافية المرتبطة بها، وتفاعلاتها البارزة والخفية. وتوظف الجغرافية إمكانياتها المعرفية الواسعة، عندما يتعلق الأمر بإنجاز الدراسات والمشاريع الحضرية، وخاصة المرتبطة بالتشخيص الترابي والتحليل الاستشرافي، المعتمَدين في ميدان التهيئة والتخطيط. ويزداد الاهتمام بالجغرافية الحضرية، كلما ارتفع عدد سكان المدن وتعقدت ضوابط التدبير الحضري، لاسيما بالمدن الكبرى. وقد حاول الجغرافيون الحضريون، على مر السنين، وضع وتطوير مجموعة من النظريات لشرح ديناميات **التحضر*** **والأنظمة الحضرية***.

إذا كانت جغرافية المدن تهتم بالأبعاد المجالية للظاهرة الحضرية، من حيث السياق، والتوزيع والتطور، والبنية والتنظيم، "فإن موضوعها الأساسي هو المدينة، باعتبارها مجموعة

مرفولوجية، وسيميائية، واجتماعية، وثقافية متميزة، تندرج وظيفيا داخل شبكة حضرية متراتبة* Réseau urbain hiérarchisé، ومتكاملة، تساهم في تنظيم إقليمها وإدماجه في الاقتصاد الشامل" (Cosinch M., Racine J.B. ,1984). وتشكل كل مدينة، باعتبارها نظاما متطورا مجاليا وزمنيا، جزء لا يتجزأ من شبكة حضرية تختلف درجات تفاعلاتها المجالية حسب وظائفها وديناميتها.

ويهدف هذا الفصل إلى:

- المساهمة في التعريف بجغرافية المدن، كفرع من فروع الجغرافيا البشرية، وضبط أهم المفاهيم والمصطلحات المهيكلة له؛
- تبسيط الأساسيات المنهجية والنظريات المؤطرة للتخطيط الحضري، واهم اشكال النمو والتوسع الحضري، والوظائف الأساسية للمدن؛
- معالجة أبرز المواضيع، التي تهتم بها الجغرافيا الحضرية؛
- محاولة التعريف، ولو بشكل مختصر، بأهم التطورات التي عرفتها المدينة، عبر العصور (انطلاقا من العصور القديمة الى العصر الحديث والمعاصر)؛ وإبراز مختلف العوامل الطبيعية والبشرية المفسرة لنشوء وتطور المدن؛
- الوقوف عند المنهجية المستخدمة في الجغرافيا الحضرية وأدواتها، كاعتماد الخرائط[4] والرسوم والأشكال والصور والبيانات الكمية، وتدعيمها بالمصادر العامة والمتخصصة.

وسعيا وراء هذه الأهداف، تمت هيكلة الفصل حسب المحاور التالية:

- **أولا** – تعريف المدينة: تستعمل مؤشرات عديدة في تعريف مفهوم المدينة جغرافيا منها: التعريف الإحصائي للمدينة؛ التعريف القانوني للمدينة؛ التعريف الاجتماعي للمدينة؛ المعيار العمراني في تعريف المدينة.

[4] - نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للزميل **سعيد المواق** أستاذ بشعبة الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء على تفضله برسم خرائط هذا الفصل.

- **ثانيا-** المدينة، النشأة والتطور: المدينة خلال العصور القديمة؛ المدينة في العصور الوسطى؛ المدينة في العصور الحديثة والمعاصرة.
- **ثالثا** - اهم اشكال وتصاميم المدن: الخطة الشريطية، الخطة الاشعاعية ذات الحلقات النصف دائرية؛ الخطة ذات الحلقات الدائرية؛ الخطة الشطرنجية؛ الشكل النجمي الأخطبوطي؛ المدن المتعددة الانوية.
- **رابعا-** وظائف المدن: الوظيفة الصناعية؛ الوظيفة التجارية؛ الوظيفة الثقافية والفكرية؛ الوظيفة السكنية والاجتماعية؛ الوظيفة السياحية؛ الوظيفة الدينية؛ الوظيفة السياسية.
- **خامسا-** الجغرافيا الحضرية وتياراتها الفكرية: تعريف الجغرافيا الحضرية؛ مناهج البحث في الجغرافية الحضرية؛ مناهج البحث انطلاقا من إشكالية الوظائف والبعد البيئي؛ البحث الجغرافي من خلال البعد الإيكولوجي البشري؛ الجغرافيا الحضرية بين الإيكولوجيا العاملية و"تصنيف" المجال الحضري؛ التصورات والإيديولوجيات في توجيه التخطيط الحضري.
- **سادسا-** أسس التحليل في الجغرافية الحضرية (العناصر الضرورية لتحليل المجال الحضري؛ التمثيل الخرائطي لظواهر الجغرافيا الحضرية).
- **سابعا** - علاقة المدينة بالضواحي والاحواز (مفهوم الضاحية؛ علاقة المدن بالأرياف).
- مصادر ومراجع أساسية حول جغرافية المدن
- معجم لبعض المصطلحات الموظفة في النص
- خاتمة الفصل

1. تعريف المدينة:

تعتبر المدينة ظاهرة بشرية قديمة، ارتبطت نشأتها باستقرار الانسان، عبر مراحل زمنية متعاقبة. وتُعرف على أنها تركز للسكان والأنشطة والمباني والمرافق العمومية والخاصة، في جزء مجالي معين (2022. (Anne-lise Humain-Lamoure ; Antoine Laporte، كما تعتبر **ترابا معاشا* منظما* ومهيئا*** (Un **T**erritoire **V**écu, **R**égulé et **A**ménagé) ، وانتاجا اجتماعيا وثقافيا، مع تركز للوظائف القيادية والخدمات وإنتاج الثروة. وبذلك، فهي **كيان وظيفي وعمراني**، طور مجتمعا ذو صبغة حضرية، يمارس أنشطة صناعية وتجارية وخدماتية، ويقطن في مساكن فردية أو جماعية، تم تشييدها بناء على حاجيات اجتماعية وثقافية واقتصادية. وتعبر في تصميمها وفضاءاتها، ومواد بنائها، وطرقها، ومورفولوجية نسيجها العمراني، عن المرحلة الحضارية التي يعيشها. وعلى عكس المجال الريفي الذي هو معطى نسبيا طبيعي، فإن المدينة مجال اصطناعي من صنع بشري، يُوفر للمجتمع إطارا ماديا لممارسة أنشطته السياسية والثقافية والاقتصادية.

مصطلح "المدينة"، مصطلح مبهم يصعب الاتفاق حول حمولته نظرا للالتباس الحاصل للكلمة مع كلمات أخرى مثل: قرية وقرى وقصر وقصبة. فكلمة "قرية" تعني مدينة، ومنها "قرطاج" أي "قرت حدشت" بمعنى المدينة الجديدة في مقابل المدينة القديمة أو تيكا أو العتيقة في اللغة اليونانية (محمد محفوظ دروا، 2003).

وقد تُرجع كلمة مدينة إلى المكان الذي يقيم فيه الانسان. وتعني كذلك الحِصن الذي يتم بناؤه في وسط أرض معينة أو في ملتقى الطرق. وحسب ابن منظور في كتابه لسان العرب، المجلد الثالث عشر: "كل أرض يبنى حصن في وسطها، فهي مدينة". ومَدْيَنَ: اسم قرية شعيب عليه السلام.

1.1 مفهوم المدينة في بعدها الجغرافي

يتباين تعريف المدينة، بشكل ملحوظ، حسب العديد من الخصائص المميزة لها، من بينها **الموضع* والموقع***، والحجم، ونمط العمران، اضافة الى طبيعة تركيبها الداخلي، والدور الذي تلعبه في الدينامية المحلية والجهوية والوطنية (Jacqueline Beaujeu Garnier, 1980). وللحديث عن المدينة لابد من توفر ثلاثة شروط ضرورية: تجمع مساكن أو بنايات

مجاورة بعضها البعض؛ التوفر على سمات وخصائص اجتماعية مميزة لساكنة أكثر تركزا؛ تنوع الوظائف الاقتصادية مع هيمنة الأنشطة غير الفلاحية كالتجارة والادارة والخدمات... (Pierre Merlin et Françoise Choay, 2010).

والمدينة كمفهوم مجالي هي نواة مكونة من بنايات مختلفة الأحجام والشكل والمساحة المبنية وغير المبنية. وانتاج للثنائي المشكل من الكثافة والتنوع، من حيث المشهد وطرق ومواد البناء والوظائف. وبصفة عامة، لا يستوي مفهوم المدينة إلا من خلال كثافة سكانها وقوتهم الجماعية في تحقيق جوانبها المادية (البناء) واللامادية (الثقافية والاجتماعية)، أي ما يصطلح عليه عند ابن خلدون بمفهوم "الحضر". وهكذا، تهتم جغرافية المدن بالثلاثي المكون من: **المكان والسكان والنشاط الحضري** (Jacques Lévy et Michel Lusaut, 2003).

وتختلف الدراسة الجغرافية للمدن، حسب الهدف المتوخى منها. فالدراسة الشمولية للشبكة الحضرية والعلاقات التفاعلية بين مختلف مكوناتها تدخل، بطبيعة الحال، في خانة إعداد التراب الجهوي أو الوطني. في حين تدخل دراسة المدينة بصفة معمقة، في إطار التعمير والتخطيط الحضري، حيث يدقق في تفاصيل وأجزاء المدينة من بنية حضرية وعرض الطرق، وواجهة البنايات، وتقابلها، وانتظامها... ويرتبط، بذلك، مقياس الخريطة ارتباطا واضحا بالأهداف المتوخاة من الدراسة.

2.1 التعريف الإحصائي للمدينة :

يختلف التعريف الإحصائي للمدينة من بلد لآخر، حسب تنظيمها الإداري ومنظورها السياسي والاجتماعي فيما يخص إعداد التراب. فمدن **الولايات المتحدة الامريكية** كانت تعرف خلال الفترة ما بين 1880 و1900، على انها تجمع سكني يقطنه ازيد من 4000 نسمة. ولكن ابتداء من سنة 1900 اعتبرت 2500 نسمة حدا أدنى لتصنيف المدن. أما في فرنسا وألمانيا، فيعتبر "مدينة" كل تجمع سكاني يزيد عدد سكانه على 2000 نسمة، بينما يرتفع هذا الرقم الى 50000 نسمة في **اليابان**. أما في الأردن، يعتبر حجم 10000 نسمة حدا أدنى لتعريف المدن، مقابل فقط 2000 نسمة بسوريا.

إن اختلاف التعريف بين الدول يجعل من الصعب عقد مقارنات دولية لتحديد عدد الحضريين بدقة. ومع ذلك فان هذه المقارنة يمكن ان تتم في ضوء التعاريف المحلية

المستخدمة لكل دولة. وبصفة عامة، ووفق الهيئات الدولية وخاصة منها البنك الدولي الذي يعتبر "مدينة" كل مكان يعيش فيه 20000 نسمة فأكثر.

جدول1: الحجم الديمغرافي المعتمد كمعيار في تعريف المدن ببعض الدول

الدولة	عدد السكان
الدنمارك السويد فنلندا	200
ايرلندا	1500
فرنسا	2000
الولايات المتحدة الامريكية	2500
بلجيكا هولندا اليونان الهند	5000
مصر	11000
كوريا	40000
المغرب	2000 (المندوبية السامية للتخطيط.)

المصدر: محمد عرب الموسوي 2018 (بتصرف)+ المندوبية السامية للتخطيط

وتأتي مباشرة بعد مسألة العتبة الإحصائية، مشكلة الحدود المجالية لتعريف المدينة، أو ما يعرف باستمرارية المباني للانتقال من المركز القروي (القرية) إلى المدينة. فحسب منظمة الأمم المتحدة، تعتبر مدينة كل منطقة سكنية، يعيش فيها أزيد من 2000 نسمة، في مباني متجاورة بعضها البعض. وعندما لا تشكل المساكن منطقة مبنية ومدمجة، يشترط أن تكون المسافة القصوى التي تفصل بين المباني أقل من 200 متر وساكنة تزيد عن 2000 نسمة (www.onu.pop). وبالتالي فالقرية، أو المركز العمراني الريفي، هو الذي يقل حجم السكان فيه عن عشرين ألفا (Nations Unies1968,).

وقد اعتمدت الأمم المتحدة في الكتاب الإحصائي السنوي لعام 1952 الحد الأدنى لمجموع السكان في المدينة 20000 نسمة، ويساعد هذا التعريف على الدراسات المقارنة، حيث يتم توحيد الأساس بين الدول جميعاً، مما مكن من تقسيم المدن إلى:

- مدن صغيرة، يبلغ حجم سكانها على الأقل عشرين ألفاً؛
- مدن (City) : يبلغ حجم سكانها مائة ألف أو أكثر؛
- مدن كبيرة، يزيد حجم سكانها على نصف مليون نسمة؛
- مدن مليونية، يبلغ حجم سكان ها مليوناً أو أكثر؛
- مدن كبرى (Super City) ويبلغ حجم سكانها خمسة ملايين أو أكثر؛

وقد عرفت المدن تطورات نحو أصناف جديدة من التجمعات الكبرى مثل المتروبول، والمدن الضخمة مثل الميغالولبول، إلى غير ذلك.

ورغم التباينات المسجلة بين الدول بخصوص العتبة الديمغرافية، فإن التعريف الإحصائي الأقرب إلى الصواب، هو أن الحد الأدنى لعدد سكان المدينة، يجب ألا يقل عن 20000 نسمة، لأن التجمعات التي تقل عن هذا العدد يصعب أن تتوفر فيها ملامح الحياة الحضرية.

3.1 التعريف القانوني للمدينة :

تعتبر المدينة، كل تجمع سكني أطلق عليه هذا الاسم "المدينة"، بواسطة إعلان حكومي وبصيغة قضائية [5] أو وثيقة رسمية. وتأخذ بهذا المعيار، كثير من دول العالم مثل: بريطانيا، ومصر، وتونس، وتركيا، والبرازيل، واليابان والعراق. (صلاح حميد الجنابي، 1987). وبالنسبة للمغرب، ينص قانون 12.90 المتعلق بالتعمير بالمغرب، على أن الجماعة الحضرية تتكون إما من بلدية (المدينة) أو من المراكز المتمتعة بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي المسماة "المراكز المستقلة". وتحدد حدود البلديات بناء على نص قانوني.

---

[5] يؤاخذ على هذا المعيار، انه غير مرضي، لأنه لا ينطبق على الكثير من المدن القائمة في العالم، حيث نشأت وتطورت دون اعلان رسمي، او دون صدور وثيقة من الجهات المختصة، لا قيمة حقيقية له في الواقع.

ويرتبط التعريف القانوني للمدينة، في غالب الأحيان، بالجانب الضريبي. فكل المناطق التي تدفع فيها الضرائب عن المباني والمنشآت التجارية والصناعية، تعتبر مجالا حضريا.

4.1 التعريف الاجتماعي للمدينة:

ساهمت الثورة الصناعية، في تغيير تعريف المدينة، حيث أن المدن القديمة الصغيرة المندمجة، أصبحت مراكز مهمة، تحيط بها منشآت عمرانية. وقد دفع هذا التغير في ملامح المدن، بالباحثين، أمثال كارل ماركس وهنري لوفير، الى إبراز دور التصنيع في تحول المدينة، من مجال اجتماعي ومجال مفتوح لجميع السكان، إلى ميدان للمنافسة الاقتصادية (كل شيء معرض للبيع)، وإدراك هؤلاء الباحثين بأن سبب التحول، الذي عرفته المدن هو الرأسمالية الصناعية. مما سمح بتمييز مدن ما قبل الثورة الصناعية، ومدن ما بعد الثورة الصناعية.

وقد عرفت الظاهرة الحضرية، بالفعل، تحولات كبيرة، مباشرة بعد الثورة الصناعية، إذ يلاحظ، تجاهل الأدوار الاجتماعية لوظائف المدن، كالثقافة، وحماية الفرد، مقابل الإسراف في الحديث عن الدور الاقتصادي للمجالات الحضرية، حيث المدينة عبارة عن جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادي، ومجال لتطبيق سلطة اتخاذ القرارات، من طرف مجموعة من الفاعلين الاقتصاديين، مما يؤثر بطريقة يومية وفعالة على سوق العمل. وبذلك، يمكن القول إن المدينة في الدول الرأسمالية هي انتاج أيديولوجية مجتمعاتها، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الامريكية، التي تعتمد أكثر على القطاع الخاص بخصوص سياساتها المتعلقة بقضية التحضر والتطور.

وحسب **روبرت بارك**، فان المدينة كظاهرة اجتماعية، لا تقتصر على كونها مجرد تجمع من الناس، يعيشون معا على مجال معين. فهي، في النهاية، مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، ومجال متميز بنمطه الثقافي الفريد.

أما **لويس ويرث**، فينظر الى المدينة على أنها "**وحدة اجتماعية متميزة، من حيث أنماطها وأنساقها التي لا تتوفر إلا داخلها**" (الجولاني عمر فادية، 1993)، وبالتالي يجب التطرق إلى دراستها من عدة جوانب، مثل نشأتها ونموها، وأبرز الظواهر التي تميز مجتمعها الحضري، مثل طبيعة الروابط والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه، وعدم تجانسه وكثافة سكانه.

وبصفة عامة، فإن المدينة، هي عبارة عن تجمع من السكان، ومن الإمكانيات والحاجيات المختلفة، (كالعمل والانشطة ....). ومكان للابتكار والاختراع. وإذا كان الانسان هو الذي يصنع المدينة، وينظمها، فان المدينة، بدورها تهيمن على تنظيم السكان واحتياجاتهم.

5.1 المعيار العمراني في تعريف المدينة:

يعتمد على طبيعة البنايات العمرانية، للتمييز بين المدينة والأرياف. فالمدينة مجال مبني ومهيئ، يضم عددا من الأحياء السكنية ومناطق الأنشطة الاقتصادية والخدمات الادارية العمومية والخاصة، والساحات العمومية والحدائق والمرافق والأسواق. كما تتميز المدينة بعماراتها الشاهقة وشوارعها الواسعة ووسائل نقلها العمومي والخاص (محمد عرب الموسوي، 2018)[6].

من الصعب الاتفاق على تعريف موحد ودقيق لمفهوم المدينة، بالنظر الى أن ما ينطبق على مدينة معينة، قد لا ينطبق على الأخرى. حيث تتعدد المعايير المعتمدة في التمييز بين المدينة والريف لدى المهتمين والباحثين، فهناك من يفسر المدن في إطار التقابل ما بين المجتمع الريفي والحضري والانقسام الأيديولوجي للمجتمع ما بين مجتمع كلاسيكي/ عصري (Manuel Castells, 1981). ومن يفسرها على ضوء القيم الثقافية، أو العوامل الايكولوجية. فتعددت تعاريف المدن والمعايير المعتمدة في تحديدها، سيما بعد ظهور ظاهرة الاتصال الحضري - الريفي.

وبشكل عام، فإن المدينة حسب أشهر وألمع مهندسي القرن العشرين "لوكوربيزيه" (le Corbusier)، هي مجال لأربع وظائف متكاملة فيما بينها: **المسكن - العمل - المواصلات - الترفيه** رغم اختلاف وجهات النظر، حول مستوى حجم سكان المدن. ويعد حجم السكان، عنصرا مشتركا بين الكثير من تعاريف المدينة، وهو بدوره متباين، إلى حد كبير بين الدول، بل يتفاوت التعريف في الدولة نفسها من فترة زمنية لأخرى. وساهم اكتظاظ السكان بالمدن الى

[6] حسب محمد عرب الموسوي، تبقى المعايير الكمية الأحادية البعد، ناقصة للتمييز بين المدينة والريف لان المسالة أكثر من ذلك بالكثير وتحتاج الى نوع من المقاييس الكيفية المتعددة الابعاد خاصة وان الفروق الريفية -الحضرية هي بالأساس ظاهرة ثقافية مرهونة بثقافة المجتمع ككل.

اللجوء الى البناء العمودي واستغلال الطوابق السكنية، وأدى ذلك إلى تكاثر ناطحات السحاب التي تميز العديد من مدن الدول الكبرى (مثل: شيكاغو ونيويورك وطوكيو ...).

2. تطور المدينة عبر العصور

1.2 المدينة خلال العصور القديمة

انشئت أقدم المستوطنات الحضرية، في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين حوالي 4000 سنة قبل الميلاد. وتميزت مدن هذه الفترة، بتطور بنياتها التحتية وتنظيماتها الاجتماعية المعقدة، وبوجود أنظمة الحكم، (فضلا عن كثافتها السكانية). أما المدن اليونانية والرومانية، فقد شكلت، خلال هذا العصر، مراكز مهمة للتجارة والثقافة والانشطة السياسية، وتميزت بمساحاتها ومبانيها العامة التي تشهد على هويتها الحضارية.

وخلال هذه الحقبة، تميزت المدينة بالجمع بين الوظيفة العمرانية والدينية، حيث كانت القلاع الدينية والمدنية موجهة لتثبيت الدور الديني ونشره من خلال بناء المعابد وتوفير الأمن، فضلا عن الدور التجاري. فتم وضع الشوارع في نظام شبكي وتم دمج المساكن في المرافق الثقافية والتجارية والدفاعية. وأصل الرومان هذه المبادئ في جميع المدن التي شيدوها.

صورة 1: نموذج للعمران في العصر الاغريقي



Consulté le) https ://www.arqhys.com/arquitectura/urbanismo-sigloxx.html (26/03/2023)

مؤطر 1: المدن الرومانية في المغرب

عرفت السواحل المغربية، خلال الحقبة الممتدة ما بين القرن الأول والسابع الميلادي، تعزيز شبكة من المدن الرومانية مكونة أساسا من مثلث طنجة، ووليلى، وشالة، بالإضافة إلى بناصا وتاموسيدا.
وقد ركزت المدن الرومانية على هندسة مبنية على التوازي والتقاطع على شكل رقعة الشطرنج مزينة بأعمدة وأقواس ذات جمالية تشهد على الحضارة الإغريقية الرومانية. وبذلك، تكون المدينة الرومانية فى العادة مربعة أو مستطيلة يخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان "طريق كاردو وطريق ديكومانوس-ماكسموس" . وهما محوران متعامدان بهما أعمدة تميزهما عن بقية الشوارع. ويقسمان المدينة إلى أربعه أقسام وعند التقاطع يكون الميدان الرئيسي للمدينة المربعة، فيشكل الساحة العمومية بالإضافة إلى المعبد والمحكمة، وقوس النصر والحمامات. وقد عثر على نماذج من هذه المرافق فى كل من وليلي وشالة وتاموسيدا.) محمد محفوظ دروا، 2003)

صورة 2: مدينة وليلي الأثرية



2.2 المدينة في العصور الوسطى

بعد انهيار الامبراطورية الرومانية، اصبحت المدن الاوروبية أصغر حجما وأكثر لامركزية. وانخرطت بشكل كبير في المبادلات التجارية، حيث سيطر التجار على الحياة الاقتصادية. ويعكس تطور العمارة، في العصور الوسطى، الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتلك الحقبة الزمنية.

وتميزت المدن بعدة جوانب معمارية أساسية أهمها **القلاع والأبراج الدفاعية والأسوار** والأماكن المخصصة للعبادات، كالكاتدرائيات والكنائس والمساجد، وكذا الأسواق والمحلات التجارية التي كانت تختلف من مدينة إلى أخرى، حسب أهميتها الاقتصادية والديمغرافية. وتفردت المباني السكنية بتصاميم مختلفة ومتنوعة ومتراصة، بنيت بمواد محلية، في الغالب من الطوب والحجر، تعكس الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان. وتظفي الشوارع والأزقة الضيقة المتعرجة، على مدينة العصر الوسيط مرفولوجية خاصة، شكلت قطيعة مع الشكل الشبكي الشطرنجي الروماني.

صورة 3: مدينة كاركسون، فرنسا



صورة 4: قصبة الأوداية الرباط



صورة 5 : مدينة صنعاء اليمنية



مؤطر 2 : المدن المغربية في العصر الوسيط

على مستوى المغرب، بنت مدن العصر الوسيط، اقتصادا قويا، رغم صغر حجمها. وأغلبها اشترك فى شبكة من الحواضر ساهمت فى اقتصاد البلاد بالمنتوجات الفلاحية والصناعات المحلية وبالخصوص الأنشطة التجارية، سواء على المستوى الداخلي (المغرب الأقصى) أو على مستوى دور الوساطة بين المغرب وبلاد السودان والأندلس.

ولعبت فاس وسجلماسة، كمدينتين نموذجتين، دورا أساسيا في الحركة التجارية بين الشرق والجنوب. كما ظهر فى القرن التاسع الميلادي محور جد حيوي مكون من تمدولت وفاس وسبتة ونكور، لرغبة الأدارسة في الاستقلال عن سجلماسة فى اتصالها بالسودان، مما يفيد بداية انحياز المحور شرق المغرب إلى الوسط بين فاس وأغمات وإيجلي وتامدولت. وبعد ذلك، تعزز محور سجلماسة وفاس والبصرة ومكناس وسلا. وقد شكل بناء مدينة سلا، خلال القرن العاشر الميلادي، أولى معالم الاتجاه نحو الساحل، وكان تعرضها لهجوم النصارى سنة 1260، بوادر بداية الغزو المسيحى للسواحل المغربية.

وخلال القرنين 11 و15، تحولت محاور المبادلات التجارية جنوب-شمال نحو السهول وبلغت قمة التركيز، في العهد الموحدي، بتعزيز محور مراكش والرباط وسبتة واشبيلية بالأندلس، ثم في العهد المرينى بمحور تازة وسلا، عبر فاس ومكناس. (محمد محفوظ درو، 2003)

3.2 مدن عصر النهضة الأوروبية والعصور الحديثة والمعاصرة

على عكس الشوارع الضيقة وغير المنتظمة في مدن العصر الوسيط، أكد تخطيط عصر النهضة على الشوارع الواسعة التي تتبع **نمطًا شعاعيا*** أو دائريا منتظمًا، فكل الشوارع الدائرية تتمحور حول دائرة وسطى، تنطلق منها مسالك شعاعية لتسهيل الولوجية إلى كل المباني والمرافق العمومية. ومن أبرز رواد هذه الفترة "ليون باطستا ألبرتي" (Leon Battista Alberti, De)، الذي تناول في الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري المشكلة الأفلاطونية للمدينة المثالية. فاحتفظ بالشوارع الضيقة والمتعرجة مع إضفاء الرونق والجمالية والحيوية عليها، ملحا على أن المدينة ليست مجالا للخدمات، فحسب، بل فضاء للراحة والترفيه، وأن بنيتها مستوحاة من سياقها الثقافي والاجتماعي، ورهينة لمجموعة من الاعتبارات الاقتصادية ذات منطق خاص بها. وهو ما أكد عليه في مؤلفه ميثاق التخطيط الحضري.

تم الاهتمام، في بداية العصر الحديث، بالفن والزخرفة المعمارية والثقافة الكلاسيكية، مما انعكس على أساليب التخطيط والتصميم الحضري. وتميزت المدن الايطالية (مثل فلورانسا - البندقية ...) ببناياتها الكبيرة المتميزة بالانسجام والتناسق. كما شهدت هذه الفترة ظهور مرافق وخدمات جديدة، مثل المطبعة، وساهمت بشكل كبير في نشر العلم والمعرفة والأفكار حول التخطيط والتصميم الحضريين.

صورة 6: مدينة فلورانسا



Consulté le) https ://www.arqhys.com/arquitectura/urbanismo-sigloxx.html (26/03/02023

وعرف القرنان السابع عشر والثامن عشر، قمة التخطيط الحضري الكلاسيكي الذي هيمن فيه النموذج الفرنسي على الإيطالي. وشهدت هذه الحقبة عدة أفكار موجهة للتعمير من طرف الملوك الأوربيين وأعوانهم. حيث تم الحرص على مقتضيات أهمها: تحديد المجال المبني للمدن؛ ادماج قوانين الملكية في تخطيط المباني والمدن؛ عدم المبالغة في تشييد المشاريع الحضرية الكبرى بدعوى صعوبة حماية الأمن العام، والحد من تشتت النسيج الحضري الذي يعرقل المواصلات بين أطراف المدينة، مما أدى إلى إهمال الأحياء الداخلية للمدينة، وأخيرا ضرورة حماية الأراضي والأحزمة المخصصة للخضروات؛ توسيع الطرق داخل المدينة بمنع التي تقل عن خمسة أمتار ونصف؛ التأكيد على النظافة الحضرية والتهوية ومد قنوات الصرف الصحي؛ تشييد المرافق العمومية كالمستشفيات والفنادق والأسواق وقصر العدالة، والمسارح من أجل تنشيط المدن (HAROUEL Jean Louis, 1981).

وفي نهاية القرن 18م، أعطيت أهمية كبرى لجمالية المدن من خلال تنظيم وتخطيط الطرق والأزقة، وزخرفة وتجميل واجهات المباني والشوارع، من أجل تجويد الحياة العامة، بدل الاهتمام فقط بتهيئة داخل البيوت. وفي نفس السياق، تم العمل على ربط المدينة بإطارها الطبيعي وخاصة الأودية والأنهار التي تجري سواء بداخلها أو في محيطها، مع بناء القناطر الرابطة بين ضفاف مجاري المياه.

ساهمت الثورة الصناعية في احداث تغييرات جذرية في جغرافية المدن، لاسيما مع ظهور المدن الصناعية والمدن الجديدة وتزايد عدد السكان الحضريين، خاصة في الدول الصناعية، التي عرفت هجرة قروية مهمة، بالنظر لتطور الصناعة وازدهار قطاعي الخدمات والتجارة. وشكل الشغل بالمكاتب، المحرك الرئيسي في تطور المدن الكبرى، كما هو الشأن بمدينة باريس ولندن ونيويورك. بينما ظلت مدن الدول غير الصناعية مقتصرة على النشاط التجاري والصناعات التقليدية دون دعم من الصناعة الحديثة. ولم تتطور وتتغير ملامحها ونمط عيشها إلا بعد دخول الاستعمار وفرض نمط ونموذج الحياة الأوربية.

وخلال الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، تم إيلاء أهمية بالغة للعمارة والعمران بالمدن الأوربية. وبرز دور الحكام في تجويد الحياة الحضرية، واهتمامهم بتخطيط المدن وإعادة هيكلة طرقها وبناياتها وهندستها المعمارية وتحديث مرافقها الخدماتية. وذلك من أجل

تحديث البنى التحتية وتطوير البنية الاقتصادية للمدن الفرنسية لتتميز عن باقي مدن البلدان الأوربية الأخرى خاصة منها بريطانيا وايطاليا. وفيما يتعلق بباريس، فقد شهدت العديد من التغييرات خلال فترة حكم نابليون الثالث، نورد منها بعض الأمثلة (مؤطر 3).

مؤطر 3 : بعض التغييرات التي شهدتها باريس خلال فترة حكم نابليون الثالث

*توسيع الشوارع وتحسين البنية التحتية : تهدف هذه العملية إلى تسهيل حركة المرور وتحسين جودة الحياة في المدينة.

* إعادة هيكلة المباني العامة : تم تجديد وإعادة بناء العديد من المباني العامة مثل المتاحف والمكتبات والمباني الحكومية لإضفاء مظهر حديث ومناسب لمدينة باريس.

* تطوير المساحات العامة والحدائق : تم تصميم وتطوير الحدائق والمساحات العامة في المدينة لجعلها مريحة وجذابة للسكان والزوار.

*إنشاء القصر الرئاسي : أحد الأعمال الرئيسية التي قام بها نابليون الثالث في باريس كان بناء القصر الرئاسي الذي يعرف الآن باسم الإيليزي، وهو مقر إقامة رؤساء الجمهورية الفرنسية.

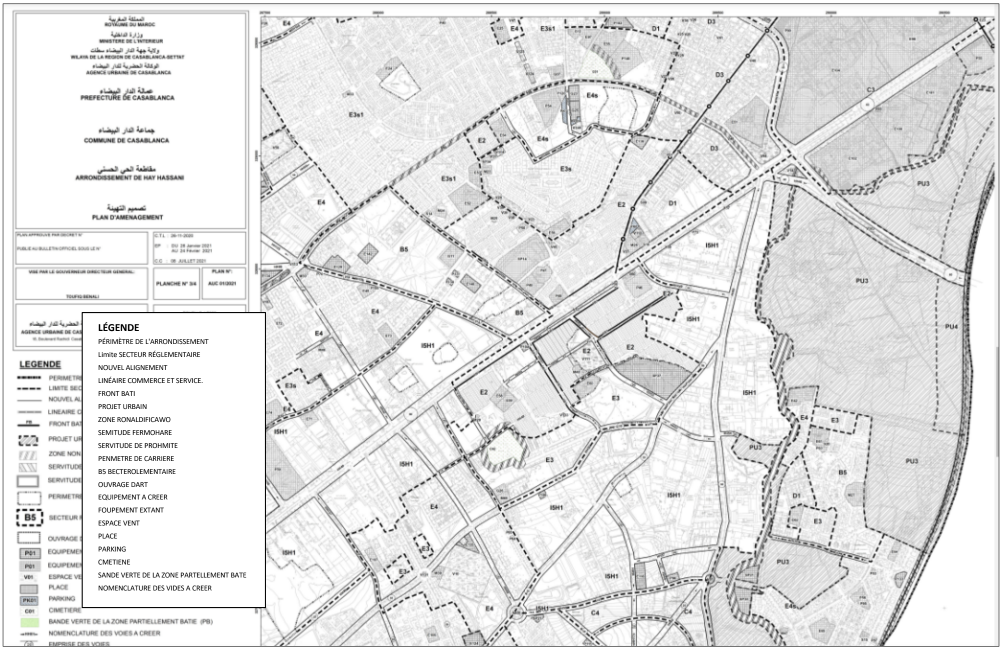
* تطوير النقل العام : تم تحسين وتطوير وسائل النقل العام في باريس لتسهيل حركة السكان داخل المدينة.

(MALET H. 1973)

وفي بداية القرن العشرين، وعلى إثر المشاكل الاجتماعية التي ورثتها المدن بعد الثورة الصناعية، شهدت ضواحي المدن الصناعية والمعدنية انتشار السكن غير اللائق، وظهرت عدة أعراض للتمايز الاجتماعي والمجالي داخل المجالات الحضرية، وضعف الانسجام الوظيفي بين مختلف أحيائها...، بدأت بوادر تخطيط حضري حديث، خاصة في الدول الأوربية، كما هو الشأن في مدينة ليل الفرنسية ومانشستر الإنجليزية. وظهرت حركة **المدن الحديقة*** Garden Cities التي سعت إلى خلق بيئات حضرية أكثر استدامة وصالحة للعيش.

وفي خضم هذه الأزمة الحضرية والتناقضات المصاحبة لها، تعالت أصوات المفكرين منددين بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعرفها المدن الكبرى. أفرز **ميثاق أثينا*** Charte d'Athènes، الذي طالب باعتماد البناء العمودي والعمارة الشاهقة بوسط

المدن لاستيعاب الخصاص في السكن والخدمات، مع اعتماد **التنطيق المجالي*** Zonage كمبدأ لتحديد الأدوار الأساسية لأحياء ومكونات المدينة، والمتمثلة في العمل والسكن والترفيه. وقد تم اعتماد نفس المنهج في مجموعة من الدول التي تم استعمارها من طرف الأوربيين. فخضعت المدن في المغرب مثلا لنمط جديد من التنظيم والتخطيط الحضري في تعارض صارخ مع التنظيم القائم. وانتقلت المدينة المغربية (الرباط وفاس ومراكش والدار البيضاء والصويرة ومكناس...) من مجال حضري ملتئم داخل الأسوار وحول الأنشطة التجارية، إلى مدن شاسعة المساحة، حيث فتحت العديد من الأحياء السكنية والصناعية الجديدة خارج المدن الأصلية. وساهمت وثائق التعمير (المخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير وتصاميم التهيئة) في تغيير مشهد المدن.



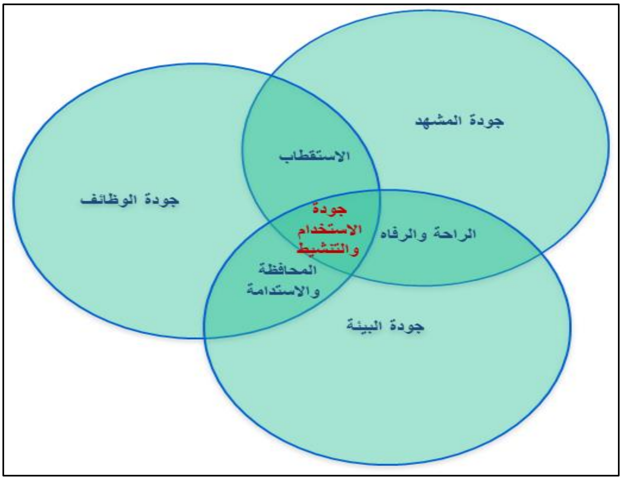
تصميم1: جزء من تصميم تهيئة الحي الحسني بالدار البيضاء

المصدر: بوابة الوكالة الحضرية للدار البيضاء

لقد ساهم النقل الحضري، في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، في توسع المدن وتعقد بنياتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية وخاصة بين المركز والضواحي. ودخلت المدن في حمى التنافسية والاستقطاب للرساميل والموارد البشرية الأكثر كفاءة.

وانتقلت المدن من التدبير التقليدي إلى الرقمنة، مما أتاح لها امكانيات وفرص كبيرة لفرض نفسها كجهاز مهيكل لتنظم وتهيئة المجال، مع التركيز على الاستدامة والعدالة الاجتماعية وخلق بيئات حضرية توفر الراحة ورغد العيش.

شكل 6 : جودة إطار الحياة بالمدن



أصبحت جاذبية المدن الكبرى تتجاوز الحدود المحلية والوطنية وتتموقع كمدن عالمية، بالنظر للخدمات التي تقدمها. وتعتبر قاطرة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، مستمدة دورها من انتاجها القوي والاعتماد على البحث والابتكار. وبفضل هذه الدينامية الحضرية، أصبحت المدن تساهم بحوالي 80 % من الناتج الداخلي الخام عالميا (تقرير البنك الدولي حول المدن سنة 2022).

مؤطر 4 : سنغافورة نموذجًا للتحول الحضري الناجح

تُعتبر سنغفورة واحدة من أكثر المدن تقدمًا في العالم، وتشهد تطورات مستمرة في مجال الابتكار والتكنولوجيا. ومن بين المجالات الرائدة في سنغافورة:

المدن الذكية Smart Cities: تعتمد سنغافورة على التكنولوجيا بشكل كبير لتحسين جودة الحياة في المدينة. تمثل المدينة الذكية مفهومًا رئيسيًا في جهود تطوير البنية التحتية وتحسين الخدمات العامة.

التكنولوجيا المالية Fintech: يُعتبر قطاع التكنولوجيا المالية مهمًا في سنغفورة، حيث تشجع الحكومة الابتكارات في هذا المجال لتعزيز النمو الاقتصادي وتوفير الخدمات المالية بشكل فعال ومناسب.

التنقل الذكى: تُعتبر سنغافورة من بين الدول الرائدة في تطوير نظم التنقل الذكى، بما في ذلك النقل العام والتشارك في السيارات والتكنولوجيا المرتبطة بالتنقل.

الطاقة المستدامة: تعمل سنغافورة على تطوير حلول للطاقة المستدامة والتحول إلى مصادر الطاقة المتجددة، بما في ذلك الطاقة الشمسية والرياح.

الابتكار في الصحة: يشهد قطاع الصحة في سنغافورة تطورات مستمرة، مع التركيز على تطبيق التكنولوجيا في تحسين الرعاية الصحية وتوفير الخدمات الطبية بشكل أكثر فعالية.

الدعم المستمر للشركات الناشئة والاستثمار في البحث والتطوير، مما يجعلها واحدة من أبرز المدن الرائدة في مجال الابتكار في العالم.

صورة 7 : مدينة سنغافورة



www.google.com/ville+singapour

ونتيجة للاستعمال المكثف للجيل الثالث من التقنيات الحديثة في التكنولوجيا، داخل المدن الكبرى، أصبحت الرقمنة والذكاء الاصطناعي أحد الأعمدة الاساسية في التدبير الحضري. وإذا كانت السيارة قد قلصت من المسافة الفاصلة بين الأحياء داخل المدينة وبين هذه الأخيرة وضاحيتها، فإن الرقمنة أعطت بعدا أخر لمفهوم الزمكان ولوتيرة الحياة الحضرية

في نطاقها الشمولي. وموازاة مع ذلك، ظهرت مجموعة من المعايير تحاول تجويد الحياة الحضرية: ميثاق ڤيينا، **ميثاق ألبورك*** Charte de Burra، **المذكرة الحضرية 21** Agenda 21*، **وأهداف التنمية المستدامة**ODD *، والمقاربة البيئية في التعمير إلى غير ذلك.

بصفة عامة، كل هذه التغيرات تصب في تطور منظور الجغرافيا الحضرية، فيما يخص معالجة القضايا الثقافية والاقتصادية والتكنولوجية التي تشهدها المدن. ومن الطبيعي أن يكون لهذا التطور آثار مباشرة على طريقة ومنهجية تخطيط المدن وتصميمها. ومن خلال فهم سيرورة تطور الجغرافيا الحضرية، يمكن اكتساب نظرة استباقية مستقبلية للتحديات الكبرى التي قد تواجه مدن اليوم، وأهم الفرص التي يمكن ان تتاح لها، والعمل من أجل خلق بيئات حضرية أكثر استدامة، وملائمة للعيش الكريم.

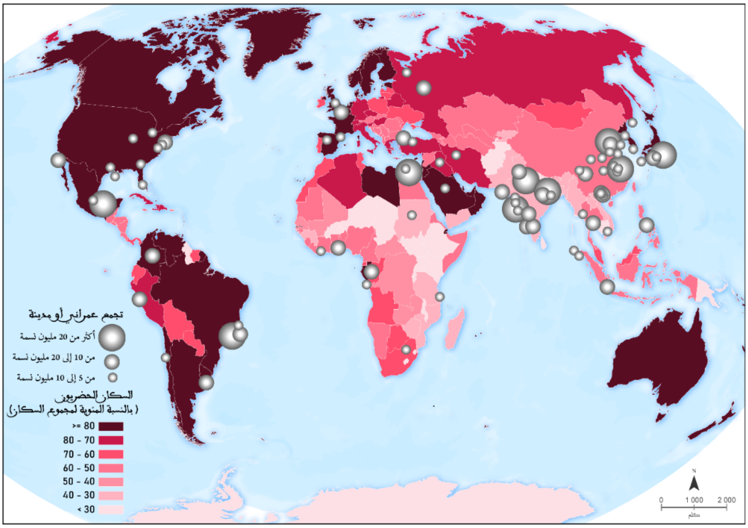
3. الديناميات الحضرية وأهم أشكال وتصاميم المدن

الديناميات الترابية المعاصرة هي أولا وقبل كل شيء ديناميات حضرية. وتتجلى في النمو الحضري والتمدد العمراني للمدن، والذي اتخذ أشكالا متعددة، تتجلى في خطط ونماذج متباينة.

1.3 دينامية التمدن: ظاهرة عالمية

سنة 2014، قُدر عدد سكان العالم الذين يعيشون في المدن ب 3.9 مليار نسمة أي 54% من سكان العالم، وهو رقم من المتوقع أن يرتفع إلى 66% في سنة 2050 وفقًا لتقديرات الأمم المتحدة. وهكذا يفرض الواقع الحضري نفسه باعتباره المفتاح المهيمن والأساس لفهم الديناميات الترابية المعاصرة. فإذا كانت بعض الديناميات تهم جميع مدن العالم بشكل موحد، فإن بعضها يتم التعبير عنها بكثافة أكبر أو أقل اعتمادا على درجة قدم التعمير.

خريطة1: توزيع التجمعات العمرانية ومعدل سكان المدن في العالم (سنة 2018)



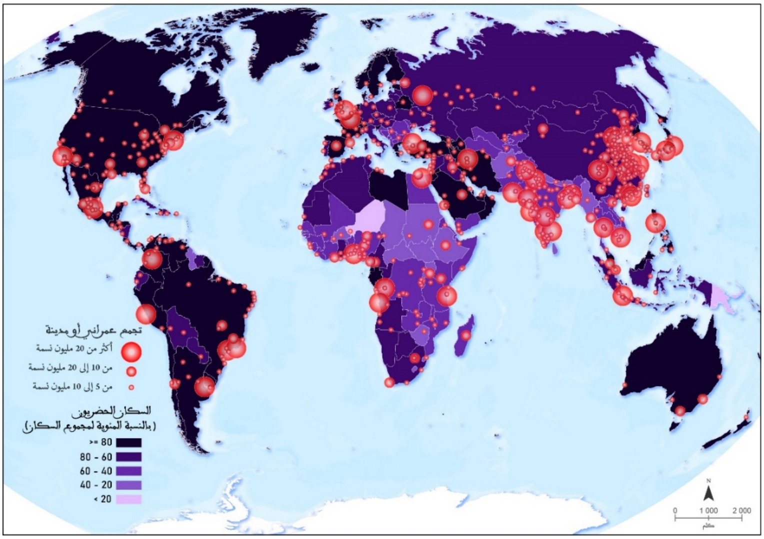
المصدر: World Urbanization Prospects 2018, ONU, 2018

لقد أصبح التوسع الحضري ظاهرة عالمية تشمل كل البلدان وإن بدرجات متفاوتة، تبعا للظروف الزمنية المختلفة، ويتمثل هذا التفاوت في أن البلدان التي لايزال يغلب عليها الطابع الريفي أصبحت تلتحق بالركب، في حين أن التحول الحضري قد اكتمل في القارات الأوروبية والأمريكية والأسترالية، بينما ظلت أفريقيا وآسيا تتميز بمعدلات تحضر منخفضة نسبياً، وبالتالي بها إمكانات عالية للنمو الحضري. وتزداد بها دينامية التحضر بشكل مستمر، حيث تغذيها تيارات الهجرة الجماعية من الريف وارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية (السكان الشباب مع ارتفاع معدلات المواليد).

وتؤدي الزيادة في عدد سكان المدن إلى امتداد التأثير المجالي للمدن، ويتخذ شكلين متميزين: النمو الحضري والزحف الحضري، حيث يشير النمو الحضري إلى زيادة متزامنة في عدد السكان والمناطق المبنية في المدينة. وعلى العكس من ذلك، يشير الزحف العمراني إلى زيادة في المساحة المبنية بشكل أكبر من النمو السكاني. وتعمل هاتان الطريقتان على تغذية عملية التحضر في المناطق المحيطة بالمدينة كدينامية حضرية بارزة خاصة في القرن الحادي والعشرين.

وتعد المدن ككل، مناطق مفضلة للعولمة، وتعرف بأنها تدويل التبادلات وتدفقات السلع والرأسمال والأشخاص، أو الأفكار وتكثيفها على نطاق عالمي. فجميع مدن مختلف أنحاء العالم، لا يتم دمجها بشكل موحد في هذا المسلسل الانتقائي، حيث تبرز فئة من المدن والمتروبولات باعتبارها في طليعة هذه التبادلات المعولمة، وهذا ما يعرف بـ**المتروبولية*** (Métropolisation).

خريطة 2: المتروبولات الكبرى وتوقع معدل النمو الحضري بالعالم في افق 2030



المصدر: World Urbanization Prospects 2018, ONU, 2018

وتعد المدن العملاقة التي يزيد عدد سكانها على 10 ملايين نسمة، ظاهرة جغرافية عامة في البلدان المتقدمة كما في البلدان النامية على السواء. وقد ظهرت لأول مرة في البلدان المتقدمة (لندن، نيويورك)، بسبب التصنيع، لكنها، اليوم، تتطور أكثر في الدول النامية، حيث تتواجد بها 17 من أكبر 20 مدينة في العالم. ومدينة مكسيكو مثال مشهور على ذلك. وبالتالي، فإن المدن الكبيرة جداً هي التي تجتذب السكان.

ومن بين أكبر المدن في العالم، نجد ما يلي:

جدول 2 : المدن العشرة الأولى والأكبر في العالم

من حيث عدد السكان 2020

المدينة	الدولة التي تنتمي اليها	عدد السكان بالمليون نسمة
طوكيو	اليابان	37,393,000
دلهي	الهند	30,290,000
شنغهاي	الصين	27,058,000
ساو باولو	البرازيل	22,043,000
مومباي	الهند	21,042,000
مانيلا	الفلبين	16,767,000
كاراكاس	فنزويلا	15,572,000
نيويورك	الولايات المتحدة	15,091,000
بكين	الصين	14,910,000
القاهرة	مصر	14,866,000

المصدر: تقرير الأمم المتحدة للتوسع الحضري لسنة 2020

وأهم المدن العالمية المؤثرة على المستويين الاقتصادي والمالي:

- نيويورك: تعتبر مدينة نيويورك واحدة من أكبر المدن في العالم لكونها مركزًا ماليًا وتجاريًا عالميًا وموطنًا للأمم المتحدة.

- طوكيو: تعتبر طوكيو واحدة من أكبر المدن من حيث الكثافة السكانية والتطور التكنولوجي في العالم، وتشتهر بكونها مركزًا للابتكار والتكنولوجيا.
- لندن: تعتبر لندن مركزًا تاريخيًا وثقافيًا وماليًا في أوروبا، وتلعب دورًا هامًا في السياسة والاقتصاد العالمي.
- شانغهاي: مع تطور الصين السريع، أصبحت شانغهاي واحدة من أهم المدن العالمية من حيث الاقتصاد والتجارة والابتكار التكنولوجي.
- سنغافورة: تعتبر نموذجًا للتحول الحضري الناجح، حيث تشتهر بالتنمية الاقتصادية والابتكار في مجال البنية التحتية والتكنولوجيا.

وعلى نطاق أصغر، نلاحظ ديناميات **إعادة التشكيل الحضري*** Recomposition urbaine، **وإعادة التنظيم*** Réorganisation مما ينم على تفاقم عدم المساواة بشكل عام، بين المدن بعضها البعض عبر ديناميات المدن الكبرى، وداخل المدن نفسها. وتميل ديناميات **التجديد الحضري*** Gentrification والتباينات المجالية-الاجتماعية نحو **الإقصاء*** **والتهميش*** حيث تتعمق فيها التناقضات الاقتصادية والاجتماعية بشكل متزايد، بين الأحياء وبين السكان.

كما أن المدن تتطور وتتوسع وتختلف أشكالها وتصاميمها حسب سياق نموها الزماني والمكاني، مما يعكس أساليب حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. حيث يمكن تصنيف أشكال نموها كما يلي:

2.3 النظرية أو الخطة الشريطية* Le Modèle linéaire

ويرتبط هذا النموذج، اما بمحور تجاري، أو بمحور رئيسي للمواصلات، وقد يكون نتيجة لامتداد على طول الاودية، او عند قدم السفوح، او على طول السواحل، الشيء الذي يعطي شكلا خطيا للمدينة.

من بين دعاة هذه النظرية، **سوريا ماتا**[7] الذي اقترح سنة 1822، أسلوب "المدينة الطولية" كطريقة، لتوجيه التوسع الحضري نحو طرفي المدينة الشريطية، عبر محور رئيسي، يعد العمود الفقري للمدينة، لكي يبقى الاتصال قائما بين سكان الحضر والبيئة المحيطة بها من المجالات الزراعية والخضراء.

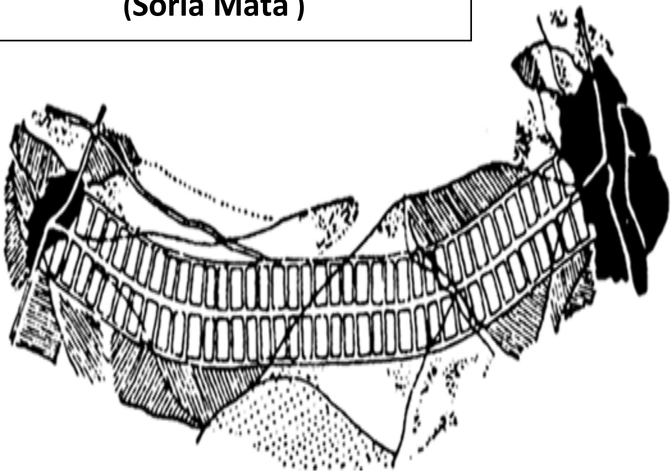
وقد حاول الباحث "**ماتا**" ان يقدم حلولا لمشكلة المرور التي تطرح بالمدينة الشريطية، التي تبناها باعتبار كل الخدمات، سواء منها العامة او الخاصة، تتوطن بالمحور الرئيسي الذي يشكل الشريان الرئيسي لحركة المرور بالمدينة. فاقترح أن ألا يقل عرض الشارع الرئيسي عن 50 مترا على أن يتوقف طوله على امتداد المدينة. ومن بين الأنشطة التي تتركز بهذا الشارع "**المباني العامة* Public Building والخدمات التجارية والاجتماعية والحدائق**". وعلى جانبي الشارع الرئيسي، تتواجد المساكن ذات الحدائق. وتخصص المساحات الأخرى المتبقية من المدينة للأنشطة الزراعية، في حين يتم توطين المناطق الصناعية والحرفية خارج المدينة او على الهوامش البعيدة.

وتتميز المدينة الشريطية -حسب ماتا- بمجموعة من الخصائص، على الشكل التالي:

- **خصائص صحية:** تتجلى في كون تصميم المدينة الشريطية، يساعد على الاستمتاع بجودة الهواء وضوء الشمس والمجالات الخضراء؛
- **خصائص جمالية:** تكمن في عملية تنسيق المباني، لا سيما المناطق الخضراء؛
- **مميزات اقتصادية:** تتجلى في علاقة الإسكان بالأنشطة الصناعية والزراعية؛
- **اجتماعية:** تتمثل في أسلوب الحياة الاجتماعية.

---

[7] سوريا ماتا (Soria Mata) مخطط اسباني، من بين أبرز رواد الفكر العمراني، اعتبر ان المدينة هي "مصدر واصل كل المساوئ، وان المدينة يجب ان تدمج بالريف، وان كل اسرة لابد ان تمتلك منزلا مستقلا بحديقة لا تقل عن 400 متر مربع، يبنى منها 80 مترا مربعا ".

الشريان الرئيسي: عبارة عن شارع رئيسي تحيط به كافة الخدمات؛ **المناطق السكنية:** تلي الخدمات؛ **المزارع:** تلي المساكن.	**شكل 7: الخطة الشريطية كما تصورها سوريا ماتا (Soria Mata)** 

مؤطر 5: الرباط كمثال عن الخطة الشريطية

تعتبر مدينة الرباط أحد نماذج البناء الشريطي. فرغم تشييد المدينة عبر عدة مراحل، شكل شارع الحسن الثانى، الذي ينطلق من واد أبى رقراق إلى الطريق السيار فى اتجاه الدار البيضاء، المحور الطرقي الرئيسي الذي هيكل ويهيكل المدينة إلى اليوم ويفصلها إلى جزئين كبيرين. الجزء الغربى من شارع الحسن الثانى إلى الطريق الساحلية، ويضم المدينة العتيقة وأحياء المحيط والعكاري ويعقوب المنصور. تم الجزء الشرقي الذي ينطلق من المحور المذكور حتى الطريق الدائري، ويضم كلا من حى حسان وأكدال والرياض والسويسى. فهو محور طرقي وتجاري وخدماتي بامتياز، تتقاطع معه طرق عمودية كشارع محمد الخامس وشارع فال ولد عمير، وهي ذات تركز تجاري مهم وشارع ابن رشد. وقد كان لهذا المحور وقع كبير على الشكل الطولى لمدينة الرباط، وتعزز هذا الشكل بفتح طرق وشوارع موازية له كشارع عبد الرحيم بوعبيد وشارع المهدي بن بركة في الناحية الشرقية للمدينة.

شكل 3: شارع الحسن الثاني وسط الرباط



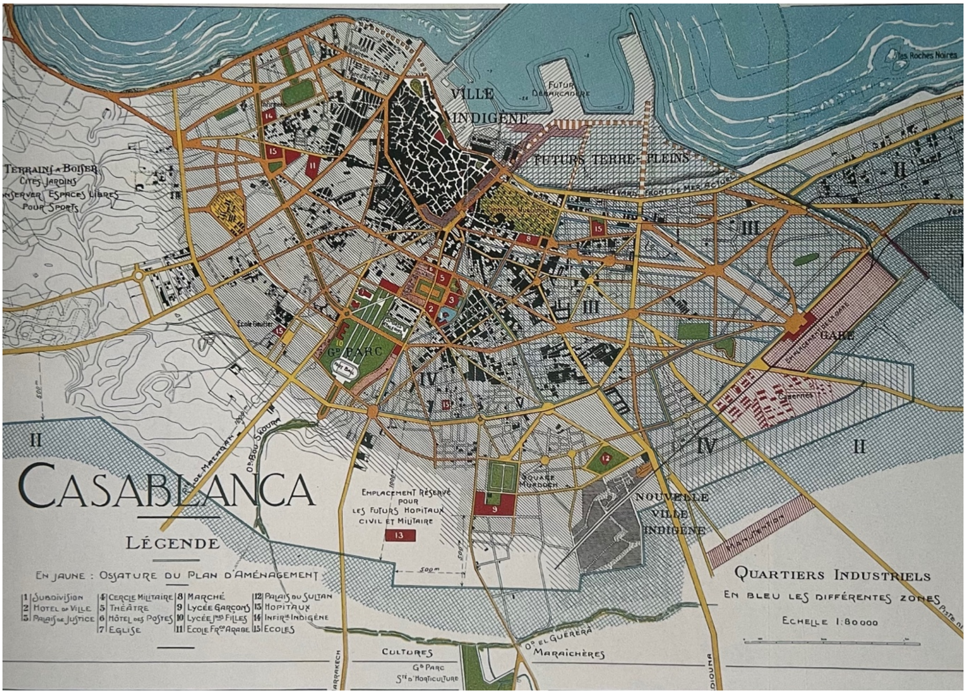
3.3 الخطة الشعاعية* ذات الحلقات النصف دائرية*

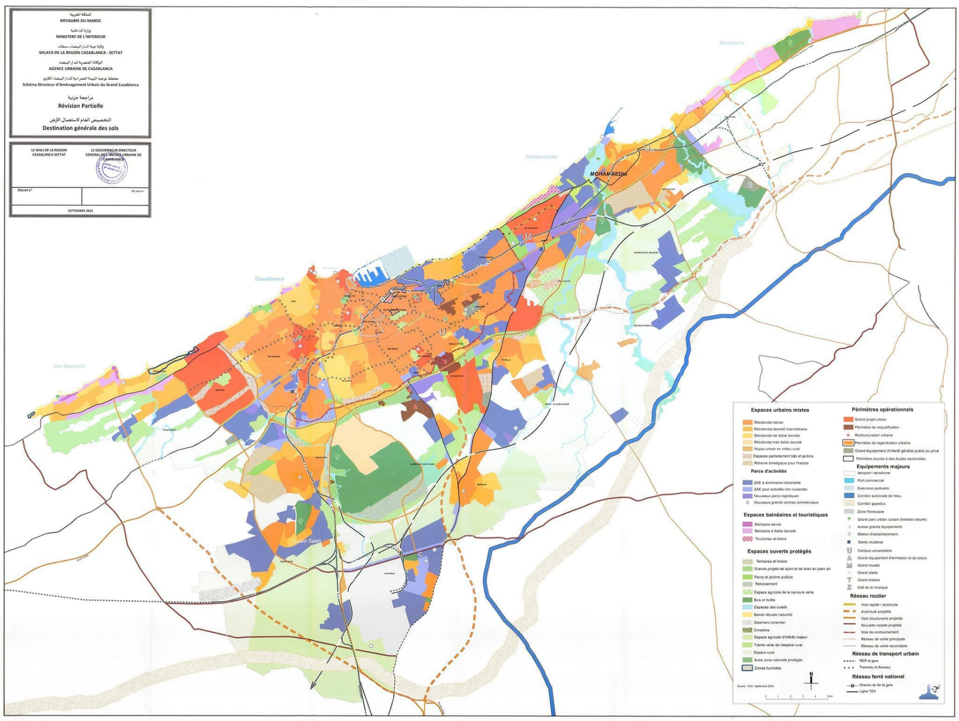
Plan semi-radioconcentrique

تنتظم بعض المدن، على شكل حلقات قوسية متتابعة حول نقطة مركزية. وتنطلق من هذا المركز محاور اشعاعية، تمتد حتى أطراف المدينة. وتقاطع هذه الطرق الشعاعية، طرق أخرى ذات شكل نصف دائري، مشكلة بذلك، سلسلة من الاحزمة بالنسبة للمركز. فامتداد المدينة على شكل حلقات نصف دائرية، يتم انطلاقا من المدينة القديمة المجاورة لميناء، كما هو الشأن بالنسبة لمدينة الدار البيضاء.

وقد شكل الميناء، بالنسبة لبعض المدن الأوربية، نقطة انطلاق المدينة الدائرية، لكن سرعان ما تخللت نصف الدوائر المتتالية محاور طرقية عمودية، امتدت بها خطوط النقل الحضرية من قطارات وحافلات عالية الخدمات في ممرات خاصة بها. وتعتبر مدينة "كوبنهاكن" بالدانمارك، نموذجا لهذا التطور **النصف دائري***. فالمدينة، انطلقت من مينائها البحري الذي شكل مركزها الرئيسي، حيث تتركز أغلب الأنشطة الاقتصادية. قبل أن تفتح العديد من المحاور الطرقية انطلاقا من المركز وتلف حولها المناطق الجديدة للتعمير والأنشطة الصناعية والتجارية والخدماتية. وخصصت المناطق البينية للمحاور الطرقية الرئيسية للأنشطة الزراعية والترفيه والسكن الفردي. ولهذا سميت بمدينة "الكف".

شكل 4: مدينة الدار البيضاء





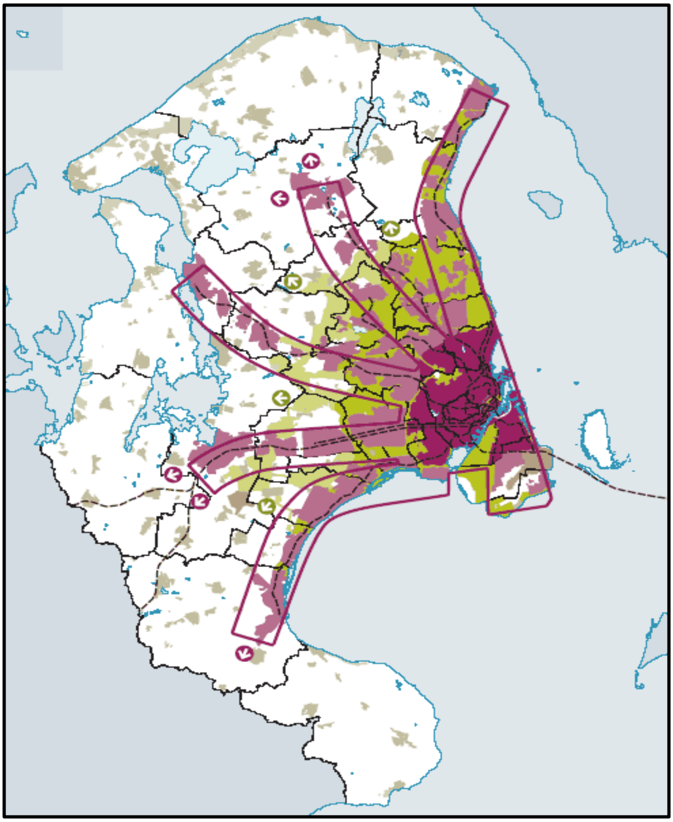
4.3 خطة الحلقات الدائرية*

Plan radioconcentrique ; plan concentrique

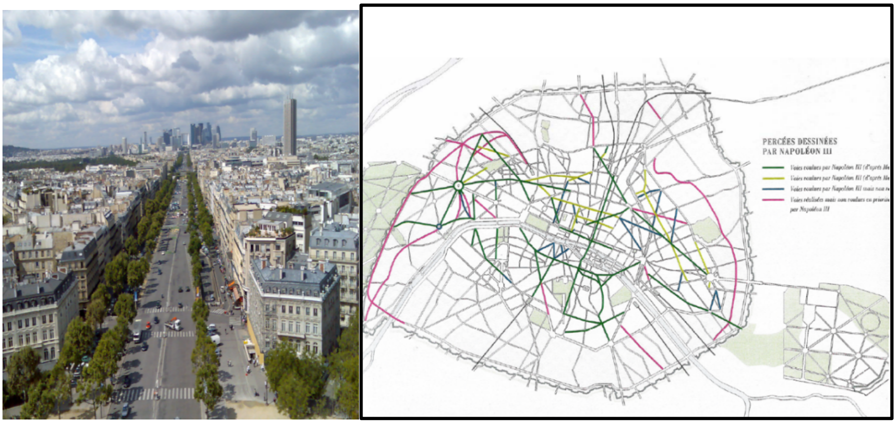
تعد الخطة الدائرية من أقدم أشكال تخطيط المدن وأفضلها من حيث أشكال الاتصال بين المركز والأطراف. ويقسم هذا النموذج المدينة، إلى مناطق لها نفس المركز، مع إضافة قطاعات تشع إلى الخارج من وسط المدينة. ويتم تحديد القطاعات من خلال طرق النقل أو السمات الطبيعية أو الحدود الأخرى، التي تؤثر على نمط النمو. وتتشكل المدينة من حلقات متتالية، تنتظم حول نقطة مركزية عبارة عن "نواة قديمة". استخدم هذا التصميم، غالبا، في المدن القارية التي توسعت مع مرور الوقت، مثل باريس ولندن وطوكيو.

وتخلق هذه الخطة إحساسًا بالنظام والتراتب الهرمي، ويمكن ان تكون كذلك أقل كفاءة من التصميمات الأخرى، كما يمكن أن تؤدي إلى الزحف العمراني

شكل 5: مدينة كوبنهاكن بالدانمارك



مدينة باريس



5.3 الخطة الشبكية أو الشطرنجية*

Plan hippodamien en échiquier, quadrillé

يعد هذا النموذج، الأكثر انتشارا وشهرة لتصميم المدينة. يتميز بزواياه القائمة، التي تشبه في تقسيماتها لوحة الشطرنج، (لذلك سمي بالخطة الشطرنجية). ويتميز هذا النوع بنمط بسيط من الشوارع المستقيمة والعمودية. فهو شكل قديم من أشكال تخطيط المدن، استخدمه الإغريق والرومان القدماء. ولا يزال يستخدم اليوم في مدن، مثل أبو ظبي ونيويورك وشيكاغو ومدريد وبرشلونة.

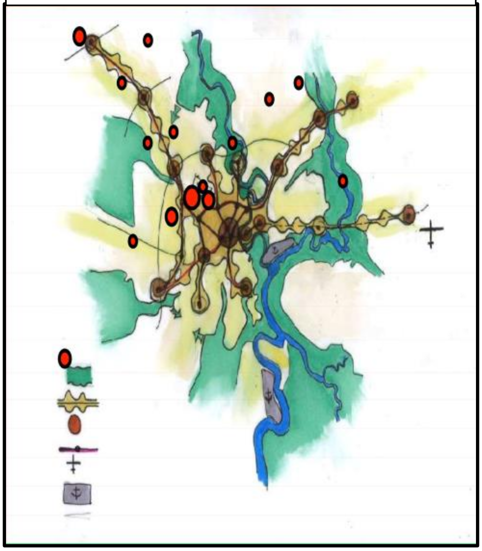
شكل 6: تصميم شبكي لمركز مدينة شيكاكو (1848)



https://fr.wikipedia.org/wiki/Plan_hippodamien#/media/Fichier:EB9_Chicago.jpg

(تم تصفح الموقع يوم 6 يونيو 2024)

شكل 7: مدينة ليون (فرنسا)



يسمح هذا النموذج بسهولة التنقل والاستخدام الفعال للأراضي. وغالبا ما تتخذ الأجزاء او التقسيمات شكل مربعات أو مستطيلات أو مثلثات. وتعتبر نموذجا مبسطا لهذا النوع من التصاميم الشطرنجية.

6.3 الشكل النجمي الأخطبوطي* Forme Tentaculaire

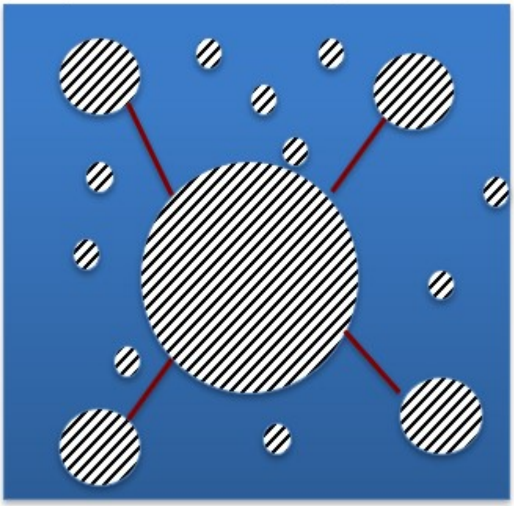
يتشكل النموذج "النجمي الاخطبوطي" في المدن عندما تمتد العديد من الاذرع على طول الطرق، انطلاقا من مركز المدينة. وتميز هذا الشكل بتعدد **مركزياته الحضرية*** Centralités Urbaines على طول محاورها الطرقية انطلاقا من محطات النقل وتوزيع البضائع. ويستند مفهوم "المركزية الحضرية" إلى فكرة مفادها أن العرض والطلب للأموال والأنشطة يتركزان في مجالات تتميز **بالجاذبية** *و**الإيصالية** Accessibilité* ، مما يعطي المجال **قوة استقطاب*** Polarisation أي أنه يستقطب أسواقا واستثمارات ورؤوس أموال خارجية. وساهم هذا الشكل في خلق مراكز تمزج بين العديد من الأنشطة الصناعية والتجارية والثقافية والسياحية. هذا فضلا عن انفتاح المدينة على مجالاتها الطبيعية القريبة التي تشكل مناطق خضراء. وتعتبر مدينة **"ليون"** الفرنسية، مثالا حيا لهذا النموذج، لأن موقعها عند ملتقى الطرق جعل العمران ينمو وينتشر في اتجاهات متعددة، مما أدى إلى تبلور شكل شبه نجمي.

7.3 المدن المتعددة الانوية* Les Cités Polycentriques

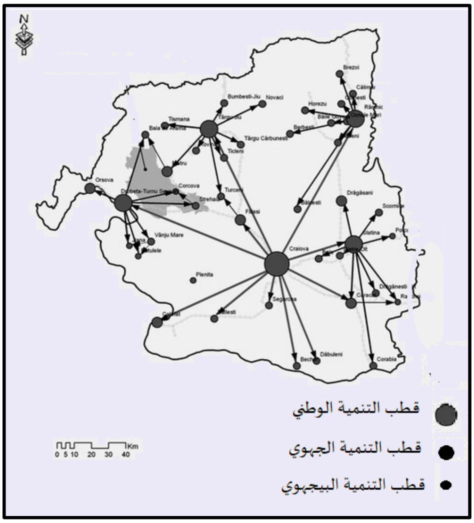
عادة ما تكون المدن المتعددة الانوية* "مركبة ومفككة" حيث أنها عوض أن تنمو بشكل متصل ومتواصل تتميز بظهور أحياء جديدة منفصلة عن النواة الاصلية، لكن كل واحدة منها تتميز بخصوصياتها ووظائف خاصة بها. وقد تكون هذه المراكز أو الأنوية الثانوية متصلة بواسطة محاور النقل الضرورية مع النواة الأم أو **المدينة الأم***. ومن الممكن أن تشتغل هذه

المراكز في إطار تكامل وظيفي فيما بينها، وبينها. وإذا تحقق هذا التكامل، فقد يساهم في توزيع أكثر توازنًا للأنشطة الاقتصادية والسكنية والترفيهية، مما يقلل من الازدحام والتنقلات اليومية.

شكل 8: نموذج المدينة المتعددة الأنوية



شكل 9: نموذج لشبكة مدن متعددة الأنوية (الجنوب الغربي لفرنسا)



تتميز المدن عامة، بأشكال وتصاميم عديدة ومختلفة، لكل منها نقاط قوتها وضعفها. ومع استمرار نمو المدن وتطورها، سيستمر المخططون الحضريون في وضع تجارب لأشكال وتصميمات جديدة لإنشاء مدن فعالة وقابلة للعيش ومستدامة. كما يمكن أن يكون لهذه الأشكال والنماذج تأثيرات كبيرة في نمو المدينة سواء على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والبيئي للحياة الحضرية، ويبقى فهمها ضروريا في عملية التخطيط والتنمية الحضرية الهادفة.

4. وظائف المدن

المدن عبارة عن كيانات دينامية ومعقدة، تؤدي مجموعة من الوظائف[8] المختلفة، حسب موقعها الجغرافي وتاريخها وحجمها. فالمدينة هي مجال نابض بالحياة، وهي العلاقات الانسانية والفن والثقافة. وهي وحدة عمرانية مكونة من أحياء و**مركزيات*** des centralités ذات تكامل وظيفي، تشمل قطاع الصناعة والحرف والتجارة والخدمات والمال، وكل ما يساهم في تطوير وظائفها من أجل فرض هيمنتها جهويا وعالميا (مصطفى المرزيق، 2020).

وظائف المدن جد متنوعة، وغير ثابتة، فكم من مدينة غيرت وظيفتها الأصلية وتبنت وظائف جديدة كما هو الشأن بمجموعة من المدن المعدنية التي تحولت، بعد إغلاق المناجم، إلى مدن الخدمات والسياحة... وتتمثل أهم الوظائف فيما يلي:

-4-1 الوظيفة الصناعية : تشكل المدن مراكز صناعية، إذا استقطبت المصانع او المعامل لإنتاج السلع سواء الموجهة للاستهلاك المحلي أو للتصدير. وفي الغالب، تبدأ المدينة ذات الوظيفة الصناعية بلا جذور محلية أو إقليمية أو علاقة مع مجالها القروي المحيط بها. وقد يسبب تطورها الداخلي في بناء علاقات وتوجهات اقليمية. وتنمو مع توسع المناطق الصناعية بالمدينة سلسلة وحلقات كثيفة من الصناعات المصاحبة والفرعية والمكملة والخدمات التابعة، مما يؤدي إلى تقاطر الوظائف غير الصناعية كالخدمات الاجتماعية والترفيه والتغذية والنقل والتجارة... (جمال حمدان، بدون تاريخ). وتساهم الصناعة، في انتاج وتوفير فرص الشغل، وبالتالي الرفع من القدرة الشرائية للسكان. ومن ثمة فالمدينة الصناعية، تعد سوقا

[8] تعد وظائف المدن، من محددات نوعية الحياة ونمط العيش فيها (المدينة)، ومبررا لوجودها، وهي أساس قيامها وتشكيلها.

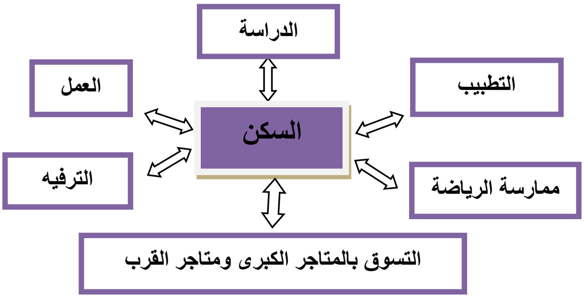
لتوفير الحاجيات الضرورية للسكان، ولتوزيع المواد الغذائية... كما أنها تساهم (المدينة الصناعية) في خلق مجموعة من الوسطاء، الذين يتخصصون في توزيع المنتجات، وفي توفير المتطلبات اليومية للسكان.(Jacqueline Beaujeu Garnier, 1980).

4 - 2 الوظيفة التجارية : تعد التجارة، من أهم الوظائف الأساسية للمدن. فقد أدى هذا النشاط، الى خلق المدن في المناطق ذات الحضارات القديمة، والى توسعها وتطورها[9]. وتتعدد تجليات الوظيفة التجارية في المدن، في كون هذه الأخيرة، تعد نقطة تتجمع فيها المنتجات من أجل توزيعها أو استهلاكها (المنتجات الزراعية والمواد الخام). كما أنها تعد مكانا لإعادة توزيع هذه المنتجات أو لإدخال التعديلات الصناعية عليها.

تكون المدن محاور تجارية، إذا ما توفرت بها متاجر ومراكز تجارية وأسواق تقدم مجموعات متنوعة من السلع والخدمات للمستهلكين المحليين والزوار. وقد تعزز تقدم وسائل المواصلات التي ساهمت في تحقيق التبادل وتطور المدينة التجارية، لذلك يقال أن " **النقل هو الحضارة أو المدينة**" Transportation is Civilisation. ويعتبر النقل عصب التجارة، إذ لا تجارة بدون وظيفة النقل. ويمكن أن تتطور المدن حول عدد من نقط ومحاور النقل. وتوفر بالتالي تجهيزات طرقية وحديدية ولوجستيكية، ناهيك عن المطارات والموانئ لتسهيل نقل الأشخاص والبضائع (أنظر محور النقل، الجزء 2).

[9] يعود السبب في ذلك الى كون التراكم المالي في المدن يرتبط بنشاط التبادل التجاري وهو من الخصائص الأساسية للمدن المعاصرة (Jacqueline Beaujeu Garnier, 1980)

شكل 9: المدينة محور للتنقل من المسكن نحو اتجاهات مختلفة



4-3- الوظيفة الثقافية والفكرية : تلعب المدن دور الوظيفة الثقافية، إذا ما توفرت على المؤهلات الضرورية لذلك، مثل دور السينما والمتاحف والمسارح والمعارض الفنية والمهرجانات وغيرها من الأحداث الثقافية. كما هو الشأن بالنسبة لبعض المدن الصغرى مثل مدينة اصيلة. وهناك **المدن المتحف*** Museum Cities، وهي أيضا من مدن السياحة (مثل روما، البندقية، فلورانسا، قرطبة، أثينا وفاس...).

وقد لعبت المؤسسات الجامعية العمومية والخاصة، دورا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية ببعض المدن التي تضم مؤسسات بحثية ذات الشهرة العالمية في مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية والثقافية والفنية.

وتتعزز هذه الوظيفة بتوفر مرافق علمية وتربوية قادرة على استقطاب الطلبة ليس فقط على المستوى المحلي والوطني، بل والدولي، مع إمكانية الاستفادة من مكتبات كبرى متوفرة على أمهات الكتب والمصادر في مختلف الميادين والتخصصات العلمية. كما يمكن لهذه المدن[10]، ان تستقطب الجامعات المرموقة عالميا، وتجذب العلماء والطلبة من مختلف أرجاء العالم. فضلا عن تواجد المراكز العلمية والاكاديمية المعززة للبحث والابتكار.

---

[10] فهي توفر فرصا للتعلم والبحث مدى الحياة، مع إمكانية الاستفادة من مكتبات كبرى موفرة لأمهات الكتب والمصادر في مختلف الميادين والتخصصات العلمية.

4-4-الوظيفة السياحية : توفر المدينة على المؤهلات ذات القدرة على الجذب السياحي، يشكل قطاعا بنيويا في تنميتها، وتطورها، وانفتاحها. وتختلف الصبغة السياحية من مدينة إلى أخرى، حسب امكانياتها ومؤهلاتها الطبيعية والمعمارية والثقافية والخدماتية، فيميز بين مدن الانطلاقة، ومدن العبور ومدن الإقامة ومدن الترفيه والاقامة معا. كما أن العلاقة بين المدينة والسياحة في تجدد وتطور مستمرين، مما يجعلها معقدة: تنوع الأماكن السياحية (الطبيعية والمعمارية والثقافية)، تنوع الأنشطة (الترفيه، الأعمال، الرياضة...)، تنوع التجهيزات (الإقامات والفنادق والمسارح وقاعات السينما...)، بالإضافة إلى إمكانية ورغبة سكان المدينة في تقاسم ساحاتها ومآثرها المعمارية مع السياح.

وقد اكتسبت المدن، عبر تحول مجتمعاتها واقتصاداتها (الثورات الصناعية والاجتماعية والتقنية والسياسية والمالية)، خبرة واسعة في تطوير القطاع السياحي كممارسة وتجهيز وتنظيم وتكوين معرفي وذلك انطلاقا من القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا. فأصبحت النخب الحضرية، خاصة في المدن الأوربية التي تنوع اقتصادها، تبحث عن أنشطة ترفيهية جديدة سواء كانت ثقافية أو فنية أو رياضية... لمصاحبة هذه الرغبة في تثمين النشاط السياحي، فعملت على إقرار الإجازات وتقليص ساعات وأيام العمل، وفتح القصور ومساكن الأسر العريقة والغنية والحدائق في وجه السياح. وتجدر الاشارة، الى أن هنالك فترات ركود تام للسياحة، كما حصل مثلا خلال فترة الحجر الصحي الناتج عن جائحة كورونا (2020 - 2022). والازمات السياسية، مثل العمليات الارهابية التي تعرضت لها أبراج نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية سنة 2001.

5-4 - الوظيفة السكنية والاجتماعية : توفر المدن كذلك، المساكن لفئات عريضة من السكان. مقدمة بذلك مجموعة من الخيارات في مجال الإسكان، كالمنازل العصرية والشقق الراقية والاقتصادية والفيلات. كما تشكل المدن مراكز اجتماعية، حيث تقدم مختلف الخدمات الاجتماعية (مثل: الاستشفاء والرعاية والتعليم والخدمات التدبيرية الإدارية الأساسية).

6-4 - الوظيفة الدينية : يساهم توفر مؤسسات دينية مهمة، ومراكز للحج، في إضفاء الصبغة أو الوظيفة الدينية على المدن. إذ تعتبر **"العلاقة بين الوظيفة الدينية وحياة المدن علاقة قديمة ووثيقة فالدين بطبيعته عملية جماعية (...) ولهذا كان عاملا أساسيا في**

نشأة كثير من المدن (...) فعند السومرين لم تؤسس المدن لا للحكم ولا للتبادل، وانما للعبادة، فالمدينة نطاق مقدس. كذلك للمدن، صبغة دينية عند الآشوريين والمصريين (...) في العصور الوسطى في أوروبا، لم تفلت مدينة تقريبا من الأصل الديني. وكانت المدن مراكز إشعاع ونشر للديانات بمختلف أشكالها. من هنا كانت " Urbani" هي المدن التي اعتنقت المسيحية بينما "Paiens "Pagani ومنها Pays الريف) هي الريف الذي لم يزل وثنيا". بل ان الذي أعاد بناء المدن الاوربية، بعد العصور الوسطى، هي الكنيسة التي ظلت تجمع السكان حولها، حتى عادت إلى النمو خلال عصر النهضة، في إطار قطاعات أو أنوية الكنيسة التي تدعى «Cité» قبل أن تطلق الكلمة فيما بعد على المدينة كلها، وإلى حدود الآن *"لازال الأساس الديني هو أساس التفرقة في إنجلترا بين "City" و"Town"، فالأولى ما كانت مركزا للأسقفية وبها كاتدرائية والثانية ليست بها مرافق للعبادات".*

وفي العهد الاسلامي، تم تشيد العديد من المدن المعروفة ب "المدن الإسلامية" طبقا لنموذج مكة. وجود المسجد الأعظم الذي تقام به خطبة الجمعة وسط المدينة، وهو أول معلمة تنتظم حولها المدينة الاسلامية الجديدة، ويقدم وظيفة ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية بالإضافة إلى كونه مكانا للعبادة والصلاة، وكثيراً ما كانت تعقد المحاكم الشرعية في المسجد. وتحيط به فيما بعد أسوار، وتضم أحياء الحرفيين وأحياء السكن. هذا النموذج يتمثل في بغداد ودمشق وحلب والقيروان وفاس وغرناطة...

4–7- الوظيفة السياسية : أضحى التنظيم الإداري ضرورة ملحة، منذ بروز المجتمعات الجانحة نحو الاستقرار، مما أسس لظهور الوظيفة السياسية. وتمارس من مدن مركزية أو ما يسمى بالعواصم السياسية. حيث تتمركز المؤسسات الدستورية التشريعية والتنفيذية. (برلمان، وزارات ...). وللإشارة، فان الوظيفة السياسية والحربية والتجارية هي وظائف متلازمة تاريخيا للانسان. كما أن العواصم السياسية تكون موطنا لتركز الاحتجاجات والنشاط السياسي والحركات والمنظمات السياسية.

وكخلاصة، تؤدي المدن العديد من الوظائف الاساسية للإنسان، مثل المراكز الاقتصادية والثقافية والتعليمية والسياسية والاجتماعية والنقل والسياحية. اعتمادا على موقعها الجغرافي وتاريخها وحجمها وسكانها.

وقد تنقرض العديد من وظائف المدن، أو تكاد (مثل الوظيفة العسكرية)، حيث كان لها دور هام في مدن العصور القديمة والوسطى، وحلت محلها وظائف أخرى، في الفترة الحديثة كالوظيفة الصناعية والترفيهية.

5. الجغرافيا الحضرية والتيارات الفكرية

1.5 تعريف الجغرافيا الحضرية:

ترجع نشأة الجغرافية الحضرية، التي تشكل فرعا من فروع الجغرافية البشرية، الى أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20. حيث كانت بدايتها مع الجغرافي الألماني راتزل 1906، من خلال مقالاته حول **الموقع* والموضع*** ... (الطيف بشير إبراهيم، وآخرون، 2017). واحتلت، مكانة هامة، بعد الأربعينيات من القرن العشرين، حيث عرفت ظاهرة التحضر تطورا كبيرا في جميع أرجاء العالم، ولاسيما في الدول المتقدمة، لارتباطها بالتصنيع وتطور وسائل النقل، مما أفرز مشاكل جديدة مثل الاكتظاظ والتلوث والضوضاء... وتعقد عملية التدبير المجالي. ومن أجل التحكم في تنظيم المدن وتجويد خدماتها، ازدادت الحاجة الى دراستها، وتخطيطها، بهدف خلق بيئة حضرية تتلاءم مع التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للسكان.

ولمصاحبة الدينامية الحضرية، عرفت الأدوات والمناهج المتبعة، تطورا ملموسا انعكس على الأبحاث وعلى نتائج الدراسات الحضرية الحديثة، التي يمكن الاعتماد عليها في التوقعات المتعلقة بهذه المجالات. ونشير الى ان الاهتمام بهذه المجالات، لم يقتصر فقط على الجغرافيين، بل تعداه إلى السوسيولوجيين والاقتصاديين والمخططين. كما أن طبيعة المشاكل التي تعرفها المدن، تجعل الجغرافية الحضرية، من أهم فروع الجغرافية البشرية الأكثر تطورا.

ويدرس الجغرافيون المدن، من جوانب مختلفة، ويصنفونها على أساس أهمية الخدمات والوظائف التي توفرها، والعلاقات التي تنسجها مع محيطها، وقدرتها على هيكلة المجالات المحيطة بها. فهم ينظرون إلى المدينة على أنها تجمع عمراني وبشري معقد، ومتفرد عن الظواهر الجغرافية الأخرى، من خلال المواضيع التي تهتم بها، بوصفها نظاما مجاليا مفتوحا.

وبناء عليه فإن الجغرافية الحضرية تدرس المدينة من خلال محيطها الداخلي والخارجي:

المحيط الداخلي للمدينة، ويتعلق الأمر بدراسة المدينة من حيث:

- نشأتها وتطورها التاريخي، والعوامل الرئيسية التي ساهمت في ذلك؛

- **موقع وموضع*** المدينة، وتأثيرهما في أشكال توسعها وبنيتها الداخلية؛

- دراسة توزيع السكان الحضريين على رقعة المدينة، ونموهم وتركيبهم العمري والنوعي والسوسيو اقتصادي، ومن حيث أنشطتهم وتنقلاتهم وتأثيرات ذلك على التوسع الحضري ودينامية التعمير؛

- التركيب الوظيفي للمدينة، وتقسيمها الى أحياء ومجالات ذات خصائص وصفات مشتركة، وتحديد طبيعة هذه الأحياء حسب وظيفتها الرئيسية؛ **واستعمال الأرض*** L'Utilisation du Sol، ومختلف العوامل المتحكمة في تطورها؛

- **المحيط الخارجي للمدينة:**

ويتعلق الأمر بدراسة العلاقة الترابطية بين المدينة وبيئتها المجاورة، ومظاهر التأثير المتبادل بينهما (عمر محمد علي محمد، 2016). فمن هذه الناحية، تعد الجغرافيا الحضرية مجالا غنيا للبحث. لكنها أكثر تعقيدا وتركيبا، وتشمل العديد من المفاهيم والمصطلحات المهيكِلة. وقد عرفت قفزة نوعية بعد التلاحم الحاصل، في الفكر الجغرافي، بين التيارين الكمي والكيفي، اللذين أسس لهما الجغرافيون الأنجلوسكسون، بعد الحرب العالمية الثانية. وتميزت هذه الفترة، بإنجاز دراسات جغرافية، حاولت تجاوز الطابع الوصفي إلى الطابع التحليلي الرامي إلى دراسة الآثار الناجمة عن العلاقات التفاعلية بين المدن داخل المجال الجغرافي (Hagget, P., 1973) .

تدرس الجغرافية الحضرية المدن، أيضا، باعتبارها **نظاما حضريا*** City System، على أساس أنها تتشكل من **مكونات*** composantes أو **مركبات***Complexes، تتفاعل بواسطة علاقات تأثير وتأثر متبادل فيما بينها. و يعمل هذا الاتجاه الذي ظهر في الستينيات من القرن الماضي، على دراسة المشكلات التي تتعلق بالتوزيع المجالي للمدن وتباعدها، وأنماط الحركة المعقدة والتيارات والعلاقات التي تربط المدن بعضها البعض، وحجم السكان والتشغيل والأنشطة، والأحياء و**المباني العامة*** Public Building، وقياس مختلف **التيارات*** les flux مثل تنقل الرساميل والسلع وتنقلات السكان والاتصالات الهاتفية وارتباطات شبكة الأنترنيت لكل مدينة...، بحيث يتم التركيز هنا على

التباين المجالي في الخصائص الاقتصادية والاجتماعية بين مجموعة المدن **ومناطق النفوذ*** les zones d'influence. وقد أفضت هذه التحاليل إلى ظهور مفاهيم جديدة مثل **الجهاز الحضري*** Armature urbaine، **والشبكة الحضرية** Le réseau urbain *؛ وبروز مفاهيم جديدة مثل **الوظيفة الحضرية*** La fonction urbaine، والإشعاع الجغرافي، **وجاذبية المدن*** l'attractivité، **والتفاعل المجالي*** Spatial Interaction بين المدن في البلد الواحد أو الإقليم الذي يشكل النظام أو **المنظومة الحضرية***، حيث تتم هذه الدراسات على مستويات مختلفة: جهوية، وطنية أو عالمية.

2.5 مناهج البحث في الجغرافية الحضرية

عرف المنهج الجغرافي في دراسة المدن مجموعة من التطورات. حيث اهتمت الجغرافية، في جانبها الكلاسيكي، بالتوطين كمفتاح أولي لدراسة المدن، باعتباره أحد العوامل الأساسية التي تحدد خصوصيات ومميزات المدينة منذ نشأتها، من حيث مرفولوجيتها وجهات توسعها، وأشكال وحجم بناياتها. وبموضع المدن مقارنة مع مجالها الذي تتفاعل معه بواسطة علاقات، سواء كان هذا المجال محليا، جهويا، أو وطنيا. وبذلك كان للإطار الطبيعي أهمية قصوى في الدراسات التي تنطلق من **الموقع*** **والموضع*** كعاملين محددين لنمو وتطور المدن.

إذ ارتبط **الموضع*** Site خلال هذه المرحلة **بنقاط الالتقاء*** Situation de confluence، وتمحورت مختلف الدراسات، آنذاك، حول مفهوم **العُقدية*** Nodalité وما انبثق عنها من مواضيع مختلفة اهتمت بموقع المدينة وموضعها وتطورها ووظائفها.

وفي إطار هذا التحول، انتقلت الجغرافية الحضرية من مرحلة الدراسة المنوغرافية إلى الدراسة الموضوعاتية. وتم الاهتمام أكثر بدراسة الوظائف الحضرية، باعتبارها قاطرة تطور المدن، مما مكن من انفتاح الجغرافية الحضرية على علوم أخرى خاصة منها الاقتصادية والاجتماعية وعلى البنيات التحتية.

ومن أهم النظريات التي تناولت إشكالية موقع وموضع المدن وتفاعلاتها الوظيفية، **نظرية الأماكن المركزية*** La théorie des places centrales، التي وضعها الجغرافي الألماني

الشهير والتر كريستالر[11] (Walter Christaller) في أوائل القرن العشرين. والتي حاول من خلالها شرح كيفية توزيع المراكز الحضرية، والأنشطة الاقتصادية داخل منطقة ما، بناء على تراتبية **الشبكات الحضرية***(le réseau urbain Schiebling Jaque, 2011)). وطبيعة هذه الشبكات*، **مكتملة** كانت، أو **غير مكتملة***، **وفي طور التشكل***.[12]

ولتنظيم أفضل للمدن، حدد "كريستالر"، ثلاثة مبادئ أساسية مترابطة ومتكاملة: الاقتصاد والانتاجية كمحرك للدينامية الحضرية، ووسائل النقل وكثافتها ومدى تكلفة تنقل البضائع والأشخاص، ثم مبدأ الحكامة أو الإدارة الترابية من أجل تجاوز الحدود الإدارية للمدينة واعتماد المحيط الوظيفي للشبكة الحضرية (Paulet J.P., 2000). فلكل مدينة حد أدنى من المرافق والخدمات، يبرز مستواها ودرجة هيمنتها وإشعاعها وترتيبها داخل المنظومة الحضرية. ليستنتج أن تنظيم المجال هو إنتاج للعلاقات التفاعلية بين الأماكن المركزية.

وقد قدمت نظرية الأماكن المركزية خدمة جليلة لتطور الفكر الجغرافي. وفتحت باب دراسة المدن من منظور مركب وشمولي، يبتعد تدريجيا عن الدراسات القطاعية، ويتجه نحو

---

[11] يعتبر الجغرافي **والتر كرستالر** أحد أعمدة التفكير الجغرافي الجديد، وضع "نظريته الأماكن المركزية" سنة 1933، استنادا الى أفكار مارك جيفرسون 1931، التي اقترنت بالنظريات الخاصة بالأقاليم الوظيفية. (راجع احمد محمد عبد العال، 2006). وقد استطاع، قبل الحرب العالمية الثانية، دراسة وشرح طريقة توزيع المدن وتنظيمها في إطار شبكة ترابية من خلال ضبط العلاقة التجارية والخدماتية بين المدن والأرياف من جهة، وكذا بين المدن فيما بينها من جهة ثانية، مع إعطاء أهمية قصوى للآليات المساهمة في تراتبية وتنظيم المدن.

[12] الشبكة الحضرية هي مجموعة متراتبة من المدن توفر الخدمات الإدارية والتجارية والثقافية وتنمي فيما بينها تيارات متبادلة تحت هيمنة عاصمة إقليمية. وينتظم المجال على إثر ذلك في شكل مناطق نفوذ جغرافي متداخلة للخدمات. وتمثل الشبكة الحضرية شكلا حديثا لمفهوم الجهة (بعد جهوي). بحيث لا ينبغي خلطها مع مفهوم المنظومة الحضرية (بعد وطني) وتعرف الشبكات الحضرية تطورا غير متساو:

في البلدان المتخلفة: المراكز أقل تدرجا في التركز وأقل تراتبية بسبب ثقل العاصمة الوطنية (متضخمة الرأس مثل الدار البيضاء وباقي التراب)؛

في الدول ذات الاقتصاد الموجه: يؤدي ضعف الأنشطة الثالثية إلى نفس النتائج؛

وفي دول الاقتصاد اللبرالي: يمكن التمييز بين شبكات حضرية مكتملة وشبكات حضرية غير مكتملة ومجالات ليست بها عواصم إقليمية؛

الدراسات الكلية، باعتبار المدينة منظومة نسقية لا يمكن فهمها انطلاقا من دراسة قطاعية منفردة. وهكذا، "أخذ البحث الجغرافي يتخلى عن منهج الاستقراء لفائدة منهج الاستنباط بغية فهم أفضل لواقع المدن" (محمد بلفقيه، 2022).

عموما، ساهمت نظرية الاماكن المركزية، في توفير الإطار الذي يمكن من فهم كيفية توزيع المراكز الحضرية، والأنشطة الاقتصادية في المنطقة. كما انها ساعدت في تفسير حجم المستوطنات وموقعها ووظائفها، وبذلك كانت لها، وبدون شك، اهمية في مجال التنمية والتخطيط الحضري.

وهكذا، أصبحت الجغرافية الحضرية تهتم بالعلاقات التفاعلية بين الوحدات الجغرافية المشروطة بالتكامل الوظيفي، وإمكانية توفير وسائل النقل والقرب المكاني. هذا، بالإضافة إلى دراسة المجالات الحضرية المركبة والمدن الكبرى والمجالات الضاحوية والمدن الجديدة والنقل ... لتخلص في الأخير، إلى الجزم على أن المدينة منظومة كبيرة ومركبة ترمي إلى تعزيز وتقوية الوظائف الحضرية والتواصل والانفتاح الاجتماعي (Claval P., 1968)..

3.5 مناهج البحث انطلاقا من إشكالية الوظائف والبعد البيئي

على إثر التوسع الذي عرفته المدن، وتعقد تدبيرها، والوعي بتجاوز ربط دراسة المدن بالموقع والموضع، برز تياران جديدان: الأول يهتم بالمنظومة الحضرية في ارتباطها بالمكان، والثاني يهتم بالمدينة كنسق إيكولوجي معقد.

5-3-1- البحث الجغرافي من خلال بعد الإيكولوجية البشرية* Human ecology، وهي مادة علمية تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة من حوله، وهي مزيج من علم الاجتماع والبيولوجيا والأنثربولوجيا. وتعرف تطورا وتحولا مستمرا حيث تتأقلم مع مختلف البيئات.

لقد تطور هذا التيار على يد المفكرين الجغرافيين التابعين لمدرسة شيكاكو بالولايات المتحدة الأمريكية. حيث اهتم هؤلاء، بعيدا عن مظاهر المدينة ومرفولوجيتها وتصاميمها العامة، بدراسة تنظيم المدينة من خلال السلوك البشري، الذي يميز ويقسم النطاقات الطبيعية للمدينة بناء على ثلاثة مبادئ متداخلة: السلطة والغزو والاستخلاف. فالمجال المسيطر داخل المدينة هو "المركز" الذي تسكنه فئة جديدة مهيمنة وطاردة للساكنة القديمة

للمركز. ويتمخض عن هذا الطرح "مجال موجب بين الوضع الاجتماعي-الاقتصادي والمسافة عن المركز" (محمد بلفقيه، 2022).

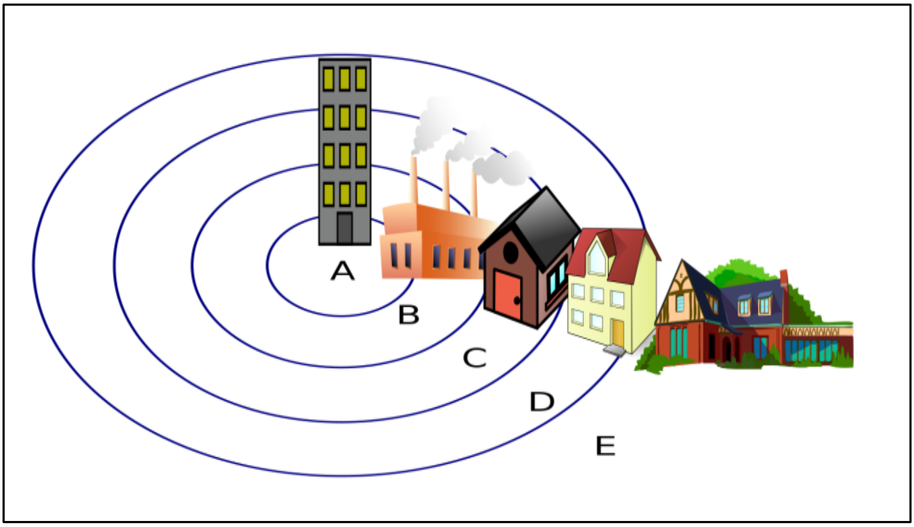
ويبرز بذلك دور مبدأ المنافسة كعامل محدد لتنظيم الأنشطة الاقتصادية، "والتنظيم الإيكولوجي" كبنية تحتية للمجتمع. وخلص "بورجس" عند دراسته لمدينة شيكاكو، أن المنافسة هي قوة الضبط الحاسمة؛ وبالتالي فإن تنوع الأنشطة البشرية وتوزيعها يبقى رهينا بقيمة العقار .(Burgess E.W., 1925) وأكد أن هناك تشابها وطيدا بين البيئة الإيكولوجية والتنمية البشرية.

وقام بورجيس وآخرون (Robert E. Park and Ernest W. Burgess, 1925) بتسليط الضوء على المدينة، وذلك بوضع تصور لها حسب خمس نطاقات دائرية متحدة المركز (نموذج الحلقة المتحدة المركز)، تبعا لتغير أسعار العقارات انطلاقا من وسط المدينة نحو الهوامش: منطقة المال والأعمال المركزية، والمنطقة الانتقالية (السكن، والتجارة ...)، ومنطقة سكنية للطبقة العاملة (الشقق) والمنطقة السكنية لذوي الدخل المرتفع والمتوسط، ثم الضواحي[13]. كما تم التأكيد على أن المدن مجال يتطور ويتغير على شكل دائري[14]. ويقترح هذا النموذج، المسمى "نموذج بورغيس لاستخدام الأراضي الحضرية" أو "نظرية المناطق المتحدة المركز"، شكلاً من أشكال المنافسة الاقتصادية لتنظيم المجال الحضري.

[13]) ملحوظة، شهد هذا الصنف من التنظيم المجالي تطورات مختلفة نتيجة تطور وسائل النقل وظهور الأسواق الكبرى والسكن الموجه نحو الترفيه ...

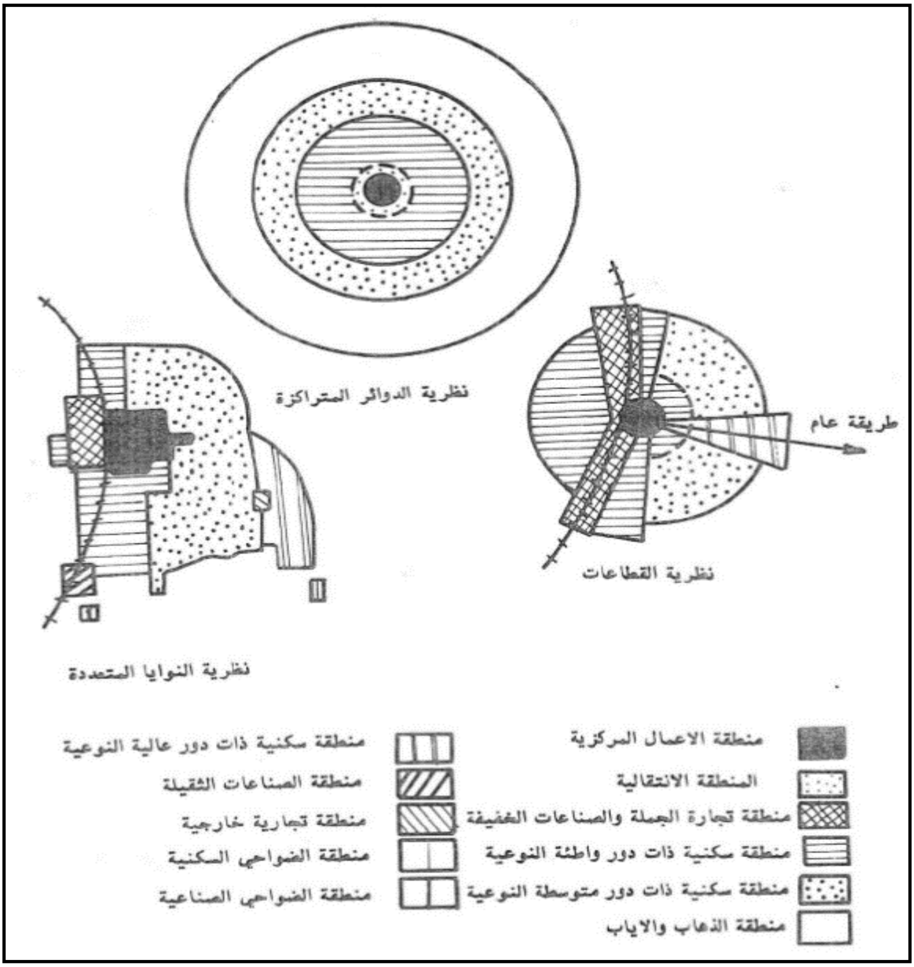
[14]) النموذج الدائري لا يصمد إلا حيث تختفي الحواجز الطبيعية التي غالبا ما تفرض قوتها.

شكل8.11: نموذج بورجيس



وفي نفس السياق، قدم "هارس Harris"، سنة 1945، نموذجا جديدا، يحاول من خلاله إبراز أن توطين السكان وتوزيعهم مرتبط بتعدد الأنوية أو المراكز داخل **المنطقة الحضرية للمدينة**. ويمكن أن تكون لهذه المراكز وظائف مختلفة: صناعية، سياحية، تاريخية، تجارية ... (Harris C.S. and ULMAN, 1945, The Nature of cities).

(شكل 12). النظريات الوظيفية لاستعمال الأرض داخل المدينة



(صلاح حميد الجنابي 1987)

وتتنوع النظريات الوظيفية الكلاسيكية لاستعمال الأراضي داخل المدينة بين نظرية الدوائر المتراكزة* (Le modèle radio-concentrique Burgess, 1925) ، ونظرية الأنوية المتعددة* Le modèle des noyaux multiples، ونظرية القطاعات* Le modèle des secteurs ou modèle radial.

5-3-2- الجغرافيا الحضرية بين الإيكولوجيا العاملية* و تصنيف* المجال الحضري

يستعمل مفهوم الجغرافيا المعاصرة، نظرا لتنوع مواضيعها، واعتمادها على مجموعة من الآليات الرياضية والمعلوماتية لتحليل وضبط مختلف المعطيات المحصل عليها. ولقد أجمع العديد من الباحثين الجغرافيين أن الشرح والتغيير اللفظي، وكذا دراسة المفاهيم لا تستطيع ضبط وإبراز واقع وحقيقة الديناميات الحضرية المعقدة، والتي لا تكفي الملاحظة المكانية والتحليل الكيفي للوصول إليها وفهمها بشكل دقيق. لذا يستعين هؤلاء **بالتحليل العاملي*** Analyse Factorielle نظرا لأهميته في تحليل الظاهرة الحضرية وتقليص عدد المعطيات، مما يسمح بإنجاز مصفوفات واجتناب التكرار والمغالطات. "هي طريقة تؤلف بين قياسات مميزة، بعضها يخص الساكنة، وبعضها يهتم بالجوانب الاقتصادية، والبعض الآخر بالرفاه والسكن. وبها يحصل الباحث على عدد قليل من التراكيب الأساسية، تسمح له بتقسيم المدينة إلى قطاعات واضحة، كما تسمح له باختيار العلاقات التي تربط بين المجال الاجتماعي والمجال المبني" (محمد بلفقيه، 2022).

وتعتبر عملية تقسيم المدينة إلى قطاعات وترتيبها أحد أسس الجغرافية الحضرية، حيث تُمكن من تحديد القطاعات المتجانسة بالمدينة ومقارنتها وضبط علاقاتها التفاعلية. وبالتالي تفادي بعض الأفكار والأحكام المسبقة عن المدن غير المنظمة والمفككة، إذ تسمح عملية التقسيم القطاعي بإظهار أهمية المجالات الضاحوية في علاقتها مع المركز.

4.5 التصورات والإيديولوجيات في توجيه تخطيط الحضري:

تعتبر القرارات السياسية والتوجهات الإيديولوجية والصيرورات، أهم العناصر المساهمة في تحديد شكل وتركيبة البنية الحضرية. ويتجلى ذلك من خلال الفرق بين مدن البلدان الاشتراكية ومدن العالم الليبرالي. حيث تتميز مدن البلدان ذات الايديولوجية الشيوعية، بالتخطيط المركزي، إذ غالبا ما تتحكم الدولة في معظم جوانب الحياة الحضرية، وذلك من خلال توزيع واستغلال الأراضي التي في مجملها تابعة للدولة أو الهيئات الجماعية والإسكان وتوطين الشركات والخدمات العامة. وتعم "المساواة الاقتصادية والاجتماعية" كهدف رئيسي للحياة الحضرية، مع توزيع متساو نسبيًا للمرافق العمومية، كالتعليم والرعاية الصحية والخدمات الأساسية والنقل التي يتم دعمها بشكل كبير، بهدف التقليل من التفاوتات. وذلك

رغم ما قد يؤدي إليه هذا النوع من التدبير من بيروقراطية ثقيلة وتخطيط نسبيا ضعيف الفعالية.

تعتمد المدن الليبرالية، على مبادئ السوق الحرة والملكية الخاصة. وتتمتع الشركات وكذا المواطنين بدرجة عالية من الحرية في الإقامة والتوطين واستغلال مؤهلات الموارد الحضرية المتاحة بالمدينة، وإدارة شؤونها، مما يعزز تنافسيتها وجاذبيتها الاقتصادية. فتتعدد (المركزيات* الاقتصادية بالمدينةles centralités) . وتختلف أشكال وأحجام المباني والعمارات حسب الإمكانيات المادية والمالية المتوفرة لدى المستثمرين والمنعشين العقاريين. مما يؤدي إلى تفاوتات اجتماعية ومجالية بين الأحياء المركزية والأحياء الهامشية.

بصفة عامة، تشيد المدن وتتطور بناء على تصورات وخلفيات ومرجعيات، تختلف من مجتمع إلى آخر، وفق مبادئ وقيم ثقافية واجتماعية واقتصادية. ويقصد بالصيرورة في شرح وتفسير الأشكال الحضرية: التصور الحضري العام، والنهج السياسي المتبع في تدبير شؤون المدينة والأنظمة الاقتصادية، وكذا التطور التكنولوجي الحديث الذي أصبح أحد أعمدة النمو الحضري.

مؤطر6: مدينة الرباط كمنتوج مجالي يعكس مختلف مراحل نظامها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني

تقدم مدينة الرباط نموذجا واضحا في هذا الباب. لقد بنيت النواة الأولى للمدينة في العهد الموحدي خلال القرن الثاني عشر. وعرف تطورات مجالية كبيرة بعد هجرة الأندلسيين الى المدينة. فشهدت المدينة نموا عمرانيا ومعماريا يجمع بين الثقافة المغربية الموحدية والثقافة الأندلسية، من حيث شكل ونمط البناء المتسم ببساطة الواجهة والرونق الداخلي للمنازل والمساجد والمدارس والمرافق العمومية. ومن أجل حماية المدينة تمت إحاطتها بأسوار، تميزت بأبواب ذات جمالية وفنية عالية. بعد دخول الاستعمار الفرنسي بثقافته الغربية، اتخذ قرار بناء مدينة أوربية بجوار المدينة الموحدية-الأندلسية، اعتمادا على تخطيط حضري غير مألوف بالمغرب، ففتح شوارع كبرى وشيد أحياء ومرافق عمومية وثكنات عسكرية، من أجل خلق بيئة حضرية أوربية تتلاءم والوظيفة الجديدة للمدينة (الرباط العاصمة).

مع مرور الزمان وتوافد النازحين من القرى، ظهرت أحزمة من أحياء الصفيح الفقيرة على هامش الأحياء الراقية. مما ساهم في تشكيل جديد للمدينة وتغير مشهدها الحضري.

رغم الاحتفاظ بالمدينة القديمة والمدينة الأوربية، عرفت المجموعة، من جديد، هذه بعد الاستقلال، تحولات مجالية ومعمارية، حيث توسعت أطرافها بالقضاء على دور الصفيح، وبناء أحياء جديدة وتكثيف السكن في بعض الأحياء الأوربية، كحي أكدال والمحيط، وفتح مناطق جديدة للتعمير، قصد استيعاب مختلف الفئات الاجتماعية وخلق مركزيات حضرية جديدة، خصوصا نحو الجنوب الغربي (المشروع الحضري، لحي الرياض....). بمساهمة القطاع الخاص.

وبذلك، عرفت المدينة منذ نشأتها مراحل تعميرية وعمرانية، وُسمت بإيديولوجية وثقافة الفاعلين وذوي القرار، بصمت مرفلوجية المدينة: الرباط.

6. أسس التحليل في الجغرافية الحضرية

تدخل دراسة أشكال وأحجام المباني في صلب دراسة النسق الحضري العام. فالمدينة مجال مركب، عبارة عن مجموعة من العناصر، متداخلة ومنظمة حسب وظيفة معينة، تعطيها طابعا خاصا. ويتجلى النسق الحضري من خلال البنية السوسيومجالية والنسيج الحضري الذي يمكن من خلاله معرفة المنطق المعتمد في بناء المدينة، اعتمادا على التصاميم والخرائط؛ كل هذا وذاك، يحدد مرفولوجية المدينة التي تعتبر مقاربة جغرافية تطبق على المعارف المعمارية انطلاقا من **الموقع* والموضع*** (Dictionnaire de l’urbanisme et de l’aménagement, 2010) فالبنية الحضرية معلمة، يمكن دراستها انطلاقا من التصاميم أو الخرائط، مما يسهل معرفة مكوناتها وطريقة توزيعها.

وتتكون من عدة عناصر ومركبات متكاملة فيما بينها:

- العناصر الشبكية مثل: الطرق، وشبكة المياه، والمياه المستعملة والكهرباء، والهاتف والانترنيت؛

- المساحات الخضراء والساحات العمومية، ناهيك عن التمييز بين ما هو مبني وما هو فارغ؛
- الإطار المبني كالسكن، والمكاتب، والمرافق والتي نقيس بها الأحجام والأشكال؛
- الأنشطة كمركبات صناعية أو تجارية أو خدماتية؛

ولضبط وفهم مكونات المجال الحضري، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار المحاور الأساسية التالية:

1.6. العناصر الضرورية لتحليل المجال الحضري : يمكن التطرق إليها من خلال خمسة عناصر :

- **استعمال الأرض***: ويشير إلى كيفية استعمال واستغلال المساحات الأرضية المتاحة داخل المدينة لتلبية حاجيات الساكنة من مرافق وسكن وأنشطة وترفيه ... ويمكن أن يكون، استعمال الأرض تراكمي مرتبط بتطور حاجيات سكان المدينة عبر الحقب الزمنية؛ أوناتج عن تنطيق (تخصيص معين)، محدد في وثيقة من وثائق التعمير، التي تهدف إلى تنظيم المنظور العمراني بالمدينة بناء على تصور مسبق لأشكالها الحضرية. وبذلك ينطوي المفهوم على قرارات استراتيجية تتعلق بتوزيع السكن والأنشطة والسكان وفق نظرية استثنائية.
- **الإطار المبني***: يشمل جميع البنايات، سواء كانت سكنية أو تجارية أو صناعية أو سياحية أو مرافق عمومية. ويمكن دراسة الإطار المبني من خلال نوع البناء وطرق وعلوه وهندسته المعمارية وتأريخه ووظائفه.
- **تقسيم العقار***: ويقصد به تقسيم وتجزيئ العقارات الحضرية إلى قطع أرضية من أجل استغلالها أو بنائها أو امتلاكها. وهي عملية تحدد المساحات الخاصة بالإطار المبني، وخاضعة للتطور من جراء التغييرات التي تطرأ على المساحات من خلال المقتضيات التعميرية التي تحددها وثائق التعمير. ويعتبر التقسيم التجزئي العقاري الحضري، عنصرا حاسما في تصميم وتطوير المدن، وله تأثير واضح على البنية والهيكل والوظيفة والمشهد الحضري.
- **التصميم *** : ويقدم ثلاثة مستويات للتعرف على مختلف وحدات المدينة:

- الشكل العام للمدينة ومحيطها الخارجي؛
- المورفولوجية الحضرية: يظهر التصميم الوحدات المكونة للمدينة وكيفية ترتيبها وارتباطها بالشبكة الطرقية؛
- التصميم التفصيلي ويقدم عناصر وتكوينات كل وحدة داخل المدينة سواء قطاعات حضرية أو تجزئات أو جزء من التجزئة.

- **البنية:** يقصد بها وضعية وطريقة تنظيم العناصر فيما بينها؛ بمعنى النسيج الحضري. ويمكن أن يكون مترابطا أومفككا، كثيفا أو قليل الكثافة، طوليا يتبع المحاور الطرقية، أو متجمعا حول المرافق العمومية والمشاريع الحضرية المهيكِلة.

2.6. التمثيل الخرائطي لظواهر الجغرافيا الحضرية

في إطار التحولات التي عرفتها الجغرافيا الحضرية، ستعرف الخرائط وعمليات التوضيح المبياني تطورا هاما. إذ يعتبر علم الخرائط وفروعه المبيانية جزء لا يتجزأ من الجغرافيا، وذلك لما يتيحه من توضيحات وما يقدمه من إمكانيات مرئية لإبراز الظواهر الجغرافية وإظهار الخصوصيات المجالية وكذا مساهمة المادة في اتخاذ القرار. ومن هذه الزاوية، لا يختلف اثنان حول دور **سميولوجية البيانات الدلالية*** (Modèle de données sémantiques semantic data model) في الجغرافية الحضرية كأدوات أساسية لتحليل البنية الأولية للمجال الجغرافي المعروفة ب "الكوريم" Chorème. ويقصد بالبيانات الدلالية أو التخطيطية، مجموعة كبيرة من البيانات والمعلومات تساعد على معرفة البنية المبسطة لحقيقة وواقع المجال الجغرافي عبر إنجاز نماذج مبيانية تتداخل فيها أشكال التعبير الخرائطي النقطية والخطية والمساحية. وتهدف إلى تمثيل أفضل للتركيبة المعقدة للمجال المدروس عن طريق أشكال هندسية معبرة (BRUNET Roger, 1980).

علاوة على ما سبق، تتطلب الدراسة الحضرية معرفة جيدة وواقعية لجميع مكونات ونطاقات المدينة، اعتمادا على أدوات التحليل الجغرافي، من معلوميات ومنظومات التحليل **والبيانات الضخمة*** Big Data ... فالمعرفة العميقة للإشكاليات المطروحة، وتوطين ظواهرها الجغرافية مجاليا، وتوضيح ترابطاتها وتداخلاتها، تسمح بطرح الأسئلة الموجهة

والأرضيات المساهمة، في إيجاد الحلول المناسبة والأكثر ملاءمة لتحسين وتجويد وظائف المدينة.

شكل 13: سميولوجية التمثيل الخرائطي لظواهر الجغرافية الحضرية

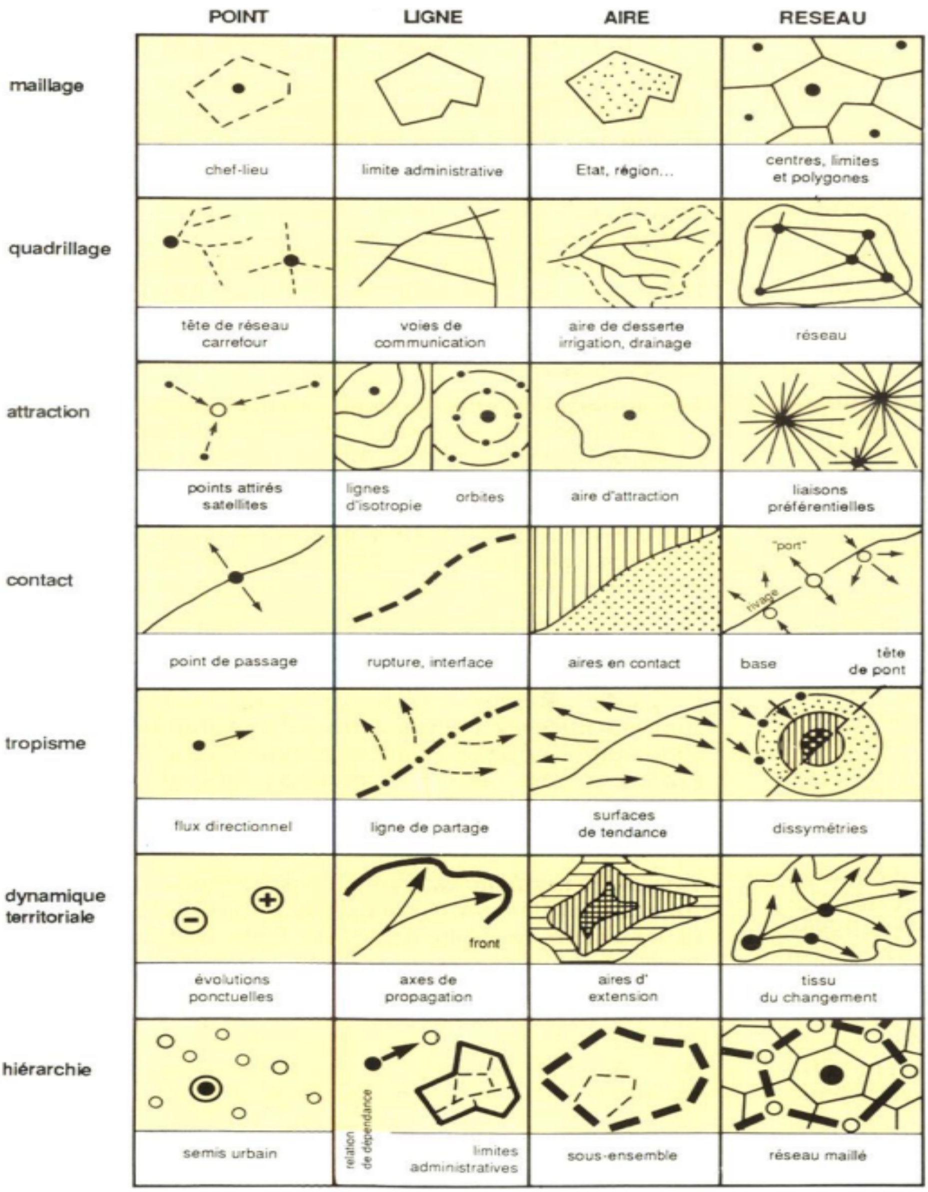


Table des Chorèmes de R. Brunet (1986)

المصدر: https://images.app.goo.gl/Z4vwkRWg3uju52Mr9

7. أشكال التوسع العمراني وعلاقة المدينة بالضواحي والاحواز

يشكل توسع المناطق الحضرية، ظاهرة عالمية شديدة التنوع، تزامنت مع الثورة الصناعية، وتسارعت بعد الحرب العالمية الثانية، حيث فرض التحضر ذاته. ولم يكن التحول كميا ومجاليا فحسب، بل كان مصحوبا بتغير اجتماعي عميق، مما كرس تعقد مفهوم المدينة. وطرح هذا الامتداد إشكالية العلاقة بين الحضر والريف. إذ لم تعد اسوار المدينة موجودة وامتدت الظاهرة الى ما هو أبعد من داخل المدينة. وأصبحت الضواحي قريبة من المدينة التي كانت في البداية مرادفا للبعد. حيث أصبحت المسافة تلعب دورا حاسما في توسع المناطق شبه الحضرية وزيادة حركة السكان.

ومن بين عوامل التوسع الحضري نجد:

- **قدم التعمير في الدول الصناعية**: حيث يعود تاريخ معظم المدن في الدول المتقدمة إلى عدة قرون، بفضل ازدهار التجارة (المدينة مكان للتبادل، ومفترق طرق الاتصالات) أو الصناعة التي تستقطب العمالة والاستثمارات المالية المهمة والتجهيزات، حيث شهدت معظم المدن تطوراً متسارعاً.

- **تطور القطاع الثالث:** حيث عرفت العديد من المدن في العقود الأخيرة نموا سريعا لأنشطة القطاع الثالث، (الأنشطة التجارية والمالية والخدماتية والمكاتب، وما إلى ذلك...). لذلك فالسكان يميلون إلى الاستقرار في المدينة بالقرب منها.

- **النمو الديموغرافي والهجرة الريفية في البلدان النامية:** يعود نمو المدن بالدول النامية إلى التزايد الطبيعي للسكان الأصليين وإلى عامل الهجرات الريفية المتسارعة. حيث شهدت جميع هذه الدول نموًا سكانيًا قويًا جدًا منذ خمسينيات القرن الماضي، حتى أن نصف سكانها عمرهم أقل من 15 عامًا، مما يساعد في الحفاظ على النمو الديمغرافي القوي للمدن. وهذه الدينامية الديموغرافية، لها تداعيات كبيرة على المدن، حيث ارتفع عدد الفقراء وتزايد عدد أحياء الصفيح بضواحي المدن بل حتى داخلها، وفي أماكن، عادة، غير صالحة للبناء وغير صحية ومهددة بالمخاطر الطبيعية.

1.7. أشكال التوسع العمراني

اتخذ توسع المجالات الحضرية شكلا مطردا، حيث كبر حجمها **وتمددت*** بسرعة من المركز نحو محيط أصبح يضم أحياء خارج النسيج الحضري وبعيدة عن المركز. وقد مر هذا النمو بمراحل ونماذج نورد أسفله بعضا منها: مرحلة النشأة كتجمع حضري بدائي، ومرحلة المدينة، ثم مرحلة التجمع المدني أو المدينة الكبيرة، ومرحلة المدينة العظمى الميتروبوليس، ومرحلة المدينة الميغالوبوليس.

- **التجمع الحضري***: Agglomération urbaine

ظهرت عدة مراكز حضرية **ومدن تابعة*** للمدينة الأم (villes satellites) ، في شكل **تجمعات حضرية*** تتألف من مدينة مركزية ونطاق متمدن يحيط بها ويرتبط بمصالحها المركزية وجهاز تسييرها الاقتصادي. المدينة المركزية، هنا، لا يقتصر دورها على ربط العلاقات مع الضاحية والمدن التابعة لها، بل تعمل على إحداث روابط عضوية بينها والضاحية والمدن التي تدور في فلكها، وحينئذ نتحدث عن **تجمع حضري**.

- **المجمع المدني***ِ La Conurbation:

أمام التطور للامتدادات المجالية التي قد تصل إلى النسيج العمراني للمدن المجاورة، ظهرت أشكال أخرى ومن بينها **المجمع المدني***، و"يتكون من منطقة حضرية واسعة تتشكل من عدة تجمعات عمرانية أو مراكز حضرية أو مدن متميزة، اندمجت مع بعضها بعد أن تطورت بشكل مستقل، ولكنها احتفظت بوضعها الإداري في نظام متراتب يتألف من مدينة مركزية تقوم بدور القيادة ومدن مجاورة تقوم بأنشطة قد لا تحقق مستوى الجودة والإتقان الذي يحققه مركز القيادة". وعلى سبيل المثال، التجمعات الحضرية الكبرى في كاليفورنيا ولوس أنجلوس والمجمع المدني الأطلنطي المغربي الممتد من القنيطرة إلى الجرف الأصفر.

- **المدينة المتروبولية*** الكبرى La Métropole:

وهي مجموعة من المدن الكبيرة جدًا تنتهي مناطقها شبه الحضرية بالانضمام إليها. ويفوق عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، وتمتد في منطقة يمكن أن يصل طولها إلى مئات من الكيلومترات. وترتبط المناطق الحضرية المختلفة بشبكة اتصالات رئيسية.

- **الميغالولبول*** La Mégalopole:

وهي منطقة تحضرت بشكل كبير وتربط بين مدن متعددة، مثل منطقة ساو باولو-ريو دي جانيرو في البرازيل، أو منطقة بوسطن- نيويورك – فيلادلفيا - واشنطن العاصمة، ومعظم النمو الحضري العالمي يحدث حاليا في المناطق المحيطة بالمدن المتروبولية الكبرى (الهوامش).

2.7. مفهوم الضاحية* La Banlieue:

تناولت تعاريف كثيرة مفهوم الضاحية، فمنها من اعتمد على قدم ظهورها وارتباطها بالمجال الحضري، ومنها من ارست المفهوم على أساس وظيفي اكتسى أهمية بأوروبا الغربية بعد قيام الثورة الصناعية، ومنها أيضا من ضمنت المفهوم حديثا مدلولا اجتماعيا إثر تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها هوامش المدن الكبرى في أواخر القرن العشرين.

ان كلمة **Banlieue** مكونة من جذر جرماني **ban** وتعني سلطة اليد **Suzerain** على اقطاعاته ولفظة **leuca** اللاتينية وتطابق مثيلتها الفرنسية **lieue** أي الفرسخ (أي حوالي خمس كيلومترات وكان يقطع مشيا في ظرف ساعة تقريبا) ونخلص بعد جمع الشقيين إلى كلمة Banlieue التي كانت تفيد رقعة ترابية تمتد على نحو خمس كيلومتر من المدينة وتحيط بها وتخضع لسلطتها. (ايت حمو سعيد وآخرون، 2008).

وتضم الضاحية جميع المناطق التي يمتد فيها النمو العمراني للمدينة المركزية و**المراكز التابعة*** التي يجب أن تكون مستقلة خاصة في ميدان الشغل حتى لا تتحول إلى ضاحية أو **مدينة- منامة*** Ville dortoir. ويتم اللجوء إلى إنشائها لتخفيف الضغط على المدن الكبرى. ظهرت لأول مرة في إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية، وأطلق عليها اسم Newtawns، أي **المدن الجديدة*** villes Nouvelles على غرار المدن الجديدة المحيطة بشبه الجزيرة الباريسية، أو التي تم إنشاؤها بالقرب من المدن الكبرى المغربية.

وتتعرض الارياف المجاورة للمدن الكبرى لقوة تأثيرها بفعل التوسع الحضري، اذ تنتج عن تعدد مكونات **التدفق الحضري*** Le déversement urbain، ظاهرتان: ظهور اشكال تمدينية بحوز المدينة، متباينة الهيئة، تبعا لكيفية توزيعها عبر المجال الريفي من

جهة، وقيام هذا الحوز بأدوار اقتصادية واجتماعية جديدة بالإضافة الى وظيفته الفلاحية الاصيلة من جهة ثانية. فالأنشطة الفلاحية مجبرة على التكيف مع تقلص رقعتها الترابية، توفيرا للمجالات السكنية (الوظيفة السكنية) أو لتوطين الوحدات الصناعية.

ومن بين أهم الجوانب المشتركة عالميا بين أحواز وضواحي المدن الكبرى، كون الفلاحة والأراضي التي تشغلها تمثلان عاملا أساسيا في تحولات هذه الاحواز. ويتجلى جانب الاختلاف في توطيد العلاقة بين المدينة والفلاحة في تقلص مساحة المجال الفلاحي تدريجيا تبعا لوتيرة امتداد التمدين، سواء بأحواز الميتربولات الصناعية أو بالأرياف المجاورة لكبريات المدن النامية[15]. ويعد العقار المحرك الرئيسي لتحول أحواز المدن الكبرى عالميا. وتتخذ الدينامية الناتجة عن العقار بهذه الأحواز الأبعاد الثلاثة التالية: أولا – احتدام المنافسة والمضاربة حول الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن الكبرى الشيء الذي يساهم في ارتفاع أثمانها؛ ثانيا – مساهمة الفلاحين من خلال بيع أراضيهم؛ ثالثا – استفادة الساكنة الحضرية من السوق العقاري. فالأراضي الزراعية (المجاورة للمدن) توجه لخدمة المدينة أكثر مما توجه لخدمة الإنتاج الزراعي. كما تلعب الوظيفة السكنية، دورا مهما وحاسما في توطيد أنسجة التمدين بأحواز المدن الكبرى. ومن أبرز وظائف الضواحي، وظيفة السكن، فضاحية الدار البيضاء مثلا، تعد متنفسا مهما للمدينة، ويعتبر التراقص اليومي للسكان بين المدينة وضاحيتها، أهم مظهر يجسد تلكم الوظيفة.

يعتبر **تمدد*** Etalement المدن في مجالاتها المحيطة او الضاحوية ظاهرة طبيعية وعالمية. حيث تتشابه مظاهر هذا التوسع فيما يخص الزحف العمراني على الأراضي المجاورة، وإن اختلفت وحدة ديناميته وأشكاله من مدينة الى أخرى، حسب مستوى تطور المدن نفسها، ومدى تقدم البلدان. فالتحولات ليست مجالية فحسب، بل تتعمق لتشمل المستويات الاقتصادية والاجتماعية، بل والسلوكية، مما يعقد مفهوم المدينة والمركب ككل، بحيث تدخل المدينة كمجال حضري في علاقات تفاعلية وجدلية مع المجال القروي، وتتحدد من خلال ذلك علاقة المدن بالأرياف. لتتشكل الضاحية بتدرج على النحو التالي:

[15] ايت حمو وآخرون (مرجع نفسه 2008) " يلخص وضع الفلاحة ومصيرها دائما في العبارة القصيرة التالية: تكثيف الإنتاج من اجل الصمود" .

- المدينة المحاطة بالأسوار وتتمحور حول المرافق العمومية الأساسية والأحياء السكنية. وكان الفرق بين المدينة والبادية جد واضح.

- المدينة التي تجمع بين المركز داخل الأسوار والأحياء خارج الأسوار بحيث هناك تطور وتوسع حضري، وظهور أنوية جديدة مرتبطة بالمركز في الغالب، ويصطلح عليها **بالتجمع العمراني*** Agglomération.

- المدينة ذات التطور السريع وتتميز بالتوسع على امتداد الطرق المحورية والاكتظاظ وارتفاع الكثافة السكانية بالمركز وندرة العقار. وهكذا تصبح المجالات الضاحوية أكثر جاذبية ودينامية مع ارتفاع حركة المدينة المتفاعلة مع ضاحيتها مرحلة أساسية في تطور المدن، تتميز بظهور عدد من المراكز الحضرية بالضاحية، ومناطق التعمير الجديدة، وتوطين جديد للمرافق الكبرى المهيكِلة، كالجامعات والمستشفيات بالإضافة الى الأنشطة الاقتصادية. وتشهد المدن في هذه المرحلة تطور حركة سكانية كبيرة بين المجالات الضاحوية والمركز، ويتكثف شكل التراقص اليومي بين أماكن السكن وأماكن العمل. ويلعب النقل العمومي دورا أساسيا في هذا التشكل. حيث تتكثف العلاقات التفاعلية بين مختلف المكونات وتتعزز أكثر فأكثر. ويصطلح على المجموع مفهوم المجال الميتربولي. مما يطرح التساؤل حول حدود المجال الضاحوي؟ يختلف تحديد المجال الضاحوي من بلد الى آخر حسب الثقل الديمغرافي والتنقلات بين المركز والمجالات المحيطة وتنوع الأنشطة. ففي كندا او فرنسا تدرس الضاحية في علاقتها مع المدينة المركز كوحدة إحصائية مجالية واقتصادية تفاعلية.

وقد تم تحديد الضاحية من طرف المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية بفرنسا، على أنها **المنطقة الحضرية الكبرى*** Aire Urbaine وتتكون من مجموعة من البلديات المتداخلة مجاليا ومركز حضري (وحدة حضرية) يضم أكثر من 10000 وظيفة، ومن جماعات ريفية، ووحدات حضرية تمثل هالة المحيط، يعمل منهم ما لا يقل عن 40% من السكان بالوحدة الحضرية المركزية. على مستوى المغرب تحدد الضاحية حسب قانون التعمير 90-12 ، وخاصة المادة الأولى، على أنها المناطق المحيطة بالجماعات الحضرية والمراكز المحددة بالأراضي القروية المحيطة بها "وتمتد المناطق المحيطة بالمدن الى مسافة خمسة عشر كيلومترا، ابتداء من الدائرة البلدية".

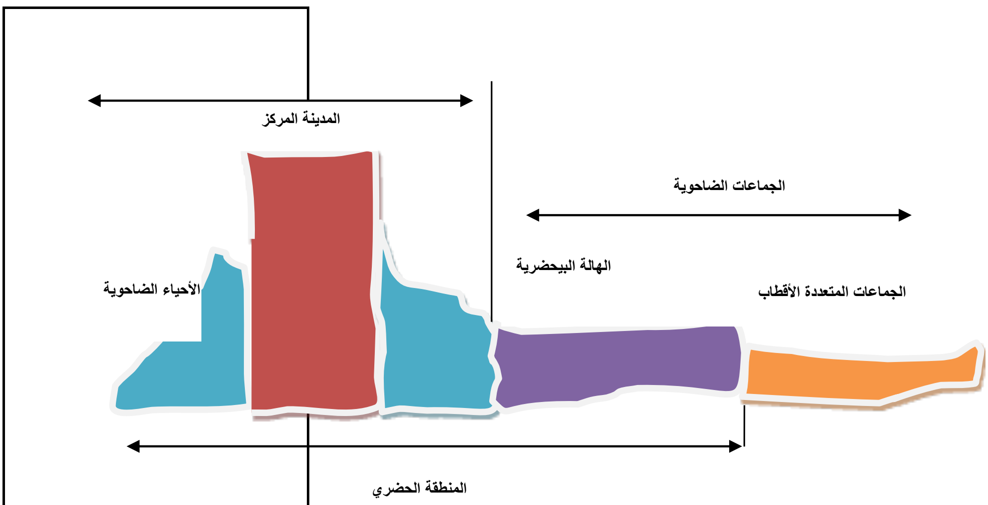
3.7. علاقة المدن بالأرياف

لم تهتم الجغرافيا الحضرية بالعلاقة بين المدن والأرياف وبين المدن فيما بينها إلا خلال الستينيات من القرن الماضي. حيث برزت مجموعة من المفاهيم أهمها:

نطاق التأثير أو **منطقة النفوذ***، **Zone d'Influence**: ويعني "المجال الخاضع للمدينة بناء على العلاقات التفاعلية التي تربط بينهما. وتمخض عنه فيما بعد مفهوم **المنطقة الحضرية*** الذي طوره وحدد قواعده "المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية" بفرنسا. ويقصد به مجموعة من التجمعات الحضرية، المرتبطة فيما بينها من الناحية المجالية والمتكاملة من الناحية الاقتصادية والوظيفية. وتتكون من مركز حضري (وحدة حضرية) يضم أكثر من 10000 وظيفة، ومن مراكز قروية أو وحدات حضرية، تشكل هالة محيطة بالتجمعات الحضرية المركزية، تضم ما لا يقل عن 40٪ من السكان المقيمين، يعملون في المركز أو في التجمع الحضري الأكثر استقطابا.

مجال شبه-حضري*، Espace périurbain: تمارس المدن هيمنة على المجالات الضاحوية وتؤدي إلى ظهور مجالات شبه حضرية، وهي بمثابة مجالات ريفية تظهر فيها تأثيرات المنطقة الحضرية المجاورة. وتتميز المناطق شبه الحضرية بانخفاض كثافة البناء، وتداخل المناطق غير المبنية مع المناطق المبنية بشكل غير منظم، وغياب قطب مركزي واحد.

شكل 14: المناطق الحضرية



المصدر : الجغرافية الحضرية ، جون بول بولي

خاتمة الفصل

يعيش أغلب سكان العالم اليوم بالمدن التي تمارس جاذبية مستمرة للسكان والأمتعة والرأسميل أكثر من أي وقت مضى. وتوصف مدن المستقبل بأنها منتجة للثروات وقيم الحداثة والتطور، وتمثل بذلك آمالا كبيرة لفئات واسعة من سكان الأرياف الذين يرغبون في تحسين أوضاعهم المعيشية. بالنظر لما توفره من شروط حياة آمنة، وظروف صحية وخدماتية، وحياة ثقافية متنوعة.

وتعد جغرافية المدن فرعا من فروع الجغرافية البشرية التي تهتم بدراسة المدن من حيث توزيعها ودينامية تطورها في محيطها الداخلي والخارجي ككيان حضري من حيث علاقة التأثير والتأثر والدور الكبير الذي تلعبه في هيكلة وتنظيم المجال الجغرافي، ومن تم في سياسة إعداد التراب والتنمية، وقد اعتمدت في ذلك استخدام مناهج متعددة تبعا لتطور الفكر الجغرافي.

ظلت الجغرافية الحضرية منذ نشأتها خلال القرن 19، مرتبطة في تطورها بنوع من الحتمية السببية مع الهجرة، قبل أن تهتم بالمقاربة التحليلية للمجال باعتباره منظومة لها جذور وسيرورة تؤثر وتتأثر بمحيطها الطبيعي والبشري وظروف إنتاجها.

بعد ذلك ظهر الاهتمام بعلاقات المدينة بالأرياف وأحيانا بالمدن الأخرى، حيث برزت في عقد الستينيات من القرن الماضي مفاهيم أخرى أكثر تطورا تجاوزت الدراسات المونغرافية الوصفية للمدن، إلى القيام بدراسات موضوعاتية مثل دراسة الوظائف التي تسمح بتدقيق العلاقة الخاصة بالمجال الحضري للمدينة وتمدداتها الترابية نحو مناطق الضاحية. فظهرت أعمال جديدة تدرس التطور الذي تشهده المدن بارتباط مع تطور المجتمع الحضري. واهتم الجغرافيون أكثر بالعلاقات بين المدن فظهرت مفاهيم جديدة كالشبكة الحضرية، والجهاز الحضري والمنظومة الحضرية... بل حاول كريستالير صياغة هذه العلاقات بين المدن وطبق نظرية المكان المركزي على بعض مدن ألمانيا وأخرى بالعالم.

هكذا ارتقى التفكير الجغرافي بنظرياته وأدواته مقتبسا من العلوم المجاورة أحيانا ومجددا أحيانا أخرى فأصبح ينظر إلى المدينة ككيان مركزي داخل المنظومة المجالية يتفاعل معها في إطار علاقات تجارية وخدماتية وانتاجية وطبق ميكانيزمات منظمة بشكل وظيفي تراتبي. وقد استغل بعض المخططين هذه الوضعية لفرض مناهجهم الراديكالية الماركسية (نظرية استعمال الأرض التي طورتها مدرسة شيكاغو) ليعتبروا المدينة شكلا من أشكال

التعبير عن التناقضات التي يعرفها النظام الرأسمالي. بينما رأى الآخرون أن المجال معطى طبيعي يجب استغلاله للاهتمام بالقضايا الاجتماعية. وقد ترتب عن هذا ظهور مفاهيم مقتبسة من الحقل الاقتصادي كنظرية **المركز والهامش*** Centre et périphérie.

وتتميز المدن بارتفاع كثافات السكان والسكن والأنشطة والخدمات ومختلف الشبكات والتجهيزات المتعددة وبنيات النقل والمواصلات أكثر من الأرياف التي تعيش اختلالات في السكان وبنيات الإنتاج. وهذا ما حدا بالجغرافيين إلى التعامل مع المدينة كظاهرة مجالية وثقافية معقدة، وجعل الجغرافية الحضرية تهتم بدراسة النتائج المجالية لسياقات اجتماعية متباينة. فالمدينة من هذا المنظور تخضع لتفاعلات التأثيرات الخارجية كما تخضع للتأثيرات الداخلية.

الاتجاه الثقافي الجديد لدراسة المدن هو فكر يرتكز على **تمثلات*** قيم السكان Représentations des Valeurs، أي كيف يتمثل السكان علاقاتهم فيما بينهم ومع المحيط والمجال. وهذا الاهتمام للمدرسة السلوكية الجديدة، فتح المجال لمفاهيم مثل المجال المحسوس والمعاش، كما اهتم بالعناصر غير المادية في تنظيم المجال. ويعتبر أنصار هذا الاتجاه أن السكان يختلفون في سلوكهم من مجال لآخر، لذا يتحتم على الجغرافي الذي يهتم بتنظيم المجال أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الاختلافات التي قد تكون إيديولوجية لأنها تؤثر في هيكلة المجال.

يتضح من خلال ما سبق أن أهم الاتجاهات الفكرية والجغرافية التي اهتمت بالمجال الحضري، شهدت اختلافات وتطورات إن على مستوى المفاهيم والتعاريف المستعملة أو المنهاج والأدوات البحثية، وذلك تبعا للتطورات التي تشهدها العلوم الإنسانية عامة، وللتطورات والتعقيدات التي تشهدها الظاهرة الحضرية على الصعيدين المحلي والدولي.

مفاهيم باللغات الأجنبية وما يقابلها بالعربية		
العربية	الإنجليزية	الفرنسية
إشعاع جغرافي	Geographical reach	Rayonnement géographique
إعادة تشكيل المدينة	Reconstruction of the city	Recomposition de la ville
إعادة تنظيم التراب	Territorial reorganization	Réorganisation territoriale
إقصاء اجتماعي	Social exclusion	Exclusion sociale
إطار مبني	Built Frame	Cadre Bâti
إيصالية	Accessibility	Accessibilité
أهداف التنمية المستدامة	Sustainable Development Goals (SDGs)	Objectifs du Développement Durable (ODD)
أيكولوجية بشرية	Human Ecology	Ecologie Humaine
استعمال الأرض	Land use	Utilisation du sol
تجديد حضري	Gentrification ; Renovation	Gentrification ; Rénovation

Agglomération	Agglomeration	تجمع عمراني
Urbanisation	Urbanization	تحضر، تمدن
Analyse Factorielle	Factor analysis	تحليل عاملي
Déversement Urbain	Urbain spill	تدفق حضري
Hiérarchie urbaine	Urban hierarchy	تراتبة حضرية
Typologie	Typology	تصنيف
Interaction Spatiale des villes	Spatial interaction of cities	تفاعل مجالي للمدن
Zonage	Zoning	تنطيق مجالي
Etalement urbain	Urban sprawl	تمدد حضري، زحف عمراني
Représentation	Representation	تمثلات
Marginalisation	Marginalization	تهميش
les flux	flows	تيارات
Attractivité Urbaine	Urban Attractiveness	جاذبية حضرية
Armature urbaine	Urban framework	جهاز حضري

Plan semi-radioconcentrique	Semi-radioconcentric plane	خطة حلقات نصف دائرية
Plan radioconcentrique ; plan concentrique	Radioconcentric plan ; concentric plane	خطة الحلقات الدائرية
Plan linéaire	Linear plan	خطة شريطية
Plan hippodamien en échiquier, quadrillé	Grid Street-Block	خطة شبكية أو شطرنجية
Dynamique territoriale	Territorial dynamics	ديناميات ترابية
Modèle de données sémantiques	Semantic Data Model	سميولوجية البيانات الدلالية
Big Data	Big Data	بيانات ضخمة
Réseau urbain	Urban network	شبكة حضرية
Réseau urbain hiérarchisé	Hierarchical urban network	شبكة حضرية متراتبة
Réseau Inachevé	Unfinished Network	شبكة غير مكتملة

Réseau Achevé	Network Completed	شبكة مكتملة
Réseau en cours de formation	Network being formed	شبكة في طور التشكل
Forme Tentaculaire	Tentacle Form	شكل نجمي اخطبوطي
Banlieue	Suburbs	ضاحية
Pôle urbain	Urban Pole	قطب حضري
Polarisation	Polarization	قوة استقطاب
Bâtiments Publics	Public Building	مباني عامة
Espace périurbain	Peri-urban space	مجال شبه حضري
Espace Vécu	Lived Space	مجال معاش
Espace organisé	Organized space	مجال منظم
Conurbation	Conurbation	مجمع مُدني
Ville Jardin	Garden City	المدن الحديقة
Villes Nouvelles	New towns	مدن جديدة
Villes satellites	Satellite towns	مدن تابعة
Cités Polycentriques	Polycentric Cities	مدن متعددة الأنوية

Mégalopolis	Megalopolis	مدينة عملاقة
Complexes	Complexes	مركبات
Agenda 21	Agenda 21	المذكرة الحضرية 21
Centre et périphérie	Center and periphery	المركز والهامش
Centralité Urbaine	Urban Centrality	مركزية حضرية
Composantes	Components	مكونات
Zones d'influence	Areas of influence	مناطق النفوذ
Zone d'attractivité	Zone of attractiveness	منطقة الاجتذاب
Zone de rayonnement	Radiation area	مطقة الإشعاع
Aire urbaine	Urban area	منطقة حضرية كبرى
Régulé ; Aménagé	Regulated; Finished	مهيأ
Situation	Situation	موقع
Site	Site	موضع
Métropolisation	Metropolisation	ميتروبولية

Charte d'Atènes	Charter of Athens	ميثاق أثينا
Charte de Burra	Burra Charter	ميثاق ألبورك
Système Urbain	Urban System	نظام حضري
Modèle des noyaux multiples	Multiple nuclei model	نظرية الأنوية المتعددة
Modèle radial	Radial model	نظرية الدوائر المتراكزة
Modèle des secteurs	Sector model	نظرية القطاعات
Situation de confluence	Confluence situation	نقاط الالتقاء
Nodalité	Nodality	نقاط العُقدية

مصادر ومراجع حول جغرافية المدن

- **باللغة العربية**

- ايت حمو سعيد، أزهار محمد، ايت موسى احمد، 2008، الضاحية بين هاجس التعمير والاقصاء واستراتيجيات التنمية المحلية والجهوية حالة: ضاحية الدار البيضاء المحمدية، ورد في تنسيق محمد الأسعد " نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية" الملتقى الرابع للجغرافيين العرب، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، الرباط، الجزء الأول.
- ابن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، المجلد الثالث عشر.
- بريان محمد، بنحليمة حسن، العوينة عبد الله، 1989، قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية، منشورات اللجنة الوطنية المغربية للجغرافية.
- بلفقيه محمد، 2022، المدينة المسار والمصير، دار نشر المعرفة، الرباط.
- الجولاني عمر فادية، 1993، علم الاجتماع الحضري، الكتاب الجامعي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- حمدان جمال، جغرافية المدن، عالم الكتب، طبعة منقحة، القاهرة. (بدون تاريخ)
- دروا محمد محفوظ 2003، "المدينة في تاريخ المغرب: دراسة مجملة، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- رضا محمد السيد، 2016، المدخل الى الجغرافيا العامة، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- صلاح حميد الجنابي، 1987، جغرافية الحضر أسس وتطبيقات، كلية التربية، جامعة الموصل، قسم الجغرافية المكتبة الوطنية بغداد.
- المرزيق مصطفى 2020، "المدينة والعيش المشترك"، *المجلة المغربية للسياسات العمومية*، مطبعة شمس برينت، سلا.

- الطيف بشير إبراهيم، واخرون، 2017، جغرافية المدن (Borsippa Library)، العراق.

- الموسوي محمد عرب، 2018، جغرافية المدن بين النظرية والتطبيق، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.

- عفيفي احمد كمال، بدون تاريخ، نظريات في تخطيط المدن، كلية الهندسة جامعة الازهر.

- عمر محمد علي محمد، 2016، جغرافية المدن بين الدراسة المنهجية والمعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

- كوال احمد، 2012، التحضر التحديث الحداثة في المجتمع المغربي الحديث، افريقيا الشرق، المغرب.

- المالكي عبد الرحمان، 2016، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، افريقيا الشرق.

- **باللغات الأجنبية:**

- Anne-Lise Humain-Lamoure; Antoine la porte, 2022, Introduction à la géographie urbaine, 2e édition, Armand Colin.

- Brunet Roger, 1980, La composition des modèles de l'analyse spatiale. In *L'espace Géographique, tome 9, N°4* p. 253-265 (www.persee.fr/doc/spgeo-0046-2497-1980-num-9-4-3-5

- Burgess E.W., 1925, The Growth of the City. Ar instruction to a rescorch Project, in Park, R.E

- Castells Manuel, 1981, La question Urbaine, François Maspero, Paris.

- Claval P., 1968, la théorie des villes, *Revue de Géographie de l'Est n°8-56*.

- Hagget P. 1973 : L'analyse Spatiale en Géographie Humaine, A. Colin, Paris.

- HAROUEL Jean Louis, 1981, Histoire de de l'urbanisme, Que sais-je, PUF, Paris.

- Jacqueline Beaujeu Garnier, 1980, Géographie Urbaine, Armand Colin, Collection, U, Paris.

- Harris C.S. and ULMAN, 1945, The Nature of cities.

- Jacques Lévy et Michel Lusaut, (S.D. de), 2003, Dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés.

- Leonis Baptistae Alberti, ... libri de Re aedificatoria decem... (1512), Leon Battista Alberti (1404-1472), Parrhisiis: opera B. Rembolt et L. Hornken.

- MALET H. 1973, Le baron Haussmann et la rénovation de Paris, Paris.

- PAULET J.P., 2000, Géographie urbaine, Armand Colin-Paris.

- Pierre Merlin et Françoise Choay (S.D. de) 2010, Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement », PUF, 3ème édition, Paris.

- Robert E. Park and Ernest W. Burgess, 1925, The city suggestions for investigation of human behavior in *the urban environment*, the University of Chicago, press Chicago and London.

- Schiebling Jaque, 2011, qu'est-ce que la géographie ? Hachette Supérieure, 2° édition, revue et augmentée.

- **يبوغرافيا :**

- https://population.un.org/wup/General/GlossaryDemographicTerms.aspx
- https ://www.longfinance.net/programmes/financial-centre-futures/global-financial-centres-index/gfci-28/
- https ://www.forbes.com/sites/johnkoetsier/2021/02/20/the-worlds-most-powerful-cities/?sh=7f80093f51cb
- World Urbanization Prospects 2018 https ://www.un.org/development/desa/publications/2018-revision-of-world-urbanization-prospects.html
- World Population Review, 2020 https ://worldpopulationreview.com/
- https ://www.arqhys.com/arquitectura/urbanismo-sigloxx.html (Consulté le 26/03/02023)

ملاحق محور جغرافية المدن

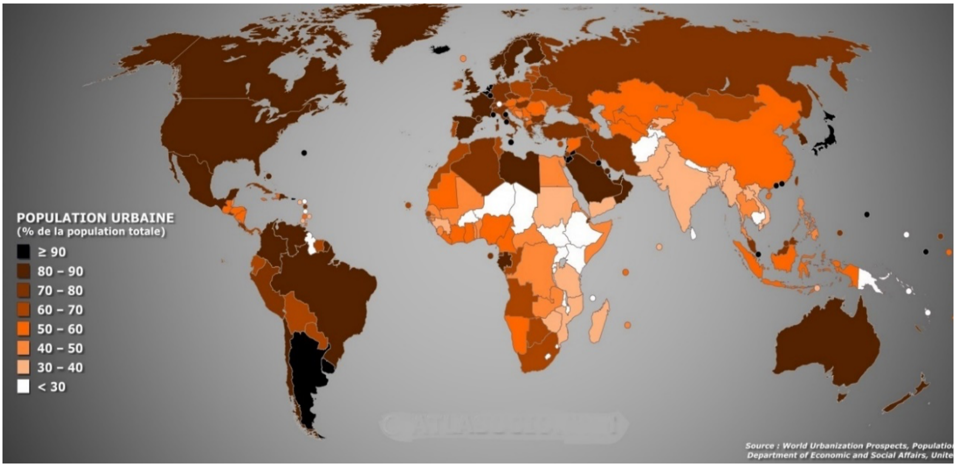
جدول 3 أكبر مدن دول العالم من حيث عدد السكان 2020

المدينة	الدولة التي تنتمي اليها	عدد السكان بالمليون نسمة
طوكيو	اليابان	37,393,000
دلهي	الهند	30,290,000
شنغهاي	الصين	27,058,000
ساو باولو	البرازيل	22,043,000
مومباي	الهند	21,042,000
مانيلا	الفلبين	16,767,000
كاراكاس	فنزويلا	15,572,000
نيويورك	الولايات المتحدة	15,091,000
بكين	الصين	14,910,000
كايرو	مصر	14,866,000

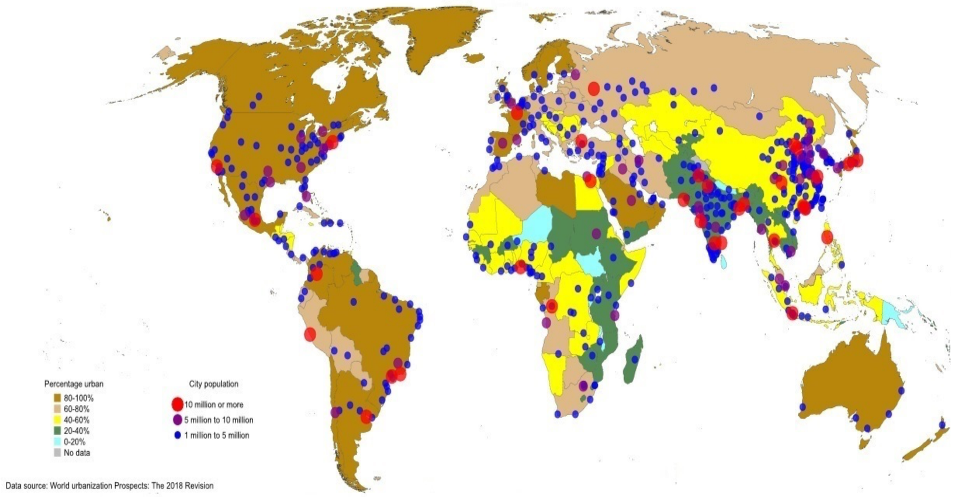
المصدر: تقرير الأمم المتحدة للتوسع الحضري لسنة 2020

https ://www.un.org/development/desa/publications/2018-revision-of-world-urbanization-prospects.html

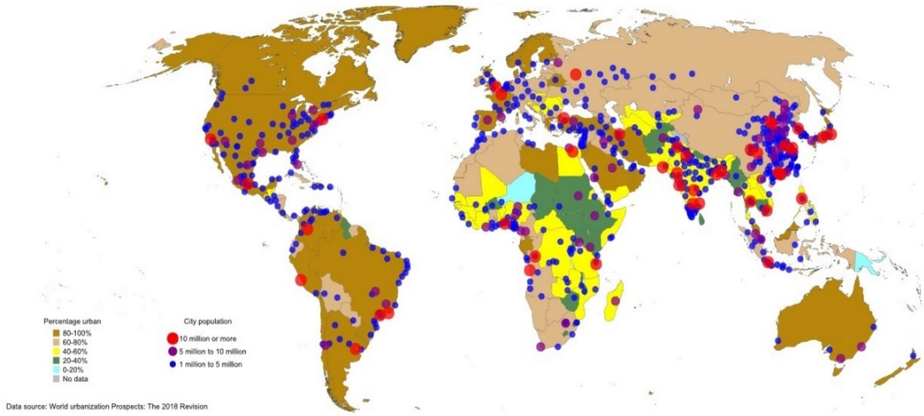
خريطة: نسبة سكان المدن من مجموع السكان بالعالم سنة 2018



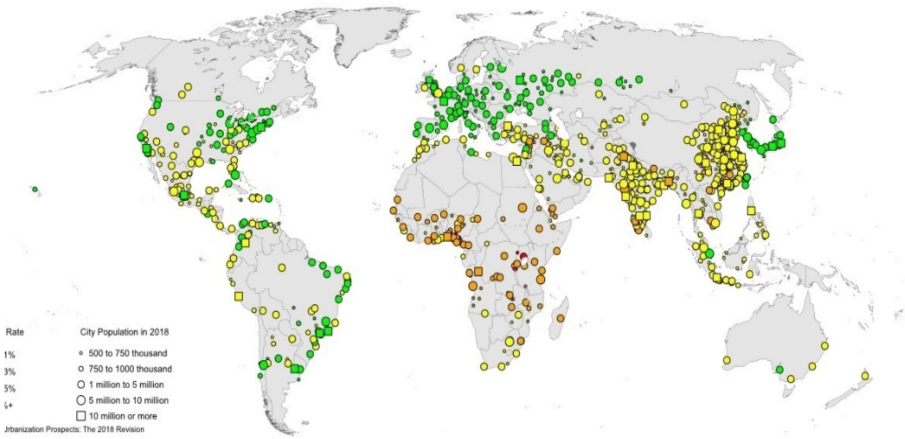
خريطة: تمثل معدل التحضر وأكبر الميتروبولات العالمية سنة 2018



خريطة: توقع تزايد النمو الحضري بالعالم في افق 2030



خريطة: توزيع السكان الحضريون في العالم حسب حجم المدن خلال الفترة ما بين 2018 و2030



الفصل العاشر

الجغرافية الاقتصادية

تأليف:

محمد أيت حمزة[1]؛ عبد النور صديق[2]؛

أسماء بوعوينات[3] محمد ازهار[4]؛ محمد الأسعد[5]؛

مقدمة عامة : النشأة والتعريف[6]

بالعودة إلى تاريخ علم الاقتصاد نلاحظ أن الاقتصاديين اعتمدوا في مرحلة تشكل هذا العلم الفصل بين المكان (أو المجال) والزمن (الوقت) استنادا إلى براديغم نيوتن (أو الفيزياء الكلاسيكية)، فغيبوا المجال، وتغاضوا عن علاقة المكان بالزمن التي كان لأينشتاين الفضل في الجمع أو الوصل بينهما، في إطار المرجعية النسبية، عبر إدماجهما في مفهوم واحد: الزمكان. فبقدر ما كان الزمن في الاقتصاد حاضرا عبر مجموعة من المفاهيم كالفائدة والتضخم والاستخماد والاستثمار، بقدر ما كان البعد المجالي مهمشا إن لم نقل مغيبا رغم علاقته بالزمن عبر مفهوم المسافة.

كان الاقتصاديون بكل تلويناتهم وعلى اختلاف مشاربهم يتناولون المسألة الاقتصادية بمعزل عن بعدها المجالي بالرغم لما لهذا البعد من تأثير على النشاط الاقتصادي. فالمدارس الاقتصادية من ميركانتيلية وفيزيوقراطية مرورا بالكلاسيكية والماركسية إلى النيوكلاسيكية والكينيزية، أهملت المجال كمتغير اقتصادي ولم تعر للمسافة الأهمية التي تستحقها رغم

---

1 أستاذ التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس-الرباط

2 أستاذ محاضر مؤهل؛ المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس-الرباط

3 أستاذة التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء

4 أستاذ التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء

5 أستاذ التعليم العالي؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسيك جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء

6 محمد شيگر أستاذ زائر كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي بجامعة محمد الخامس بالرباط

ارتباطها بالزمن، وبالتالي بكلفة التنقل التي تنعكس على التنافسية إما سلبا أو إيجابا لتشكل إما عائقا يحد من القدرة التنافسية أو امتيازا مقارنا يرفع من هذه القدرة.

قد يعود هذا إلى التوجه الماكرو-اقتصادي الذي كان مهيمنا على حساب الميكرو اقتصادي، حيث لم تكن المقاولة التي كانت في بدايتها تثير اهتمام الباحثين. فعلم الاقتصاد عند نشأته كان موزعا بين تكريس الرأسمالية كنمط إنتاج بديل للنمط الفيودالي وبناء نظرية متماسكة للأسواق وللتوازن الاقتصادي من جهة، ومناهضة هذا النمط اجتماعيا كأيديولوجية ودحض أسسه العلمية كفكر مع الدعوة إلى تجاوزه واستبداله بنمط يحول دون استغلال الإنسان لأخيه الإنسان من جهة أخرى.

كان بالإمكان التأسيس لجغرافيا اقتصادية كعلم من العلوم الاقتصادية وكفرع من فروع الجغرافية، وذلك بالنظر إلى ما عرفه الفكر الاقتصادي من تطور في القرنين الثامن والتاسع عشر بالخصوص على يد فطاحل من طينة آدم سميث ودافيد ريكاردو وستيوارت ميل وكارل ماركس، وما أنتج من أفكار ونظريات في هذه الحقبة، لكن هذا لم يحصل وقتها.

صحيح، كانت هناك محاولات لكنها لم تكن بذلك الزخم الذي يرقى بالمجال ليصبح عاملا اقتصاديا مثله مثل عامل الزمن. من هذه المحاولات يمكن الإشارة إلى مقال نشره المهندس الاقتصادي الألماني ويلهم لونهارد سنة 1882 كتمهيد لنظرية التوطين، وإلى كتاب فون تونن بالخصوص: "الدولة المنعزلة" الصادر سنة 1826، الذي يعتبر أول مؤلف في الجغرافيا الاقتصادية حيث ضمنه نظرية تجمع بين الاقتصاد والمجال يمكن اختزالها في نقطتين أساسيتين:

أولاً- كلما بعدت مناطق الإنتاج عن السوق، كلما زادت نفقات الإنتاج نتيجة ارتفاع تكاليف النقل.

ثانياً- يتناسب إيجار الأراضي الزراعية تناسباً عكسياً مع تكاليف النقل، فكلما ارتفعت تكاليف النقل كلما انخفض الإيجار، والعكس صحيح.

لم يكن ممكنا استمرار تغييب البعد المجالي للنشاط الاقتصادي ليس فقط لأنه يتناقض مع ما أثبته العلم من ارتباط عضوي بين الزمن والمكان، ولا لأنه يتناقض وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي يعد في جوهره نشاطا إنسانيا يعتمد الزمكان، ولكن لأن حدة التنافسية جعلت التحكم في كلفة الإنتاج أمرا لا محيد عنه. وهكذا، فمن بين الأسباب الرئيسة التي

دفعت في اتجاه الجمع بين الاقتصاد والجغرافيا الكلفة المترتبة عن المسافة (تقليص المسافة بين نقطة الإنتاج ونقط التزود بالموارد البشرية والمواد الأولية والتوزيع).

من الجدير بالذكر أن الجغرافيا الاقتصادية اهتمت منذ نشأتها بتوزيع الإنتاج مجاليا توزيعًا محصوليًّا، مما أدى إلى نشوء الجغرافيا التجارية مع الاعتماد على الوصف وإهمال التفسير والتحليل. ورويدا رويدا أخذ مبدأ السببية يكتسح منهج البحث في الجغرافيا الاقتصادية، ليطفو على السطح تفسير ظهور نشاط اقتصادي ما في مكان ما لما يزخر به هذا المكان من مواد أولية كالفحم في بداية الثورة الصناعية ببريطانيا العظمى أو لوجوده بالقرب من السوق. بعد ذلك ظهر مصطلح "الإقليم الاقتصادي"(لوتجنز) اعتمادا على مبدأ التفاعل المتبادل بين المكان الطبيعي والإنسان (لوتجنز -1921 /هاسنجز -1933). (محمد رياض وكوثر عبد الرسول 1996، ص20)

يعرف هـ. مكارتي الأقاليم الاقتصادية بكونها «مناطق جغرافية تتفق فيما بينها بأنها في نفس مرحلة التقدم الاقتصادي». لهذا، يرجع هاسنجر مُهِمَّة الجغرافيا الاقتصادية إلى " دراسة العلاقة بين الاقتصاد والمكان الجغرافي، وهدفها يجب أن يكون تقسيم سطح الأرض إلى أقاليم اقتصادية، ودراسة أشكال ومميزات هذه الأقاليم". واعتمادا على هذا المفهوم قسم هـ. ماكرتي مراحل التقدم الاقتصادي إلى: مرحلة الصيد والجمع والالتقاط، ومرحلة استخراج المعادن، ومرحلة الرعي «بدائي وعلمي»، ومرحلة الزراعة، ومرحلة الصناعة، ومرحلة التجارة والخدمات. ومع مساعي العالم الألماني أوترمبا، أصبح ينظر إلى شكل وظيفة النظام الاقتصادي السائد في مكان ما كتوافق بين الظروف الطبيعية لهذا المجال وقوانين الاقتصاد. (محمد رياض وكوثر عبد الرسول 1996، ص20)

فالجغرافيا الاقتصادية هي فرع من الجغرافيا البشرية التي تدرس موقع وتنظيم وديناميكيات الأنشطة الاقتصادية على سطح الأرض، ومختلف العوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية والتكنولوجية المؤثرة في توطين تلك الأنشطة وتوزيعها الجغرافي. كما تعنى بالإنتاج وتهتم بالحِرَف والمهن المُنتجة فقط، وذلك في إطار سعيها لشرح أسباب تميز أو تقدم مناطق معينة من العالم أو من جهة بالتحديد على مستوى الإنتاج (والتصدير) خلافا لمناطق أو جهات أخرى التي تعتمد الاستيراد وجلب ما تحتاجه من خارجها. وعلى هذا الأساس، فموضوع الجغرافيا الاقتصادية هو توطين الأنشطة الاقتصادية بارتباطها بإنتاج واستهلاك

السلع والخدمات وما يترتب عنها من تبادل. وفي هذا الإطار تعمل الجغرافيا الاقتصادية على صياغة أجوبة شافية على الأسئلة التالية: أين توجد أماكن المواد الأولية خاصة الموارد الطبيعية منها، وكيف تستعمل؟ أين توجد مواقع الإنتاج والمقاولات والأسر والبنية التحتية والتجهيزات، ولماذا هي بهذه المواقع؟ ما هي التفاعلات الموجودة بين مختلف الأماكن على أساس التدفقات الظاهرة منها والخفية؟ ما هي العلاقة بين الأنشطة الاقتصادية والتبادلات وكذا بين المحيط بكل أبعاده البيئية والإنسانية والاجتماعية والسياسية؟

من خلال الأجوبة على هذه الأسئلة، تسعى الجغرافية الاقتصادية إلى تفسير التوزيع غير العادل للثروة على مستوى مختلف المجالات؛ العالمي منه والقاري والقطري والجهوي، انطلاقا من عوامل اقتصادية وبيئية وتاريخية واجتماعية وسياسية.

في الختام، لابد من الإشارة إلى أن الجغرافيا أصبحت مع تنامي الوعي بأهمية المجال، العامل المشترك لمجموعة من العلوم. فبالإضافة إلى الجغرافيا الاقتصادية هناك الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية والجغرافيا الحيوية إلى جانب الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية.

وبالتالي سنسلط الضوء من خلال هذا الفصل على بعض مكونات الجغرافية الاقتصادية كجغرافية النقل وأبعاده وجغرافية الطاقة والخدمات والتعرف على أهمية جغرافية السياحة ودورها في إعادة تشكيل التراب في نطاقات مختلفة، وكيف ينتج عدم التجانس بأشكال مختلفة (التخصص، التركيز، الهيمنة، إلخ).

المبـحث الأول : جغـرافـية النقل وأبعاده[1]

الهدف من ادراج هذا الفصل:

يهدف هذا الفصل، الذي خصصناه لإبراز جوانب من جغرافية النقل، إلى إدماج هذه المادة التي طالما أقصيت في برامج التدريس على مستوى جامعاتنا، إن على المستوى المعرفي أو التطبيقي، رغم أهميتها القصوى في هيكلة أو إعادة هيكلة المجال وإعطاء القيمة للعمل البشري وتحسين مستوى رفاهيته.

فجغرافية النقل، عبارة عن تَوْلفة وحقل جامع مانع لكل العلاقات الممكنة بين عناصر المجال وتثمين العمل الانساني، ومن تم فهي نموذج للمساهمة التي يمكن أن يأتي بها الجغرافي بغاية التحكم في المنظومة الترابية؛ وأداة فعالة للهيكلة الذكية لتثمين موارد المجال؛

ميدان النقل نموذج متكامل لما يمكن أن يتصوره المرء للحكامة المثلى بين العناصر المكونة للمجال، بحيث لا يتحمل أي خلل في التدبير مهما كان مستواه؛

ميدان دراسة النقل، يعتبر أحسن وأرقى تمرين يمكن أن نُروض به سلوك المتعلمين لإعدادهم لمهامهم البيداغوجية أو التطبيقية في المستقبل.

مقدمة

يعتبر قطاع النقل والمواصلات ذا أهمية بالغة في حياتنا المجتمعية، حيث يلجأ إليه الجميع، وباستمرار في تنقلاته، وفي نقل المواد الأولية والمنتجات المستهلكة والسلع، من مكان إلى آخر. ويمثل بذلك عاملا ضروريا في كل عمليات التداول والتبادل سواء للأموال أو السلع أو الصور أو المعلومات والأخبار، بل وللسلوكيات ... ويستبعد في الوضع الراهن للبشرية أن تتوقف عن التنقل أو أن تتخلى عن النقل جزئيا أو كليا مهما كان السبب، لأن ذلك يعني وببساطة، الاختناق أو الانحباس الكلي أو الجزئي للحياة؛ ولنا فيما يقع أثناء الحوادث الطارئة أحسن مثال (سوء الأحوال الجوية أو الإضراب، انتشار الوباء، الصراعات والحروب...).

[1] محمد ايت حمزة

فانقطاع النقل يعني نهاية الحياة الاقتصادية وخمول الحياة الاجتماعية، بل وربما نهايتها، إن لم يؤد ذلك إلى نشوب صراعات تفضي إلى الزوال الكلي.

فالنقل ليس فقط وسيلة للإنتاج والاستهلاك، بل هو أيضا خدمة ضرورية لضمان رفاهية الانسان وعنوان لتقدمه، وأداة فعالة لهيكلة مجال معاشه. حيث سعى الانسان، وباستمرار، من وراء تطوير وسائل النقل إلى طي المسافات الزمكانية وتقليل الأعباء وتقزيم كلفة الأسفار. فاستغل، لبلوغ أهدافه الملخصة في الضغط على المسافات الجغرافية والزمنية والأثمنة وتوفير جودة الخدمات، باستغلال ما وفره التقدم التقني والتكنولوجي من الوسائل والامكانات، برا وبحرا وجوا، وخلق بذلك تنافسا بين المختبرات والأمكنة، وبين الفاعلين الماديين والمعنويين.

ويعتبر ما تحقق في هذا الشأن، رغم الطموحات المتنامية، مُبهرا، إن على المستوى الكمي والكيفي أو التقني والنوعي (توسع الشبكات وتنوعها، زيادة السرعة، توفير الراحة والأمن، زيادة الحمولة، تحسين ظروف الشحن والتفريغ...)، مما خلق تباينا سوسيو- مجاليا بين الدول والقارات وزاد من تهميش الفقراء، بل وقوى تحكم الأقوياء في مصير الضعفاء اقتصاديا وسياسيا، إن على المستوى المحلي أو الاقليمي والدولي.

ويعتبر الخوض في مثل هذه المواضيع دربا من دروب، ليس الرفاه الفكري فحسب، بل ضرورة لإعادة النظر في مخططاتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمجالية.

إنه، ونظرا لأبعاد هذا الموضوع الدولية والاقليمية والمحلية، وتشابك عناصرها، فُرض علينا الاختصار على بعض المعالم الكبرى من أشكال تنظيم القطاع إن على المستوى التقني أو التدبيري، مع الاكتفاء بالإشارة إلى أمثلة مستوحاة من مناطق وسياقات متنوعة.

وتبسيطا للمدارك، قُسم الموضوع إلى أربعة محاور رئيسية:

- تناول المحور الأول أغراض النقل وحيثياته، من الناحية النظرية والمفاهيمية؛
- بينما تناول المحور الثاني أهمية النقل كوسيط ضروري لقيام حياة عادية؛
- أما المحور الثالث فقد سقنا عبره وسائل النقل مع التركيز على دور الشبكات المختلفة وأهمية التنسيق والتناسق من اجل بلوغ الخدمة الفضلى، واسعاد بني البشر؛

- أما المحور الرابع فقد خصص للحديث عن التأثيرات والتفاعلات التي يحدثها القطاع على مكونات المحيط بشمولية عناصره؛

ذُيل الفصل بخلاصة مقتضبة لما ينتظر من مثل هذا العمل.

1. النقل، أغراضه وحيثياته

بشكل جد مبسط، يطلق مفهوم التنقل على كل حركة جسم ما، من مكان إلى آخر، لأي سبب كان، سواء همت الإنسان أو الحيوان أو المواد الأولية أو المصنعة، بل تجاوز المفهوم العام هذا المعنى ليشمل الأموال والأقوال والصور والسلوكات. ويتم النقل عن طريق اللجوء إلى وسائل مختلفة ومتباينة حسب الزمان والمكان وحسب نوعية المنقول. وبناء على الارتباط الوثيق بين وسائل النقل والمنقول والمجال الجغرافي الذي يتم فيه فعل ذلك، فقد اهتمت الدراسات الجغرافية بهذه الظاهرة بغية صبر أغوارها وفهم الميكانزمات المتحكمة فيها، لما لذلك من علاقة وثيقة بتخطيط تنمية الانسان ومحيطه.

1.1 النقل، موضوع للدراسات الجغرافية

تعتبر دراسة مجال النقل نقطة التقاء للعديد من التخصصات المهتمة بالعلوم الانسانية والتقنية (التاريخ، الاقتصاد، السياسة، القانون، علم الاجتماع، التخطيط واستخدام الأرض...)، ومن تم، يعتبر قطاع النقل في صميم اهتمامات الجغرافية. حيث يطلق مفهوم **جغرافية النقل** على فرع الجغرافية البشرية الذي يدرس حركة الركاب والمواد الأولية والبضائع والمعلومات والأموال...، والمهتم بدراسة البنى التحتية المستخدمة، والمؤهلات أو الإكراهات الطبيعة والبشرية التي قد تعوق أو تسهل الحركة بين نقطة الأصل والوجهة المستهدفة.

فالنقل يلعب دورًا أساسيًا وحاسمًا في تشكيل المناطق وتشكيل الآليات المجتمعية والاقتصادية، مهما كانت المستويات المكانية والمجموعات البشرية. فهو لا يسهّل تداول السلع وخدمات الاتصالات والروابط الإقليمية فحسب، بل يسهّل أيضًا التفاعلات التي بدونها لا يمكن لأي نظام اجتماعي مكاني أن يشتغل ويتفاعل. وبالتالي فإن جغرافية النقل تشمل العديد من المفاهيم المرتبطة بأيديولوجية الحكم السائد وطموحاته السياسية والمجتمعية

والاقتصادية. ويرتبط مجال جغرافية النقل ارتباطًا وثيقًا بمجالات أخرى من الجغرافية العامة:

• فالجغرافيا الطبيعية وفروعها الجيومرفولوجية والهيدروغرافية وعلم النباتات والمناخ تهتم بدراسة الخصوصيات الطبيعية التي تكون القاعدة الأساسية لكل الحركات البرية والجوية والبحرية، في تفاعلها مع النقل والتنقل؛

• بينما تهتم الجغرافيا الاقتصادية بمواقع المواد الأولية والطاقية وأماكن استقرار الأنشطة والأسواق، بحثا عن الأوضاع المثلى للإنتاج والاستهلاك أيا كان نوعهما وحجمهما ومكانهما وإطارهما النظامي؛

• أما الجغرافية الاجتماعية والسياسية والتاريخية فتهتم بمشاكل الأمن ووحدة التراب وتكامل أجزائه، ومختلف التأثيرات التي تنتج عن حركات الانسان والقيم والمواد والسلع، في الزمان والمكان؛

• على أن تهتم الجغرافية الإقليمية بدراسة المراكز والأقطاب الحضرية التي يتسبب النقل في تضخمها أو تقزيمها وعلاقاتها بمحيطها الاقليمي والدولي.

2.1 النقل، مفاهيم ونظريات

1.2.1 - تعريف النقل والتنقل

يستخدم مصطلح التنقل عند الجغرافيين للحديث عن حركة المرور، بينما يستعمل النقل، لاستحضار وسائل النقل والتدفقات المصاحبة للمرور. وتشير الرحلات إلى الحركات بين نقطتي الأصل والوجهة، مما يستوجب توفر وسائل وطرق النقل. ويعتبر عدم القدرة على التنقل خللا وظيفيا، بينما تعبر التدفقات عن توفر كمي لوسائل النقل وللمنقولات ارتباطا بالعمليات الاقتصادية الطبيعة. حيث تعبر حركة المرور عن التدفقات الموجهة بواسطة وسائل النقل والبنية التحتية للشبكات، وتعبر كثافتها عن دينامية المجال ومستغليه.

2.2.1- أهمية التنقل في تصنيف المجال

تُعتبر حركة النقل والتنقل مؤشرا قويا عن موقع الفاعلين الاقتصاديين في الفضاء الجغرافي، في علاقتهم بالآخرين (أناسا أو أشياء)، حيث تُبرز القصور والخصاص أو التنوع والوفرة. ويدل النمو الايجابي للتنقل، ولو جزئيًا، عن التحسن في إمكانية الوصول إلى الموارد

(المواد الأولية، الاستثمارات، الأطقم التقنية، السلع...) من خلال التقدم التقني. وتعتبر كثافة شبكات النقل ومدى ترابطها مؤشرا قويا لدينامية مجال معين، وقوة جاذبيته الاقتصادية والاجتماعية، وعلى النقيض من ذلك، يدل خلو مجال ما، من الشبكات، عن بطء دينامية المكان أو إلى طبعه المنفر الطارد.

3.2.1- تكاليف النقل

سمحت الابتكارات التي عرفها القطاع الصناعي خلال القرن التاسع عشر بإحراز تقدم كبير، إن على مستوى المركبات أو البنيات التحتية. ويعد التجديد والتحديث في استخدام المصادر الجديدة للطاقة (البخار، النفط، الغاز، الكهرباء، الطاقة النووية) ابتكارا رئيسيا، حيث سمح شيوع هذه الموارد بانهيار أسعار النقل وخفض تكاليفه. إذ ازداد عدد المركبات وسرعتها، وازداد تواتر وجودها بين نقط البداية ونقط النهاية في الزمان، وهو ما يعني استثمار نفس الموظفين ونفس رأس المال ونفس المركبات بقدرة أعلى لإنتاج عمل أكثر، وبمردود أهم، وجودة أحسن. فكلما زاد حجم المنقولات (السعة)، زادت المردودية لنفس المُدة الزمنية. فترجم بذلك تَقَارب السرعة والسعة والتبسيط اللوجستي، بمكاسب إنتاجية ضخمة.

وتعتبر مكاسب الإنتاجية من العوامل المؤثرة على التموقع المجالي لشركات الانتاج، وعلى العلاقة بينها وبين أسواق الاستهلاك. حيث تبحث مختلف المؤسسات في تموقعاتها عن المكان الأمثل بالنسبة للمواد الأولية واليد العاملة والاستثمارات والأسواق والامتيازات الضريبية وسيولة النقل وتكامل وتنوع شبكاته.

وتؤثر ظروف التنقل على التوسع المكاني للمدن، حيث تدين التمركزات الحضرية المعاصرة في تشكلها العام إلى "مبدأ التنقل": وهكذا، فبينما ظلت الميزانية الزمنية ثابتة بسبب تحسن شبكات وسائل النقل، استغنت الحياة الحضرية عن القرب والكثافة، بل على التنقل والاتصال بالشبكة، وهي المكونة لأحد المفاتيح، إلى جانب سرعة تقنيات التوصيل والوصول.

4.2.1- السباق نحو السرعة

لفترة عريقة جدًا، كانت الأسفار للمسافات الطويلة تستغرق أشهرا، حيث كانت الرحلة بين مدريد والمكسيك، على سبيل المثال، تستغرق على الأقل، ستة أشهر، وتصل مدة الرحلة بين المغرب والمدينة المنورة سنة وما ينيف، بالنظر لنوعية وسائل النقل وما قد تتعرض له الرحلات من المتغيرات والإكراهات المناخية والصحية والأمنية أو حتى الإدارية، مما حدا هكذا



وبمجرد أن بدأ العمل بالقاطرات السريعة (البرق) أصبحت الرحلة التي كانت تتطلب 350 ساعة في القرن الثامن عشر، تتم بالطائرة في أقل من ساعتين. وللمضي قدمًا وبشكل أسرع، حاول الانسان تحسين المسار، وذلك بالتقليل أو القضاء على كل الاحتكاك والخشونة وإحلال اللزوجة والسيولة محلها، مما فرض استعمال البخار ثم الكهرباء فالذرة، بدل الطاقة الفيزيائية الحيوانية. فأصبح ممكنا أن تقوم القاطرات الآن في ساعة واحدة بما كان يقوم به الحصان في يوم واحد. حيث بلغت سرعتها 100 كم / ساعة عام 1835، و200 كم / ساعة عام 1903 لتبلغ 300 كم / ساعة عام 1964، ولتتجاوز هذا الحد الآن بواسطة القاطرات فائقة السرعةTGV (صورة رقم1 : البراق بمحطة القطار. مدينة طنجة. بعدسة موسى كرزازي. 2025-7-12) (أكثر من 400كلم /ساعة 2022). وسمح التقدم التقني في جميع الأوضاع بالضغط على عاملي الزمان والمكان عن طريق استعمال وسائل النقل البري أو البحري أو الجوي.

فتهافت الكل على السرعة بغية إعطاء قيمة للوقت واستغلاله بشكل أمثل ومتواتر حيثما وجد (العمل في القطار، والاستماع إلى مذياع داخل السيارة، استخدام الرسائل السريعة، العمل عن بعد...). وبذلك عُد القرن العشرين عصر السرعة بامتياز. وظهرت أهمية هذا العامل بقوة أثناء فترة جائحة كورونا (كوفيد 19) حين توقفت أغلب وسائل النقل العادية، وتوقفت عجلة الحياة الاقتصادية فجأة، واضطر الجميع، ومن جديد، أن يقفز قفزة نوعية، وفي زمن قصير، ليعتنق العمل عن بعد، بغية كسب الوقت وضمان استمرار دورة الحياة، وعُدت "الأزمة بذلك أم الاختراع".

5.2.1- السياق الاقتصادي

ارتبط طلب السرعة الموجه إلى النقل بالمتطلبات الاقتصادية، حيث أصبح عامل الالتزام بالتوصيل والتسليم السريعين(livraison à temps) ذا قيمة عالية، خاصة في ميدان

صناعة المواد الغذائية والأدوية والمواد التي تتعرض للإتلاف بسرعة، وذلك لأسباب فنية أو إنتاجية. فالسلع في مرحلة النقل قد تتعرض للإتلاف، وقد يكلف تخزينها والحفاظ عليها اموالًا باهظة، مما يحتم التحكم في مسألة تحديد وقت السفر ومدته، والتقليل أكثر ما يمكن من أوقات التباطء والتخزين(stockage) ، وتفادي الشحن والتفريغ في محطات كثيرة، مما أعطى لمسألة اللوجستيك والتدبير الإداري قيمة أساسية.

وبناء على ما سبق تتباين مؤهلات الأماكن حسب أهمية معيقات الولوج اليها ودرجة انفتاحها على العالم.

6.2.1- تباين نسبة ولوجية الأماكن

تختلف وُلوجية(accessibilité) الأمكنة الجغرافية حسب طبيعتها الفيزيائية والبشرية. حيث يمكن القول، إن مكانا ما، يتمتع بسهولة الولوج إليه، عندما يمكن الوصول إليه من موقع واحد أو أكثر باستخدام جزئي أو كلي لوسيلة نقل مَا. وتشمل إمكانية الوصول مَعْنَيين: أحدهما اقتصادي –اجتماعي، والآخر مكاني. وبذلك تصبح عزلة المكان (isolement ou enclavement) هي نتيجة لضعف إمكانية الوصول إليه، بوسائل الاتصال والتواصل المختلفة، حيث يمكن التحدث عن الانفتاح الإقليمي (ouverture ou désenclavement) ويعني ربط ذات التراب بالشبكة السريعة وبالمناطق الحضرية، وبشكل استثنائي بالمناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة. وقد تأخذ صعوبة الولوجية معنى أوسع عندما يقصد بها عدم قدرة المرء على الوصول إلى خدمة مَا، رغم وفرتها، لسبب بشري أحيانا (الأمية، العوز المادي، الإكراه...)

تميزت المجالات الجوية والبحرية بخلوها من القيود المختلفة، غير المرتبطة بحالة الجو، بينما ارتبطت الصعوبات، بها، وخلال فترة طويلة بالتوطين. وللتقليل من وطأة هذه المعيقات (les contraintes) ، لجأ الانسان إلى استعمال البوصلة في التنقل كأداة مساعدة في الملاحة. وانتقلت القيود بالنسبة للطائرات إلى مكان هبوطها (مناطق جبلية غير مناسبة، مساحات غابوية)، وبالنسبة إلى السفن إلى مرافئ رسوها، حيث السواحل الصخرية أكثر ملاءمة للاحتماء (الخلجان)، ما لم يتم تطوير الموانئ الواقية والخلجان والمسطحات المائية المغلقة. بينما ظلت المناطق الجبلية صعبة الولوجية (عقبة) حيث تتطلب مجهودا أكبر بالنسبة للراجلين والراكبين لدوابهم، وتتطلب الكثير من الوقود بالنسبة للمحركات. ومع ذلك،

كانت حركة المرور هناك قديمة جدًا (أفاجيج)، وتزايدت بعدما تمكن الانسان من التغلب على العقبات بحفر الانفاق (tunnels) والتغلب على الانحدارات، كما هو الحال عند قاطني جبال الأطلس، أو حفر الأنفاق أمام خطوط السكك الحديدية في جبال الألب (سويسرا، إيطاليا، فرنسا، الصين...). على الرغم من كل ذلك، غالبًا ما تجتاز طرق المواصلات والاتصالات التضاريس الجبلية، وإن بشكل سيئ. وقد يؤدي هذا النقص في التطوير إلى تنامي المشاكل النفسية أو الثقافية يصعب تجاوزها لدى السكان. إن الخشونة نسبية (âpreté ou rugosité). فالحركة الجوية قد لا تتأثر بأي شكل من الأشكال بالمعيقات الطبيعية، حيثما توفرت. على العكس من ذلك، النقل عبر الطرق والسكك الحديدية يمكن تطويره بتخفيف المنحدرات أو إنشاء أنفاق حلزونية أو اعتماد المنعرجات. كما يمكن اللجوء إلى العديد من الأعمال الفنية للمسارات الطرقية السريعة والسكك الحديدية لتجاوز العقبات.

تعبر ظاهرة خشونة المسافة، العقبة الأولى التي عمل الانسان على التغلب عليها (يقل تنقل الإنسان مع المسافة). تقاس المسافة الجغرافية (distance réelle ou géographique) بمدى التباعد بين مكانين، ويتم تقييمها بوحدات الطول. غير أن مسافة السفر الفعلي، بشكل عام، أكبر بكثير، نظرًا لأننا نادرا ما نتنقل بين نقطتين عبر خط مستقيم. لذا يتم اللجوء إلى قياس مسافة النقل أيضًا بالمدة: المسافة الزمنية (distance temps). وتعتبر هذه الأخيرة أدق تعبير، لأنها تأخذ بعين الاعتبار زيادة على الخشونة الطبيعية ما يترتب عن ذلك من الأتعاب النفسية والجسمانية والمادية؛ علما منا بأن الأماكن الخشنة يمكن أن تكون أيضًا مصادر دخل للذين يستطيعون السيطرة عليها وتثمين إمكاناتها المعدنية أو السياحية أو الغابوية، أو تدارك النقص بخلق الترابط بين وسائل النقل المختلفة.

7.2.1- الشبكة والترابط

يمكن تعريف الشبكة (réseau) على أنها قدرة القطاع (النقل) على تنظيم نفسه والعمل في شبكة. ويجب التمييز في هذا المجال بين البنية التحتية وتنظيم التدفقات والخدمات التجارية والبنية المعلوماتية التي تشكل القاعدة ووسائل النقل التي تشكل الشبكة.

ويُتحدث عن شبكة نقل مثالية، عندما يمكن نقل وتنقل المسافرين والبضائع والمعلومات بين أجزاء مجال ما، في أية لحظة وأي مكان على سطح الأرض. وتعتبر التغطية المكانية الكاملة (couverture générale du territoire) بواسطة شبكة النقل العادي أمرا مستحيلا

(بما في ذلك شبكة الطرق)، ونعني بذلك تواجد شبكة من الكائنات، يمكن الوصول إليها انطلاقا من عدة أماكن في نفس الوقت. وتتناسب درجة التواجد في كل مكان مع عدد نقاط الوصول. وتسعى كل شبكة نقل إلى إنشاء روابط تمكن من التبادل والتداول بين أماكن عديدة، ونسمي ذلك بالترابط. حيث يقال إن الشبكة متصلة إذا كان من الممكن توصيل جميع العقد بإحداها، وهي خدمة تتيح الاتصال بالشبكة بشكل دائم. كما تسعى إلى توفير الخدمة التي تقدمها دون تكلفة أو جهد زائد، لا في الزمان أو المكان (الوساطة):

أمثلة: الوصول إلى شبكة المياه فوري، بينما يتطلب الوصول إلى شبكة الهاتف بضع ثوان؛ والوصول الى وسائل النقل الفردية فوري، فى حين يفترض الوصول الى وسائل النقل الجماعية وقتا للانتظار.

8.2.1- لحظية الاتصال والتواصل.

تشير اللحظية إلى غياب الوقت الميت (instantané) بين وقت طرح المشكلة وفترة الاستجابة، بين منشأ الرحلة ووجهتها. وهذه اللحظية ممكنة فقط في سياق الاتصالات الهاتفية المسموعة والمرئية، وليس في ميدان النقل بالوسائل التقليدية العادية. وهي خاصية قد لا تكون ممكنة سوى عندما تُقدم شبكة مَا، طرق بديلة بين العقد (nœuds) أو في حد أقصاه بين جميع أزواج العقد. فنتحدث آنذاك عن شبكة لديها اتصال قوي، وأقل عرضة للمخاطر التي تؤدي إلى الاضطرابات وحجب واحد أو أكثر من الروابط.

تشير عقد النقل إلى كل مكان يسمح بالاتصال بين عدة شبكات وبين المستخدمين، ويسمح بتكسير الحمل (charge)، ويخضع بذلك للمنطق الوظيفي. هذا ويمكن أن تنشأ العقد في نقاط رئيسية معينة في الشبكات لتُوفرَ حلولا للعقبات البيو-فيزيائية أو لتوفر ظروف النشأة لأماكن تأوي المركبات أو البضائع والمسافرين، أو أماكن دَفع وديناميكيات. ويفسر بعض الجغرافيين (V. de La Blache, 1922) نشأة العديد من المراكز الحضرية بالضرورة التي يفرضها تغيير وسيلة النقل بعد الانتقال من وحدة جغرافية إلى أخرى (من البحر إلى البر، أو من السهل إلى الجبل، مثلا) مما يسمح بظهور عقد مرتبطة بالطرق (أماكن تقاطع الطرق، نقط التحويل بين وسلتين مختلفتين للنقل...)

2. أهمية النقل كوسيط وخدمة

تعتبر شبكات النقل وقنوات الاتصال والبنى التحتية المصاحبة لها بمثابة الأوعية الدموية للأديم وقاطنيه. فهي العامل المحدد والمُهيكل للأنشطة الاقتصادية والخدماتية المختلفة، حيث تؤثر على تطورها وعلى دينامية مواقعها. وتعتمد على البنيات والبيئات البشرية والمادية وما يحدث فيها من تحولات وتبادلات، عالية الدقة والتعقيد.

تساهم البنى التحتية (المرافق الطرقية، المطارات، المحطات، الموانئ، إلخ) في تنظيم الفضاء من خلال تقسيمه إلى مجموعات ترابية تشتغل كحقل لتبادلات متنوعة ودائمة (التوريد والاستيراد). وتعتبر بذلك بمثابة شبكة الأوعية الدموية في الجسم تغذيه بكل حاجياته من رأسه إلى أخمص قدميه، وتضمن حسن التبادل بينه وبين الأجسام المحيطة. وتعتمد هذه البنى التحتية على البيئات المادية والبشرية التي تساهم في نشأتها وتطويرها، تناسبا مع تطور حاجياتها.

- يعتبر قطاع النقل نشاطا في حد ذاته، حيث يخضع وجوده لمنطق التنظيم المكاني ولقيود الموقع وتأثيراته على الأنشطة الأخرى. وقد تم تطوير جغرافية النقل خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث يمكن العثور على بدايات هذه المادة في العمل الذي

يوهان هاينريش فون ثونن
Johann Heinrich von Thünen
عالم زراعة ألماني (1783-1850)، اشتهر بعمله على علاقة تكاليف نقل السلع بمكان الإنتاج. وبنى نموذجاً اقتصاديا نظرياً على أساس الاقتصاد الزراعي لإيجاد العوامل الهامة والمواقع الأكثر ربحاً في فروع من الزراعة، ومصادر الطلب عليها. ووضع نظرية للإيجار شبيهة بتلك التى وضعها ريكاردو. ويمكن اعتباره أحد مؤسسى التحليل الهامشي.

نموذج ثونن:

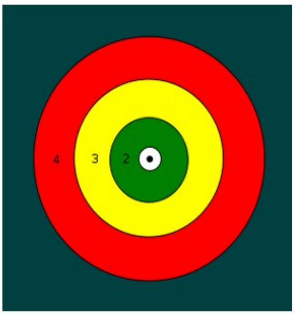
النقطة (السوداء) تمثل المدينة؛

1-(البيضاء) الألبان والبقول؛

2 (الخضراء) المنطقة الخضراء الداكنة تمثل البرية حيث الزراعة الغير ربحية forest for fuel;

3 (الصفراء) محصولات الحقل؛

4 (الحمراء) المواشي؛ العائد،



(Peet Richard J. 1969, pp 283-301)

أنجزه الاقتصاديون الألمان أمثال(Johann Heinrich Von Thünen) "فون ثونن" و"أ. ويبر"، حيث يفسرون الاهتمام بدراسة الموقع، بتأكيد دور هذا الأخير خاصة بالنسبة للصناعة الثقيلة التي تسعى إلى الاستقرار في الأمكنة التي يسمح فيها النقل بواسطة السكك الحديدية بالاتصال بين أماكن إنتاج المواد الخام والطاقة ومعامل التصنيع، حيث يمكن لتلك الصناعات أن تستقر في مكان يتم فيه الضغط على التكاليف حتى أدنى حد ممكن

(البحث عن اليد العاملة الرخيصة أو عن الاسواق أو الامتيازات الضرائبية)، ومن ثم، يكون الهدف من جغرافية النقل البحث في بنية المنظومة وطريقة اشتغالها سعيا وراء تذليل القيود والتحديات، بغية بناء جسم متناغم يساير التطور ويُهيكل المشهد بشكل ضامن للتنمية المتوازنة والمستدامة. (شكل رقم: 2. نموذج فون ثونن)

1.2 البحث عن التبادل والتكامل التجاري

اعتمد الانسان في بداية تنقلاته، بحثا عن المواد الغذائية، وهروبا من المخاطر، على طاقة عضلاته وطاقة الحيوانات التي دجنها وسخرها في ممارسة أنشطته الرعي-زراعية، قبل الاستعانة بالطاقة الريحية والمائية في النقل والتنقل. غير أن مجال تحركاته ظل محدودا إلى أن اكتشف العجلة حوالي سنة 3000 قبل الميلاد. حيث أدى هذا الاكتشاف إلى انتشار العربة وارتفاع سرعة النقل والتنقل، مما مهد لاكتشاف وانتشار طرق صهر الحديد واكتشاف المحركات وتعويض الطاقة البشرية والحيوانية بالطاقة الصناعية، الشيء الذي فتح باب الثورة الصناعية وباب التبادلات التجارية الإقليمية فالدولية، وأثر على تحركات السكان وتعمير العديد من المناطق في أنحاء المعمور.

2.2 النقل عامل اقتصادي حاسم

تقوم مجمل القطاعات الاقتصادية على قاعدتين: استغلال المواد الأولية وتحويلها، ثم التسويق وتشجيع الاستهلاك والتبادل. وقد يتوفر كل مجال على العاملين، لكن وفي أغلب الحالات يحتاج الفاعلون إلى نقل المواد الأولية إلى حيث تتوفر الأموال والمصانع، إن لم تظهر هذه الأخيرة بالقرب من المواد الأولية أو حيث تتوفر اليد العاملة، أو نقل المنتجات إلى حيث تتوفر الأسواق وإمكانات التبادل. وتؤدي الحركات هذه إلى تطوير شبكات نقل متنوعة

الأصناف ومتكاملة الأطراف في غالب الأحيان (موانئ، مطارات، سكك حديدية، انابيب، طرق...). وتعمل هذه الشبكات على تنظيم المجال بشكل يتناغم وحاجيات الاقتصاد السائد (زراعة، صناعة، تجارة، سياحة...). ويعتبر عامل النقل من الإكراهات الأساسية التي تواجه العديد من اقتصاديات دول العالم التي تعيش في تبعية للأساطيل الأجنبية المستأجرة، بالنظر لعدم توفرها على شواطئ، أو لانتشار الصحاري أو الغابات على جل أراضيها، أو لافتقارها إلى الموارد المالية... ومن تم ظهرت دول وشركات متخصصة في ميدان من ميادين النقل الدولي كخدمة.

3.2 الأغراض السياسية والعسكرية

بازدياد حاجيات المقاولات الصناعية إلى المواد الأولية والأسواق لتصريف البضائع بدأ التهافت على المستعمرات، فاشتدت المنافسة على المجالات الغنية بهذه المواد وعلى المجالات الآهلة بالسكان والمواقع الاستراتيجية على الطرق المؤدية اليها (ممر جبل طارق، رأس الرجاء الصالح، باب المندب، البحر الأحمر، ممر بناما، ممر البوسفور...). فازدادت أهمية النقل في غزو المواقع وحمايتها، وظهرت أهمية الطرق التجارية العالمية (طريق الحرير، طريق العبيد، طريق الذهب، طرق النفط والغاز...) وضرورة تطوير النقل كوسيلة استراتيجية سريعة وهامة لنقل الجنود، وللضغط على التكلفة والمسافات الطوال (البواخر الكبرى، الأنابيب، الطائرات...). إلا أن هذه الشبكات اضطرت في أغلب الحالات أن تواجه العقبات التي تمثلها الحدود السياسية والإدارية القائمة، مما أفضى إلى منافسات ونزاعات اندلعت على إثرها حروب استعمارية، وتلتها حروب عالمية. وتعتبر المعابر البحرية والمواقع الغنية بالموارد الطبيعية والبشرية، من أهم المواقع القابلة للاشتعال في العالم. وتحتد فيها الصراعات، المفتوحة حينا والباردة أحينا أخرى. وهي نفسها الصراعات التي كونت خلفية للعلاقات الدولية ابتداء من القرن الثامن عشر وإلى يومنا هذا (جزيرة القرم والبحر الأسود...).

4.2 النقل الحضري والحركات المكوكية للسكان

فرض تمركز السكان والخدمات المرتبطة بعُقد النقل أو الأماكن التي استفادت من موقعها الجغرافي أو موضعها الاستراتيجي، لتطوير أجهزتها الحضرية وفرض هيمنتها الاقتصادية على المجالات الجغرافية المحيطة، فتزايد حجمها وتوسع إشعاعها الاقتصادي والترابي، مما فرض على الجزء الكبير من سكانها اللجوء إلى حركات مكوكية يومية

(mouvements pendulaires) دائمة، بين مجالات العمل ومجالات الإسكان والترفيه، وحركة دائمة بين أطراف الحواضر المترامية، ومراكزها. وهي وضعية تزداد تعقيدا عندما تتخصص بعضها في أداء وظائف معينة (مدن إدارية، مدن ثقافية، مدن صناعية...). مما فرض تنامي العلاقات التكاملية والتنقلات المكوكية بينها (الرباط والدار البيضاء، الرباط وسلا والقنيطرة) أو في الأوضاع التي تهم ساكنة الحدود بين الدول، والذين تضطرهم ظروف العمل والسكن إلى اجتياز الحدود يوميا (سبتة، مليلية، الحدود الفرنسية الألمانية، المكسيك والولايات المتحدة...) مما يفرض على السلطات، زيادة على تدبير حركة وتنقل البشر والسلع، توفير التجهيزات اللازمة لاستيعاب التيارات والتدفقات المختلفة وضمان انسيابها وأمنها (نقل عمومي، نقل خاص، مرائب، محطات التزود بالوقود، المراقبة الجمركية، السلامة والأمن، المصارف ...)؛

بناء على ما سلف، فإن النقل بأبعاده المختلفة والمعقدة، يعتبر إحدى أهم الإشكالات التي ترهق السلطات المختلفة ومجمل الفاعلين في ميدان التدبير (السكان، المنتخبون، التقنيون الفنيون والمخططون، الاداريون، الأمن...)

5.2 النقل وأهميته في السياحة والترفيه

أدى تطور نمط عيش السكان وتعقد أساليب حياتهم إلى تنامي الحاجة إلى قضاء فترات من وقتهم في البحث عن الراحة والاسترخاء بعيدا عن الضوضاء والازدحام وصخب حياة المدن. فنجم عن ذلك ظهور وتنامي طلب ازداد حجمه ونوعيته بتطور عيش السكان. حيث أصبح هؤلاء يبحثون أكثر فأكثر عن مواقع تستجيب لأحلامهم، فُرادى أو جماعات، وإن كلفهم ذلك أعباء السفر إلى أقصى أصقاع العالم، واللجوء إلى القروض، أو التوفير طيلة سنة كاملة، أو البحث عن الرحلات الجماعية الرخيصة. حيث يبحث الجميع على البديل في أماكن تُوفر العودة إلى الطبيعة والحرارة البشرية، وتسمح بنسج العلاقات المفقودة. ويُعتقد أن الراحة المرتقبة أو المُتَخيلة، تتوفر في "المجالات العذراء"، والمواقع الأثرية، والمعابد الدينية، والأديرة، والمدن القديمة والجبال، والواحات، والجزر، والبحار، والصحاري...

وتلبية للعرض الضخم والمتنوع، تنافس المنعشون على استدراج الزبائن بتسخير كل الوسائل (الإشهار، النقل الراقي، الإقامة الفارهة، تنافسية الاثمنة، التنشيط ....) تبعا لمتطلبات شرائح زبناء السياحة العالمية (شباب، كهول، شيوخ، رحلات جماعية، فردية،

ثقافية، رياضية استكشافية...). مما أفضى إلى تنامي تيارات سكانية، استجابت لها وسائل النقل والترفيه بشكل يثير الانتباه (ظهور وكالات تسهر على تنظيم رحلات إلى الديار المقدسة، زيارات المعارض، تنظيم الملتقيات العلمية والفنية، السياحية الصحية...). ساهم كل ذلك في تنامي حركات النقل وفي تنقلات ساهمت بدورها في تنامي مواقع ذات شهرة عالمية في ميادين مختلفة ونسج علاقات جديدة بين سكان المعمور.

3. وسائل النقل وسياقاتها

تُوسم تنقلات السكان والبضائع والأموال والأخبار ... فضاءاتها بحركات مرور (تدفقات) تختلف كثافتها وحجمها وتواترها في الزمان والمكان. وتتطلب هذه الرحلات استخدام وسائل نقل متكاملة قصد تسهيل حركاتها، كالطرق والسكك الحديدية والممرات المائية والجوية وخطوط الأنابيب وغيرها، بالإضافة إلى مرافق ومحطات للشحن والافراغ، ضامنة للخدمات الضرورية. وتشتغل كل هذه المصالح كمنظومة تساهم في خلق دينامية اجتماعية مجالية ذات تأثير قوي على المشهد وعناصره. حيث تشكل نقط الاتصال عقدا وأنوية لنشأة مراكز تتفرع منها شبكات نقل تصنف حسب وسائل النقل وطبيعة المنقول السائد، إلى أربعة أصناف:

- صنف 1: يعتمد الأشخاص أساسا في تنقلاتهم على الطرق البرية والسكك الحديدية والطائرات...
- صنف 2: تنقل البضائع والمواد الأولية والمحروقات العابرة للقارات باستعمال الحاويات، وحملها على البواخر والسكك الحديدية، أو استعمال الأنابيب؛
- صنف 3: يعتمد النقل الحضري، ويرتكز أساسا على السيارات الفردية والحافلات العمومية والقاطرات المكوكية؛
- صنف 4: يعتمد أساسا، على نقل الصور والأخبار بواسطة وسائل الاتصال الهوائي والاقمار الصناعية؛

ويسعى المهتمون بالنقل إلى منح جاذبية لهذه الوسائل، بالتنسيق فيما بينها وإنشاء مركبات متخصصة، وزيادة قدرتها، وإنشاء البنى التحتية وفواصل التحميل، وتحديد أوقات الرحلات وتكلفة النقل، وتسهيل طرق الأداء، قصد تحفيز الأشخاص على التنقل والحركة.

1.3 النقل البري

تعتبر شبكات النقل البري بكل أطيافها أوسع شبكة وأكثرها شيوعا وأقربها لعامة أفراد المجتمع بدون استثناء. وتتكون من ثلاثة فصائل، ما لم نَعُد الخطوط الحاملة للكهرباء والهواتف: الطرق، السكك الحديدية والأنابيب.

1.1.3- شبكة النقل على الطرق

تعتبر مجمل الطرق البرية من صنع الانسان. وتتكون من الشبكة نفسها وما يستلزم استغلالها من أعمال فنية مثل القنوات والجسور والطرق المعلقة وشبكات التيار الكهربائي. ولكي تكون ذات مردودية محترمة، تحتاج الطرق، خصوصا بالمجالات المعقدة جيولوجيا أو طبوغرافيا، أو بيو-مناخيا إلى استثمارات ضخمة، إن أثناء الإنشاء أو أثناء الصيانة الدورية. ورغم السيطرة النسبية على الآفات الطرقية، فإنها تتعرض لضغوطات العوامل الطبيعية من اهتزازت وتصدعات وانهيارات وعواصف... خصوصا بالأقاليم التي تعرف التساقطات الغزيرة أو التي تشهد العواصف الرملية أو الانزلاقات الطينية، مما يقتضي البحث المتواصل، إن على مستوى رسم الطرق أو العربات التي تستغلها وحجم شحنها. وتصنف الطرق حسب مواصفاتها الفنية إلى طرق سريعة، طرق سيارة، طرق وطنية، طرق إقليمية ثم طرق ثانوية وثلاثية. كما تصنف الدول حسب أهمية كثافة شبكة طرقها ومواصفات هذه الأخيرة.

ويعتبر تدني مستوى شبكة الطرق ببلدان العالم الثالث أهم مؤشر لتخلفها الاقتصادي الاجتماعي. (خريطة الطرق بشمال المغرب)



خريطة الطرق بشمال المغرب

كما يعد الاستعمال الكثيف للسيارة مؤشرا لمستوى عيش السكان. هذا وقد أدى اكتشاف العجلة واستخدام الوقود الأحفوري إلى انتشار استعمال كثيف للعربات واعتبارها عنوانا لرفاه البشرية. وسهل التحكم في تغيير أحجامها وأحجام حمولتها وسرعة انتقالها وإمكانية اختراقها (pénétration) لكل الأصقاع، كأهم وسيلة يصعب الاستغناء عنها في التنقل على المسافات القصيرة برا، رغم تكلفتها الباهظة، مقارنة بالحمولة ومقارنة بوسائل النقل البري الجماعية.

2.1.3- شبكة السكك الحديدية

تعتبر شبكة النقل على السكك الحديدية ثورة هامة في تاريخ البشرية، إن على مستوى القوة والسرعة أو على مستوى حجم الحمولة وتنوع مكوناتها (معدات، بضائع، مواد أولية، بشر، حيوانات...) أو على مستوى التكلفة وطول المسافات التي تقطعها، أو على مستوى العلاقات التجارية والاجتماعية التي تنسجها بين الأقاليم أو البلدان المختلفة، حيث ساهمت

السكك الحديدية وفي تكامل شبه تام مع الطرق البحرية، والطرق البرية، في بناء انظمة الأنشطة الإنتاجية للصناعة والزراعة والتجارة، وفي اكتشاف عدد من الأراضي البكر على مستوى سطح الأرض، إلى حد يصدق فيه القول "بأن تقدم الأمة يقاس بطول خطوط سككها الحديدية". عرف النقل على السكك الحديدية تطورا هاما، حيث انتقل بعد اكتشاف العجلة واستعمال القضبان الحديدية، من استعمال القوة العضلية في الدفع (استخرج المعادن من المناجم تقليديا) إلى استعمال الفحم والبخار، فالطاقة الكهربائية والذرية. وانتقلت سرعة القاطرات من بضع الكيلومترات في الساعة في نهاية القرن 19 إلى أزيد من 250كلم في المعدل حاليا (القطارات فائقة السرعة أو النفاثة). ومنها تحديث شبكة السكك الحديدية محطات القطار بالمغرب التي ربطت بين معظم الجهات وتزايد حجم حمولتها من الأشخاص والبضائع، (صورة محطة طنجة المدينة. بعدسة موسى كرزازي. 12-7-2025) مما زاد من قوة تأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية والترابية والسياسية، حيث أصبحت لها الأولوية في الربط بين العواصم الكبرى وبين المناجم والمراكز الصناعية والموانئ، متخطية كل الحواجز الطبيعية، من تضاريس وأنهار ومستنقعات (استعمال الجسور والانفاق)، وأحيانا حتى السياسية، (الخطوط العابرة للقارات)، رغم كلفة إنجازها.

مما مكن من زيادة السرعة وحجم المنقولات ومن الدقة في ضبط المواعيد وتأمين نقل الأشخاص وحفظ البضائع من الاتلاف، خصوصا بعد استعمال نظام الصندقة (container)، مما سهل عمليات الشحن والتفريغ بسرعة دون إتلافها، وبأقل عدد من العمال... لمسافات طويلة وبأقل تكلفة وفي منتهى الراحة، (مكيفة، قلة الضوضاء، مجهزة بجميع وسائل الراحة). تجهيز المحطات النهائية بآليات تسمح بالشحن والتفريغ وبالمخازن الضرورية لكل بضاعة، دون عناء.



نجحت السكك الحديدية في مواجهة وسائل النقل المتنوعة رغم منافسة النقل الجوي والبري في ميدان نقل الركاب. وقد تحولت شركات السكك الحديدية في بعض الدول إلى تكتلات، تملك زيادة على القاطرات والخطوط السككية، معامل لصنع العربات والمحركات وعددا كبيرا من السيارات السياحية وفنادق ومراكز للتكوين. وتشغل جحافل من العمال

والفنيين والموظفين (500 ألف شخص في فرنسا). وتحتل الولايات المتحدة وروسيا وكندا والهند المراتب الأولى تِباعا، من حيث طول خطوطها السككية.

3.1.3- خطوط النقل عبر الأنابيب

يطلق الخط على مجموعة من الأنابيب (pipeline) المركبة على قواعد خاصة حسب مواصفات محددة لتكون وسيطا مغلقا تمر عبره مادة سائلة كالنفط والغاز والماء، أو كيماوية مستقرة أو بعض المواد الصلبة مثل الحبوب. وتُنقل هذه المواد تحت الضغط من منطقة انتاجها أو تحويلها إلى مناطق الاستهلاك، أو من قاعدة بحرية نحو الموانئ. وتختلف مواد تصنيع الأنابيب (المواد المعدنية كالألمنيوم والفولاذ والبلاستيك والخرسانة)، حسب سرعة تدفق المنقول وضغط التشغيل ونوعية المواد المنقولة. وتصاحب هذه الأنابيب أجهزة للضخ والمراقبة، وأخرى للتحكم ضمانا لسلامتها وأمنها وأمن بيئتها من خطورة الآفات التي قد يتسبب فيها تسرب المواد المنقولة إلى محيطها. لذا، تخضع إقامة منشئاتها لقوانين صارمة، تسبقها دراسات دقيقة للوقع على البيئة والاقتصاد والإنسان، ليس فقط وفق ما تقتضيه المصلحة الاقتصادية للشركات المستغلة، بل أيضا طبقا لمتطلبات استدامة بيئة منطقة مرورها.

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أول من استخدم الأنابيب في نقل البترول. وتمتلك في الوقت الحاضر أضخم شبكة خطوط الأنابيب المخصصة لنقل البترول والغاز الطبيعي في العالم، نظرا الي طول المسافات الفاصلة بين حقول الانتاج الرئيسية في ولاية كاليفورنيا شرقا وولاية ألاسكا شمالا، بالنسبة لمناطق الاستهلاك الرئيسية خاصة في الشمال الغربي وحول البحيرات العظمى. ويبلغ طول شبكة خطوط أنابيب نقل البترول ومشتقاته، بها، 320ألف كلم، في حين يبلغ طول أنابيب نقل الغاز الطبيعي نحو 960ألف كلم. وتتبعها في ذلك روسيا والصين. ويعتمد بترول وغاز الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في جزء كبير منه على أنابيب عابرة لعدد من الدول، بل والقارات (المغرب، لبنان، سوريا، مصر، دول البلطيق...). ونظرا لأهمية هذه التكنولوجية في تقوية العلاقات الاقتصادية، فقد سعى المغرب ونيجيريا إلى برمجة مشروع أنبوب طموح بينهما، كما بدأ التخطيط لأنبوب ثاني يربط نيجيريا بأوروبا عبر المغرب، لاحتواء الأزمة التي تسبب فيها انقطاع العلاقة بين المغرب والجزائر واندلاع الحرب الأكرانية –الروسية الحالية (2022).

- إن هذه الأنابيب، وإن كانت من الناحية الاقتصادية تساهم وبفعالية في دعم مداخيل الاقتصاد المحلي لبعض دول المرور (rentes)، تستوجب ربط إيراداتها بالتنمية المحلية المستدامة، وتحويلها إلى استثمارات إضافية ومستقلة، بدل رهن الاقتصاد بالاعتماد المباشر والكلي عليها، مما يتسبب في تهديد دائم للاستقرار العالمي بفعل المصاعب الطبيعية (ارتفاع المدى الحراري، خطر الانجرافات...) أو البشرية (اعتداءات، حروب، قلاقل سياسية...) وما قد يخلفه انقطاع الإمدادات من ارتفاع للأسعار، وما يترتب عن ذلك من انكماش الاقتصاد (حرب روسيا/ أكرانيا؛ صراع المغرب / الجزائر...)



- بجانب خطوط الأنابيب الناقلة للمحروقات، تعتبر مشاكل انتاج الماء الصالح للشرب وتوصيلها إلى المستهلك وتوزيعها من المشاريع الاستراتيجية التي تسهر عليها كل دولة بالنظر لحيويتها. حيث تقوم أغلبية البلدان ببناء السدود وبالبحث عن المياه الجوفية وتخزينها بعد معالجتها بغية ضمان تمويل منتظم للمنشئات العمرانية والاقتصادية بحاجياتها. وتعتبر تلك الشبكات، ذات أهمية بالغة، أكثر من أي مادة أخرى (أنابيب نقل المياه بمصر، صورة رقم 4). وقد تزداد هذه الأهمية بتواتر سنوات الجفاف واتساع رقعته، في وقت ازدادت الحاجيات، وهي عوامل دفعت الكثير من الدول إلى اللجوء إلى تحلية مياه البحار أو معالجة المياه العديمة (المغرب).

- أدى تمركز السكان في بعض بقاع العالم داخل مراكز حضرية عملاقة إلى تزايد الحاجة إلى الماء الصالح للشرب، وتزايد الحاجة إلى معالجة المياه العديمة بالنظر لحجمها، وحماية للبيئات المستقبلة لها، وبغية الاستفادة من تدويرها. مما حتم اللجوء إلى شبكة أنابيب يزداد طولها يوما بعد يوم، لنقل هذه المياه نحو أحواض الاستقبال أو نحو المحطات المعدة للمعالجة وأماكن الاستهلاك. وهي شبكة ذات مواصفات خاصة بالنظر لحمولة تلك المياه من المواد الكيماوية والعضوية.

- يعتبر مشروع النهر العظيم في ليبيا أهم مشروع لنقل المياه بالأنابيب في العالم. وقد شرع العمل فيه عام 1985 واستمر 25 عاماً أخرى. ويطمح إلى نقل مليوني م^3 من المياه يومياً لمسافة تناهز 1200كم. وقدرت تكلفته الإجمالية بما يناهز 14 مليار دولار أمريكي. وقد لقي انتقادات كثيرة من المنظمات الايكولوجية، لكن أهميته الاستراتيجية والسياسية، لا تخفى على أحد (تمويل المراكز الشاطئية بالماء). وهي ذاتها الدوافع التي كانت وراء نقل المياه من حوض سبو، حيث يتوفر فائض، إلى جهة الشاوية، التي تشكو من الخصاص، عبر سد سيدي محمد بن عبد الله على وادي أبي رقراق التذبذبات الموسمية للصبيب.

2.3 النقل النهري والبحري

- النقل النهري

استفاد الانسان في تحركاته، منذ القدم، من المؤهلات التي وفرتها الطبيعة، كالمنحدرات والمسطحات المائية والجليدية، وسخرها كما سخر الحيوانات في نقل المواد الأولية والمستهلكات بواسطة القوارب والزوارق؛ وكونت له الأنهار الهادئة (النيل، الفرات، الكونغو، الأمازون ...) ملاذا في تنقلاته وفي البحث عن مصادر قوته. وتكون هذه المجاري المائية طرقا طبيعية، قد لا تحتاج إلى رسم أو تخطيط أو هندسة، شريطة أن يتميز مجراها بعمق يسمح بالملاحة ويكون صبيبها قويا ومنتظما، حيث تتحرك فيها القوارب والزوارق مستخدمة طاقة المياه الجارية في اتجاه المصب. وقد لجأ المرء قديما إلى استعمال طاقته العضلية أو إلى الاستعانة بالطاقة الريحية في توجيه الزوارق أو العودة بها نحو العالية، غير أن اكتشاف واستعمال مصادر الطاقة الأحفورية عوض كل ذلك.

تخضع هذه الحركات لتقلبات منسوب جريان الأنهار (شح، فيضانات، جليد) وللعقبات التضاريسية التي قد تمثلها اختلافات العمق والانقطاعات في الانحدار (المساقط). مما استلزم

تدخل الدول التي تعتمد على هذه الوسيلة في النقل، إما بإصلاح جنبات الأنهار وتصحيح مسارها، أو حفر القنوات وتوسيع المجاري وإنشاء السدود لتنظيم الملاحة (قناة السويس، قناة بناما...) كما زودت السفن والزوارق بمحركات صغيرة ضمانا لنقل البضائع والركاب، وتزويد المدن القائمة على الضفاف والمصانع بحاجياتها في ظروف جيدة وبسرعة. وتعتبر الأنهار أكثر أنواع النقل البري ملاءمة للسلع ذات الأحجام الكبيرة والأوزان الثقيلة، كالحديد والفحم والإسمنت والخشب... رغم أهمية وتنوع العوائق الطبيعية الملازمة لهذه الحركة (طول المسارات، التذبذبات الموسمي للصبيب، بطء التنقل...)

وتتوفر بعض مناطق العالم على شبكة متطورة من النقل النهري، زادتها تدخلات الفاعلين الاقتصاديين والسياسيين شأنا، كما هو الحال في محور الفُولكَا في روسيا، ومحور الراين - الدانوب في أوروبا، ومحور البحيرات الكبرى ونهر سان لورنس في أمريكا الشمالية، ومحور الأمازون في أمريكا الجنوبية، ومحوري الكونغو والنيل في إفريقيا، ومحور النهر الأصفر في الصين، حيث تم ربط هذه المحاور بمرافئ السكك الحديدية والطرق البرية أو بالموانئ البحرية، مما استدعي تنسيقا محكما وتدبيرا دوليا معقدا.

- النقل البحري

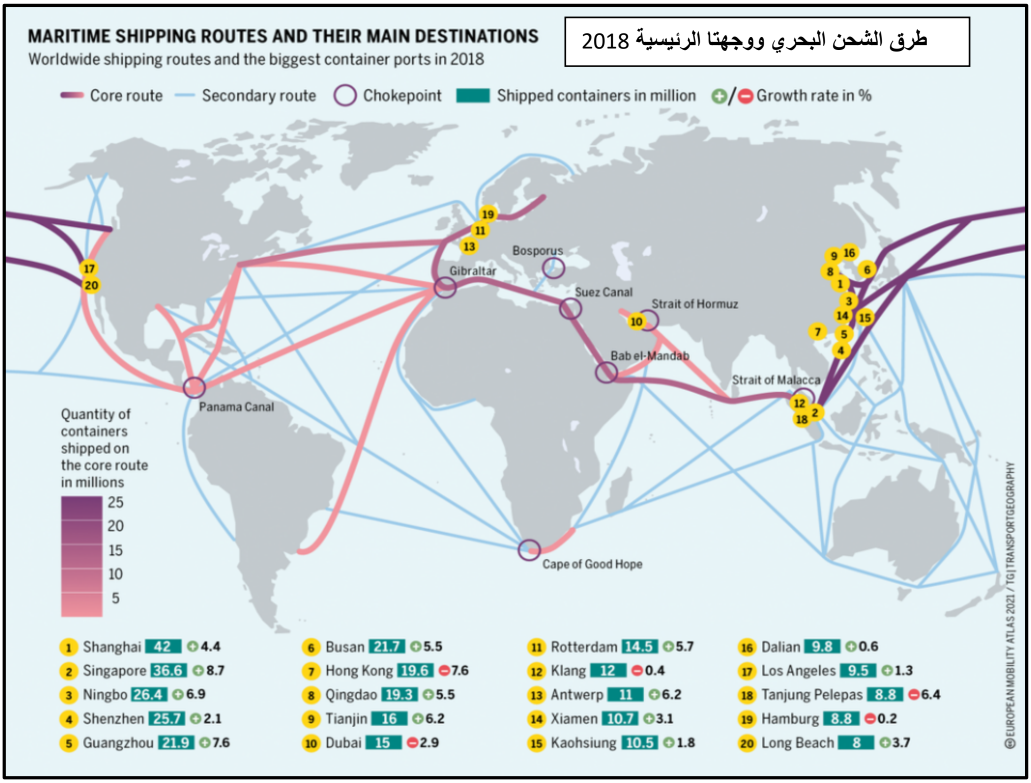
يعتبر النقل عبر المسطحات المائية للمحيطات والبحار من أقدم وسائل النقل الثقيل المعروفة لدى البشرية. وقد احتفظ النقل البحري بحيويته على مستوى نقل البضائع ذات الحجم الكبير والوزن الثقيل. كما استأثر بقسط كبير من حصة نقل الركاب لمسافات بعيدة، حيث لازالت البحار والمحيطات مليئة بحركة البواخر والسفن المجهزة بالآليات الحديثة، رغم المنافسة القوية التي يمارسها النقل البري والجوي في هذا المضمار. ويمثل النقل البحري 77% من أوزان التجارة العالمية، و68% من قيمتها الاجمالية، مقابل فقط 31.5% للنقل البري بجميع أصنافه. وترجع هذه الأهمية إلى دور المبادلات التجارية العالمية في تنشيط الاقتصاد، حيث تستورد البلدان المصنعة (الولايات المتحدة، أوروبا الغربية، بلدان شرق آسيا الصناعية) المواد الخام والطاقة وتصدر البضائع المصنعة وبعض المنتوجات الفلاحية (الحبوب واللحوم، منتوجات الصيد البحري). عرف النقل البحري تطورات مضطردة وسريعة، حيث تحولت وسائله من القوارب الخشبية الصغيرة إلى السفن الشراعية. وقد مكن ادخال الحديد في صنع البواخر الكبرى والاعتماد على البخار ثم الكهرباء كمصادر لطاقة

الدفع فيها، من التحكم في سرعة التنقل والتغلب على المعيقات الطبيعية والمخاطر، وفي الزيادة في حجم ووزن الحمولة.

بموازاة هذه التحسينات التي ساندتها الثورة الصناعية خلال القرن 19، زاد التنسيق في ميدان النقل والمبادلات بين البر والبحر من أهمية هذه التطورات، حيث أدت الاكتشافات والتوسعات الاستعمارية إلى تطوير المبادلات وتزويد الصناعات الغربية بحاجياتها من المواد الأولية والمنتوجات المدارية، فتم التنسيق بين البر والبحر بإنشاء مركبات وموانئ كبرى مجهزة بوسائل الشحن والافراغ السريعة ووسائل التخزين ومصانع التحويل. وتبين الخريطة (النقل البحري عبر العالم، خريطة رقم 5) أعلاه الأهمية الاستراتيجية لبعض الدول التي تهيمن على هذه الموارد أو على تجارتها.

ورغم المجهودات المبذولة لأنشاء قنوات كبرى بين المحيطات (قناة سويس، 164 كلم، بين 1859 و1869؛ قناة بناما، 77كلم، بين 1904 و1914) فقد طورت بعض الدول (ليبريا، اليابان، النرويج، بريطانيا والولايات المتحدة...) التي تملك وحدها قرابة 66% من جملة الحمولة العالمية، ناقلات عملاقة تصل حمولتها إلى أزيد من 500 ألف طن، محتكرة بذلك ميدان نقل المعدات ومواد الطاقة والبضائع والخامات المعدنية. وهي سفن قد لا ترسو إلا بالموانئ المجهزة بآليات الشحن والتفريغ السريع (الرافعات، الصندقة، ووسائل التبريد[2]). وتلجأ عند الضرورة إلى أداء خدمة الشحن والتفريغ عن بُعد عن طريق استعمال الأنابيب العائمة والأنابيب البرية، مما مكنها من الحفاظ على تنافسيتها وتخفيض تكاليف النقل على المسافات الطوال (المرور بمضيق رأس الرجاء الصالح).

[2] - عكس اليابان، حيث يمثل الأسطول التجاري 63%، تمثل سفن صيد الأسماك 27% من حمولة مجمل اسطول روسيا و52% من مجموع حمولة اسطول الصيد العالمي (المرتبة الثانية ب 4 ملايين طنا) ، بينما لا تمثل سفن نقل البضائع سوى 40%



كما تم تطوير سفن عملاقة تقوم بنقل الركاب والبضائع والتجوال في أعالي البحار ولفترات طوال عبر خطوط ملاحية منتظمة بين الدول والقارات. وتراعى في هذه السفن، فخامة ووسائل الرفاه والترفيه قدر الإمكان. وهناك سفن أقل حجما لنقل الركاب عبر المضايق (البوسفور والدردنيل بين تركيا وأوروبا، وجبل طارق بين اسبانيا والمغرب...) أو عبر بحر المانش بين فرنسا وإنكلترا أو داخل بحر قزوين. وسفن تجارية صغيرة ومتوسطة، تقوم بنقل البضائع تبعا للطلب ("متسكعة")، حيث تعمل بالتعاقد، وتجوب مجمل بحار العالم وموانئه، تبعا للطلب ودون التقيد بمواعيد معينة ومسبقة ولا ببضاعة خاصة.

تتباين مواقع الدول الاقتصادية بتباين مساهمتها في التجارة الداخلية والعالمية. فحمولة الأساطيل وكمية التجارة الداخلة والخارجة من الموانئ تؤشر، وبشكل كبير، على مدى التحكم في الإنتاج والتصنيع وغزو الأسواق الخارجية، علما منا أن بعض الدول تعتمد كثيرا على عائدات خدمة النقل في تحقيق توازناتها التجارية، وهو عامل يعتمد على الموقع بالنسبة

للطرق التجارية العالمية، وعلى امتلاك قواعد وموانئ ومرافئ مجهزة لاستقبال السفن العالمية وضمان تفريغها وشحنها بسرعة وفي أمن وأمان، وامتلاك سفن وبواخر يمكن ريعها من الحصول على العملة الصعبة.


ميناء طنجة المتوسط،
أهمية آليات الشحن والتفريغ وامكانات التخزين
Source : Aujourd'hui le Maroc, janvier 2022

وقد يلاحظ تخصص لبعض الموانئ في أداء وظائف معينة في وقت ما، كالموانئ الحربية أو موانئ صيد الأسماك وتحويلها (أكادير، أسفي، الصويرة، طانطان ...) وموانئ معالجة الفوسفاط وتصديره (الجرف الاصفر) أو استقبال النفط وتكريره (المحمدية، موانئ الخليج العربي...)، وموانئ العبور (ميناء الناضور، جبل طارق)، وقد تتطور وظائفها لتتعدد بتغير الحاجة والإمكانات التقنية (**ميناء طنجة المتوسط**). عموما، تبرز خريطة توزيع هذه المنشئات أهمية حوض البحر الأبيض المتوسط كوسط العقد في التجارة العالمية وأمريكا الشمالية وآسيا كقطبين شرقا وغربا.

3.3 النقل الجوي

تحدى النقل الجوي العوائق الطبيعية كالتضاريس والرياح والبحار، حيث أضحت الطائرة تقطع المسافات الطوال لتصل بين أصقاع متباعدة من العالم، وفي زمن لا يتجاوز بضع ساعات. وهو حلم راود الإنسانية منذ القدم ولم يتحقق سوى في بداية القرن العشرين (1919)، حيث تمت أول رحلة جوية عبر المحيط الأطلسي في 16 ساعة، ثم أولى رحلة حول العالم 1924، قبل أن تتواصل الجهود للقيام بتحسينات وتعديلات، إن على المستوى التقني

باستخدام المحركات النفاثة المعتمدة على نفط "الكيروزين"، أو مكونات هيكل الطائرات للتقليل من ضوضائها واهتزازاتها، بالإضافة إلى تجهيزها بآلات إلكترونية لتسهيل القيادة والإقلاع والهبوط بسلام، وضمان جودة الخدمات المقدمة للركاب، حرصا على راحتهم. كما تم التدخل على مستوى حجم المنقولات وأمنها، حتى تكون الطائرة في مستوى منافسة وسائل النقل البرية والبحرية.

ورغم ما حققه النقل الجوي من تقدم، فأغلبية حركات الطيران لا زالت تتمركز وبكثافة في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية. بل أن كُبريات الخطوط الجوية تتمركز في نطاق التبادل الكثيف للنقل البري والبحري الرئيسية لأوروبا والشرق الأوسط والهند والصين والشرق



الأقصى وأمريكا الشمالية. (**خريطة أهم المطارات العالمية.**) وهي المجالات المكونة لمناطق التكامل الاقتصادي العالمي. بينما ظهر تغيير واضح على مستوى شبكة الخطوط الجوية الداخلية، خصوصا داخل البلدان التي تتميز بشساعة مساحتها، كروسيا والصين وكندا وأستراليا والبرازيل. حيث ظهرت خطوط تشتغل في ميدان نقل الركاب او الإسعاف والاستكشاف، قبل أن تتطور لتغزو ميادين الفلاحة والسياحية والصحة.

وكنتيجة لكثافة الحركة، فقد ظهرت مطارات دولية تلعب دور العقد كما يبدو على الخريطة (بكين، باريس، فرانكفورت، أمستردام، نيويورك، القاهرة، دبي، سدني، الدار

البيضاء...)، ومطارات إقليمية، ووطنية. **(صورة مطار بكين)** وظهرت شركات متخصصة في الميدان، وتشكلت في "اتحاد دولي لتنظيم حركة الطيران العالمي". وأصدرت قوانين دولية للملاحة الجوية، تساندها في مهمتها هيئات، مثل المنظمة العالمية للأرصاد الجوية.



لقد أدى النقل الجوي إلى تقريب مسافات جغرافية وإنسانية لم يكن أحد يحلم بها قبل حوالي قرنين من الزمن. وخُفضت تكاليف النقل أحيانا إلى مستويات يصعب تخيلها. مما جعل من الطائرة وسيلة نقل في متناول الجماهير الواسعة. دون أن يعني ذلك أن كل العراقيل ذُللت، حيث ظلت الطائرة من الوسائل المستهلكة للكثير من الطاقة، مقارنة مع الوسائل الأخرى. كما أنها ظلت تخشى التقلبات المناخية القوية مثل العواصف والضباب الكثيف. كما أن ضرورة انشاء المطارات خارج التجمعات البشرية الكبرى جعل وصول المسافرين اليها، ذهابا وإيابا، يكلف أحيانا أكثر مما تتطلبه الرحلة من الوقت والمال، الشي الذي يفقد النقل الجوي الكثير من مميزاته، خصوصا في المسافات القصيرة.

4.3 الاتصال والمواصلات

يُعد نقل الخبر من أهم عوامل نسج العلاقات بين المجتمعات. حيث كان الانسان في القدم ينتقل من مكان إلى مكان مشيا على الأقدام أو على صهوة جواده أو بغله، حاملا معه رسائل شفوية أو مكتوبة إلى من يهمهم الأمر، قبل أن يوصلوها بدورهم إلى الخاصة أو تُشاع بين العامة في المحافل أو الجموع التي تعقد لمناسبة أو أخرى، إن كان الخبر يهمها (استعمال البراح أو الدعاة...). وقد تعددت الوسائط المستعملة واتخذت أشكالا مختلفة بتطور البشرية. واعتبرت الطرق الشفهية من أهم وسائل نقل المعلومة بالنظر لمواكبتها للحياة اليومية لكل المجتمعات، وسرعة انتشارها حتى قبل أن تنتشر الكتابة وتعم الرسائل المكتوبة، ويستدعي تداولها انشاء مؤسسات خاصة أو شركات تتكفل بنقل البريد والطرود، وبعدها العملات النقدية محليا وإقليميا فدوليا.

تطورت وسائل المواصلات من الرسل إلى العربات والسكك الحديدية والبواخر ثم الطائرات قبل حلول البرق وشبكات الأنترنيت واستعمال الأقمار الصناعية، رغم وفاء بعض القطاعات مثل الرسائل الديبلوماسية السرية للنهج التقليدي المعتمد على الاتصال الشخصي المباشر (الرسل والمبعوثين بين الرؤساء والزعماء والقادة)، واحتفاظ بعض المناطق المعزولة بأنماط من التواصل التقليدي (بعض الجزر والجبال والمجالات التي تغطيها الأدغال...)، مما يعمق من عزلتها. هكذا وإلى عهد قريب، ظل بعض السكان يستعملون الإشارات مثل العاكس الضوئي أو الدخان وإضرام النار أو الصفير لنقل الخبر (بلوغ القوافل، حلول الأعياد...).

شهدت العقود الأخيرة ثورة غير مسبوقة في ميدان الاتصال، حيث بدأت بتعميم المذياع ثم التلفاز فالهواتف الثابتة، فالنقالة للرسائل المشفرة، قبل أن تغزو الهواتف واللوحات والحواسب الذكية (الذكاء الاصطناعي) كل البيوت وتصبح في متناول الصغير والكبير المثقف والعام. كما تمت دمقرطة استعمال الحواسب بأحجامها وسعتها المختلفة. وتزايدت قدرتها على التخزين والمعالجة. وأصبح انتاج الخبر الشفوي والمكتوب والموثق بالصوت والصورة يتداول بين أصقاع بقاع الأرض، وبسرعة تضاهي سرعة الضوء أو أعلى. وأصبح إنتاج الخبر واستهلاكه شأن يهم الجميع. فعمت أنظمة التحكم عن بعد جزء من الحياة إلى حد يخشى فيه أن تشعل حربا نووية خارج إرادة صانع أسلحتها. وتستثمر الدول العظمى مثل الولايات المتحدة والصين وكوريا أموالا باهظة في تطوير أنظمة وشبكات الاستخبار قصد التحكم في أسواق العالم (Big-datas) مما يزيد من تعميق وضعية التهميش التي تعيش فيها أجزاء كثيرة من بلدان العالم، لم يحالفها الحظ بعد، لتنخرط في عالم الرقمنة.

أدت هذه الأنظمة وهذه الشبكات المنسوجة حول العالم، والشاملة لكل الميادين، إلى انهيار الحواجز والحدود التقليدية، لتترك محلها لحدود تكنولوجية ومادية، تشكلها الأنظمة الرقمية والذكاء الاصطناعي الداعي إلى توحيد السلوكيات والقيم الداعمة للعولمة (توحيد لغة الاتصال والتواصل).

استطاعت المواصلات ووسائل الاتصال الحديثة أن تتغلب على الكثير من الحواجز الطبيعية التي كانت تفرض العزلة على السكان وتعوق الاتصال والتواصل بينهم (الجبال، الصحاري، البحار...)، فقربت المسافات وأزالت العقبات (اللغوية، الدينية، العرقية...)، حيث وإلى عهد قريب (بضع عقود)، قليل هم الذين يحلمون بالاتصال المرئي عن بعد، وقليل هم

الذين يثقون في فرصة التبادل التجاري عن بعد، وفرصة التدريس عن بعد، وفرصة تعميم الإدارة الإلكترونية... وهي أشياء أصبحت اليوم واقعا، وفي ظرف وجيز. حيث فرضت الرقمنة شبكاتها المرئية وغير المرئية وحولت المجال الجغرافي العالمي إلى "قرية صغيرة"، كما يقال. وجعلت الكثير من الامتيازات النخبوية في متناول العامة. ووحدت أو كادت، الكثير من السلوكيات البشرية (الأذواق، طريقة التفكير، المعاريف، الطموحات، ...). لكنها، وبالمقابل، زادت من تأزم المنتوجات والثقافات المحلية وحامليها، واقتصاديات المجالات الهامشية التي لم تقو على المنافسة ومسايرة الركب. وسهلت نقل العديد من الأمراض، وبسرعة، إلى مجمل الأصقاع، وقد تهدد العالم بسكتة قلبية في ثواني معدودة (أزمة توقف المواصلات البرية والبحرية والجوية أثناء فترة الجائحة كوفيد 19 وما نتج عنها من انتكاسة اقتصادية واجتماعية، لا زالت أثارها جارية).

4. النقل وتأثيراته

تتأثر خطوط النقل بالأشكال العامة لسطح الأرض وطرق توزيعها (سهول، هضاب، جبال، أودية) وأشكال توزيع المسطحات المائية (بحار، مستنقعات، أنهار) وتوزيع الغطاء الغابوي (غابات كثيفة، أحراش، براري وسهوب). وتؤثر عناصر المشهد هذه عامة، على كثافة شبكات النقل؛ إذ يضطر الانسان إلى شق الطرق وإقامة المسالك الملتوية والجسور حيث تعم وعورة التضاريس أو تتكاثف الأشجار الغابوية، مما يؤدي إلى تحريك أجزاء منها وتدمير أجزاء أخرى ويزيد من التكلفة البيئية للتجهيزات الأولية. فرمال الصحراء مثلا، تحول دون استدامة الطرق، بينما تؤدي الفيضانات والزلازل إلى تدمير المنشئات، وتحول كثافة الضباب دون وضوح رؤية ربابنة الطائرات عند هبوطها؛ وهي عوامل لا يمكن تجاهلها أثناء التخطيط والإعداد قصد التقليل من وقعها، رغم ما قد يكلفه ذلك من العمل والمال ومن الموارد البيئية.

موازاة مع الفوائد الجمة التي يسديها النقل للبشرية، فللقطاع تأثيرات بيئية سلبية يمكن إجمالها في ثلاثة مستويات مكانية:

- يتباين تأثير التلوث المحلي الذي يحدثه النقل حسب العروض ونوع الملوثات، وهو يمثل ظاهرة غالبا ما تجاور البنيات التحتية، وتلازم وسائل النقل. ويتعلق الأمر بأكاسيد الكاربون والنيتروجين والأجسام المعلقة.

- التلوث الإقليمي ويتكون من الملوثات المنبعثة من التركزات العالية للسكان والأنشطة الصناعية في بعض بقاع من العالم، حيث تتركز الشبكات المختلفة، دون غيرها، مما يؤدي إلى تراكم المتلاشيات المختلفة الأحجام والاجناس.

- التلوث العالمي الناتج عن الانبعاثات المعممة للغازات والمؤدية إلى الاحتباس الحراري الدفيئة مثل ثاني أكسيد الكربون. حيث يمثل قطاع النقل ما بين 25 إلى 30٪ من الاستهلاك النهائي من الطاقة في معظم البلدان المتقدمة، الشيء الذي يتسبب في كثير من المقذوفات.

إلى جانب ذلك، فلوسائل النقل، وإن لا مفر منها، تأثيرات بيئية جانبية كبرى على الإطار المعيشي للإنسان، منها الضوضاء والازدحام والمضايقات المتعددة الاجناس التي تسببها هذه الوسائل باختلاف أوجهها وتعدد أسبابها ومصادرها ومنتجيها. وذلك رغم المجهودات التي تبذل من أجل التحكم والحد أو التقليل منها.

- الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للنقل

يعتبر الضغط الديموغرافي أهم ظاهرة عمرانية بصمت العشريات الأخيرة من الزمن. فبينما لم يتجاوز عدد سكان العالم 2.5 مليار نسمة سنة 1950، بلغ هذا العدد سنة 2022 أكثر من8 مليارات شخص. وتتم أغلبية الزيادات في قارتي إفريقيا وآسيا (بلغت نسبة سكان الصين والهند لوحدهما 35.3% من مجمل سكان العالم). وقد أدت هذه التخمة وهذا التباين إلى زيادة الحاجة إلى التنقل وتوسيع دائرة الهجرات والتهجير، وذلك بتوسيع دائرة التبادلات وتحسين إمكانية الوصول وتذليل العديد من العوائق الطبيعية والبشرية إلى أماكن متنوعة من العالم. كما أدى الانفجار الحضري إلى تركز الأنشطة والسكان وتضخم حركة المرور المكوكي في أماكن معينة وفي أزمنة معينة، مسببا بذلك أزمات مختلفة الأبعاد. بينما عرف النمو الديموغرافي قفزة نوعية في الدول المتقدمة، مما زاد من اتساع الهوة بين العرض والحاجة، وتسبب في الصراعات والتنافس على الأسواق واليد العاملة الرخيصة.

إن ما عرفته الدول الكبرى من التطور قلما عمت فوائده مجمل العالم، حيث اختُزلت وسائل النقل في العديد من دول العالم الثالث، حتى الحد الأدنى. واختُصر النشاط الاقتصادي في مظهره العام على مرحلة الكفاف والاستهلاك الذاتي، مما يفرض إيلاء الأهمية والأولوية للنقل كوسيلة لتثمين مؤهلات هذه الدول الطبيعية والبشرية. فتطوير منظومات

النقل يعتبر عنصرا ضامنا للاندماج والانفتاح من أجل دعم تنمية تلك المناطق التي تشكوا من الفقر والعزلة.

- **النقل وتحولات المشهد الجغرافي**

تعد معدات النقل مصدرا لإعادة تشكل المناظر الطبيعية والقطع الأرضية، حيث تمتد تأثيراتها إلى الأشكال والأحجام والإطارات والمواد. بل أن المعدات قد تمس حتى دوران المياه وأنسجة التربة، حيث يؤدي الضغط القوي والمستمر إلى التأثير على نفاذيتها وتماسكها. كما قد تتسبب الانقطاعات التي تحدثها الطرق السيارة والسكك الحديدية في اختفاء أو انقطاع التضاريس والنباتات ونفوق بعض الحيوانات وبعض الزواحف، وتغيير سحر مناظرها الطبيعية.

فالسيارة الخاصة، على سبيل المثال، تعد مصدر إزعاج لأنها تستهلك مساحة كبيرة جدًا لكل شخص يتم نقله. ورغم ذلك، ورغم الوسائل البديلة لها، فقد ظلت الوسيلة المفضلة بالنسبة للسفريات الحضرية بالنظر لما توفره من الحرية والاستقلالية في الحركة والسيولة للوصول إلى المواقع الخاصة. بينما تتيح وسائل النقل العام والمركبات التجارية، زيادة على السرعة والنجاعة، نقل جماهيري للأشخاص، وسعة أكبر في نقل السلع المستهلكة والمواد الأولية، لكنها تستهلك أيضا جزءًا كبيرًا من شبكة الطرق التي لا يتم تخصيصها دائمًا لوسائط النقل الأخرى.

خلاصة عامة

تهتم جغرافية النقل بحركة نقل البضائع وتنقل الأشخاص، وبالعلاقة بين النقل والظواهر الجغرافية المختلفة. حيث تعتبر أنظمة النقل أحد أهم الأنشطة البشرية في العالم. وتعد من الأعمدة التي لا غنى عنها في تنمية الاقتصاد وتحقيق الرفاه. فالنقل يلعب دورًا رئيسيًا في العلاقات بين المواقع الجغرافية. وأداة لبناء الروابط بين المناطق المختلفة وبين السكان حيثما وجدوا. فهو خدمة بشرية واقتصادية ضرورية لاستمرار العديد من أبعاد الحياة وتنميتها:

البعد التاريخي: لعب النقل أدوارًا مختلفة في نمو بعض الحضارات (مصر والنيل) وفي التطور السياسي والثقافي للمجتمعات (إنشاء الهياكل الاجتماعية) وكذلك في الدفاع وتكوين الأوطان (الإمبراطورية الرومانية، شبكات الطرق الأمريكية).

البعد الاجتماعي: يسهل النقل حركة المواطنين الراغبين في الحصول على الخدمات الصحية والرفاهية والأحداث الثقافية والفنية. وانطلاقا منه، فهو يساهم في تشكيل المدن والمناطق اجتماعيا وثقافيا (تعميم بعض السلوكيات) من خلال تعزيز تنقل الاشخاص وإعادة انتشارهم. كما يؤثر على سوق الشغل بما يوفره من الفرص، وبالدور الذي يلعبه في إعادة انتشار العَمَلة تبعا للعرض والطلب، فهو يؤثر على المجتمع بأسره (المستخدمون، المقاولون، المسؤولون...).

البعد السياسي: تلعب الحكومات دورًا مهمًا في النقل كمستثمر وصانع القرار وكفاعل رئيسي في القطاع. ومن ثم، فالنقل يعتبر أحد أعمدة التدخل السياسي في إعداد التراب والتحكم فيه. فطلبات النقل تستجيب لا للضرورات الاقتصادية فقط، ولكن أيضا للعوامل السياسية. حيث لا يمكن تبرير وجود العديد من الخطوط والتجهيزات سوى بمتطلبات تنقل الجنود ورجال الأمن ومستخدمي الدولة، طبقا لمتطلبات أمن ووحدة الوطن أو الاقليم (إحداث شبكة للنقل السككي بين الرباط وتونس لمدة، ثم توقف العمل بها لظروف إيديولوجية - سياسية؛ طريق الوحدة بين شمال المغرب وجنوبه؛ بناء بعض المطارات، بناء ميناء الداخلة...).

البعد البيئي: رغم كل مميزاته، يعتبر النقل ذا تكلفة بيئية عالية (تلوث، استغلال الموارد الطبيعية). مما يفرض التقييم الدائم للقطاع، وللقرارات التي تتخذ في شأنه، مع مراعاة الفوائد، مقابل الكلفة الاقتصادية والبيئية: نوعية الهواء ونوعية الماء ومستويات الضوضاء. حيث أدى هذا الهم المستمر إلى تطور النقل (تطوير وتحسينات) وتطوير الأنشطة الاقتصادية المرتبطة به، وخلق الوظائف المباشرة وغير المباشرة (اللوجستيك)، وتطوير اقتصاد وإنتاج السلع والخدمات، مما يسمح بالإنتاج على نطاق واسع، وإعطاء قيمة اقتصادية اضافية للأرض (التربة) والسماح بالتخصص الجغرافي لمناطق معينة، رغم التفاوتات الاقليمية الناتجة.

البعد الجغرافي: يعتبر النقل أساسي في تنظيم المجال الجغرافي، بل عاملا محددا ومُهيكلا، حيث يسهل السفر بين نقاط متباينة جغرافيا. فالصناعات والبنى التحتية والمعدات تحتل مساحة مهمة وتشكل القواعد لنظام مكاني معقد إقليميا ودوليا. ويفترض تطور القطاع، في كل حين، والقيام بالتدخلات الإرادية إما لتدعيمه أو الحد منه، في إطار الإعداد المتوازن للبلاد. فلأن الجغرافيا مهتمة بالعلاقات بين الظواهر البيئية المكانية وتفسيرها، فإن الشبكات تعتبر موضوع الدراسات الجغرافية وبامتياز.

مراجــع

حميد الطفيلي (د) 2009، جغرافية المواصلات والاتصالات. دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر. 199 ص.

- Antoine S Bailly (coord), « *Les concepts de la géographie humaine* » Armand Colin, Paris, 1998, 4ème édition. (Chapitre 12, géographie des transports. Par : G. Pini. Pp. 175-184)

- BEGUIN Hubert, 1974, « *L'organisation de l'espace au Maroc* », Thèse géographie, Académie royale des Sciences d'Outre-Mer - Bruxelles • Belgique.

- Jérôme Aloko-N'guessan. « *Géographie des transports* »; Directeur de Recherches (CAMES http://ufhb-igt.net›uplfile›ArticleFileUploaded (consulté avril 2022)

- Hartshorn, T.A., 1992, "Land Use Dynamics, In Interpreting the City: An Urban Geography 2nd", Wiley & Sons, Inc., New York). pp. 225-226, 228-234

- Labasse J., 1966, « *L'organisation de l'espace. Eléments de géographie volontaire* », Paris.

- Paul Vidal de La Blache, 1922, « *Principes de Géographie humaine », publiés par Emmanuel de Martonne*, Librairie Armand Colin, Paris.

- Peet, Richard J., 1969, "*The Spatial Expansion of Commercial Agriculture in the 19th Century*": A von Thunen Interpretation," Economic Geography 45, pp.283-301.

- Johann Heinrich von Thünen. https://en.wikipedia.org/wiki/Johann_Heinrich_von_Th%C3%BCnen

- Wolkowitsch Maurice. 1983. *« Les orientations de la géographie des transports »*. In: Annales de Géographie, T. 92, n°509, pp. 1-18.

- Les cartes sont tirées de l'Atlas monde. (web)

مفاهيم أساسية

Français	العربية
Accessibilité = le fait d'avoir accès à... l'obstacle peut être naturel comme il peut être humain (culturel, argent, loi, ...)	الولوجية
Communication= nouer des relations à travers un moyen ...	المواصلات
Coût = le coût peut s'exprimer en argent, en temps ou en énergie ou physique, stress, ... (fatigue, par exemple)	الكلفة أو التكلفة
Container = l'usage des containers a beaucoup simplifier le temps de l'embarquement / débarquement, mais aussi le stockage et par conséquent la qualité des produits	الصندقة /حاوية
Déplacement = le mouvement des personnes, des matières premières et des marchandises.	التنقل
Débarquement = le fait de décharger. Le temps de l'action dépend de la qualité des ports, entrepôts, de matériel en usage, de la matière à décharger, de l'intensité des flux et du système de gouvernance.	التفريغ
Distance réelle = la plus courte c'est la ligne droite entre le point de départ et celui de l'arrivée, comme les routes ne sont jamais rectilignes, la distance géographique et plus longue.	المسافة الحقيقية
Distance temps = c'est le temps nécessaire pour faire le trajet entre deux points. Il affecté par l'état du trajet, l'état du climat, l'intensité du trafic, l'état de moyen utilisé et il affecte la consommation en énergie et en effort.	المسافة الزمنية
Embarquement = le fait de charger quelque chose. Il est aussi influencé par les mêmes faits que le débarquement.	الشحن

Enclavement = isolement par rapport aux centres et aux équipements. Il peut être causé par des obstacles naturels ou humains.	العزلة
Fluidité du trafic= la facilité	السيولة /اللزوجة
Flux des voyageurs ou des marchandises	التدفقات
Livraison = faire arriver à la destination. Les clients exigent de plus en plus qu'on leur livre à domicile. L'acte demande la rapidité, le respect des délais, le secret, et la garantie de la qualité des produits.	التوصيل
Nœuds = des points focaux où se croisent les différents moyens de transport. Ils forment généralement des centres pouvant mettre à la disposition des différents moyens du transports, des gares, des quais, du matériel pour charger et décharger, les entrepôts de stockage, des aires d'échange, mais aussi toute logistique nécessaire à l'hébergement et à la restauration d'un grand nombre de clients	العقد
Objets transférés	المنقولات
Réseau du trafic = les différents moyens de transport nécessitent des routes hiérarchisées pour desservir tout le territoire y compris ses coins les plus lointains	شبكة النقل
Stockage = La nature et la taille des entrepôts de stockage diffèrent en fonction des matières et des marchandises à conserver. Le stockage aide à régulariser les débits de desserte, il génère des frais importants, mais aussi des profits	التخزين

المبحـث الثـاني : جغرافية الطاقة والمعادن[1]

1. جغرافية الطاقة

إن كلمة طاقة هي ترجمة حرفية ""Energie، Energy"" باللغات الاوربية الحديثة وهي مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة Energos **أو** Energgeia المركبة من مقطعين En ويعني (في أو داخل) وerogas وتعني بداخله نشاط، وبهذا فإن الكلمة تعني بداخله نشاط أو الشيء يحتوي على حصد أو شغل، ويعد توماس يُونغ أول من استخدم كلمة طاقة Energie عام 1830 لأغراض محدودة، ثم أصبحت هذه الكلمة أكثر تداولا واستخداما في العالم بعد ذلك. (الدليمي أحمد صبحي 2018، ص 15)

فبعد استغلال الإنسان لقوة عضلاته وقوة الحيوانات المدجنة، تعلم فيما بعد استعمال واستغلال الطاقات الموجودة في الطبيعة (**الطاقة الريحية** و**الطاقة المائية** ثم طاقة **المواد الأحفوريةالفحم** و**البترول** و**الغاز**، وفي مرحلة لاحقة أصبح يعتمد على **الطاقات المتجددة والنووية**). وتهتم جغرافية الطاقة بالتوزيع العالمي لهذه الثروات الطبيعية، إنتاجا واستهلاكا، حيث نجد دولا تزخر أراضيها بالموارد البترولية والغازية وتعيش كلية من ريع عائداتها، ودول مثقلة بفاتورة الاستيراد. بل أن أكثر من مليارين من سكان العالم لا يملكون أي نوع من أنواع الطاقة الأحفورية الحديثة، ويعد استخراج واستغلال الطاقة من الأمور المكلفة والمعقدة والخطيرة بالنظر لما يتسبب فيه من أضرار على الإنسان والبيئة. في عصر تتسارع فيه وتيرة التغيرات البيئية والتحديات الاقتصادية. وتبرز جغرافيا الطاقة كموضوع حيوي يشغل بال العلماء وصناع القرار على حد سواء، حيث تعد الطاقة العمود الفقري والمحرك الأساسي لوجود واستدامة مجمل القطاعات الاقتصادية، وضرورة ملحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية لكل مجتمعات العالم، فإنتاجها واستغلالها وتوزيعها واستهلاكها عامل حاسم في هيكلة وتشكيل المجال الجغرافي ومختلف التُّرُب (جمع تُّراب). وتعد جغرافية الطاقة مادة أساسية في الدراسة المجالية للطاقة، إن على مستوى أساليب توزيع مواردها أو

[1] محمد أزهار

إدارتها واستخدامها إقليميا ودوليا. وفي سياق **التحول الطاقي**، والمتسم بتعدد الرهانات المرتبطة بقضايا التغير المناخي والتوترات الجيوسياسية والتطورات التكنولوجية، أخذت جغرافية الطاقة تعرف تغيرا سريعا.

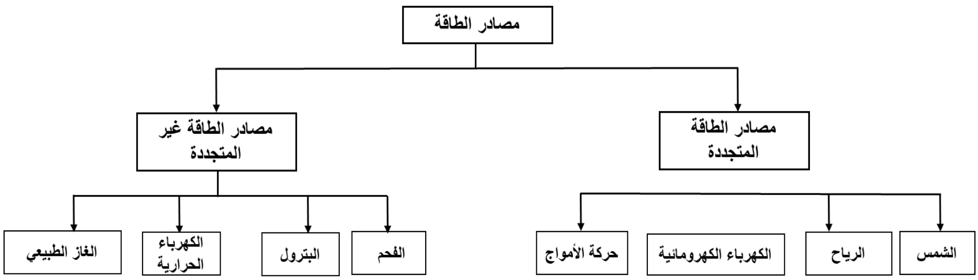
ويهدف محور جغرافية الطاقة، إلى استكشاف تعريف الطاقة وأنواعها، وإبراز الفروقات بين المصادر التقليدية للمواد الأولية والمعادن، والمصادر المتجددة، مع التركيز على كيفية تأثير هذه المصادر في خريطة الطاقة العالمية وأهم المبادئ التي تنظمها، وكيف تتطور معاريف هذه المادة ومناهجها في مواجهة التحديات المعاصرة.

وسعيا وراء ذلك، سنستعرض، على مستوى العالم، كيف تتوزع مصادر الطاقة الرئيسية ومدى تأثير الجغرافيا السياسية في تحديد أنماط استهلاك وإنتاج هذه المادة. على أن نختم جولتنا بدراسة الموارد الطاقية بالمغرب، ورسم ملامح الاستراتيجية الوطنية للطاقة وإشكالية الانتقال الطاقي ومسألة الاستدامة والكفاءة، وأهمية الموقع الجغرافي المتميز والموارد الطبيعية المتاحة بالنسبة للمغرب.

1.1 أنواع ومصادر الطاقة

تتعدد أنواع ومصادر الطاقة وفق **تركيبها الكيميائي والفزيائى**، وطرق إنتاجها وتخزينها واستغلالها، وخاصة الفرعين الرئيسيين: الطاقات الفانية (غير المتجددة) والطاقات المتجددة.

خطاطة رقم 1: أنواع مصادر الطاقة



المصدر: من إنجاز المؤلفين

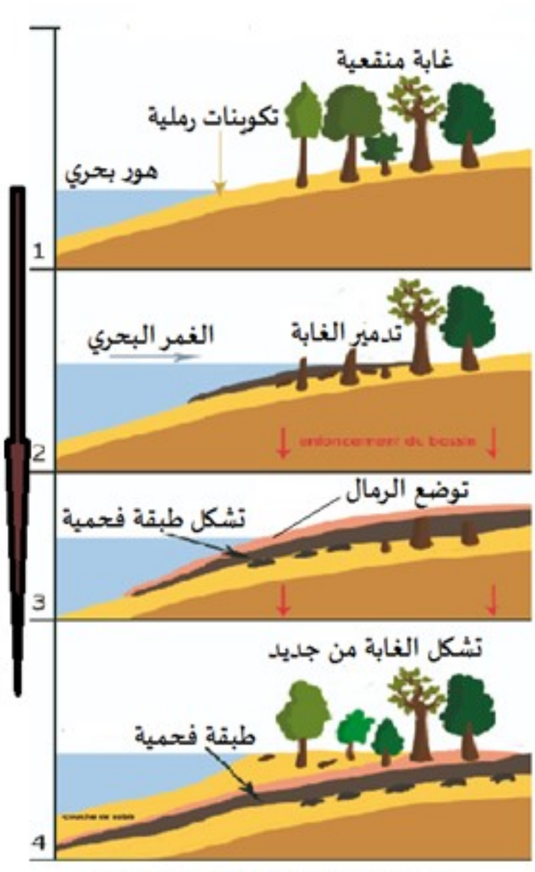
1-1-1 الطاقات "الفانية "غير المتجددة

- **الوقود الأحفوري**: يستخرج الوقود الأحفوري من الفحم الحجري والنفط والغاز الطبيعي، وهي موارد اكتنزتها الطبيعة بين ثنايا الصخور والطبقات الجيولوجية خلال

الزمنين الجيولوجيين الأول والثاني، وتحوي هذه الموارد على طاقة كيميائية يمكن الاستفادة منها عند حرقها. وهي مصـــادر معرضـــة **للنضوب**، ومســـتنفذة إذ لا يمكن صـــنعها ثانية أو تعويضـها مجددا في زمن قصـير، وتنتج ملوثات صـلبة وغازية مضـرة بالإنسـان والبيئة. وقد اهتدى الإنسان إلى استغلال الفحم الحجري خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، فحولها إلى حجر الزاوية للثورة الصناعية التي غيرت وجه العالم الحديث .

- **الفحم الحجري:** نوع من أنواع الصخور الرسوبية العضوية المنشأ، والتي تطلبت عملية تَكَوُّنها إلى وقت كافي تسمى بفترة **"حمل الفحم"**، وقد كانت الظروف مواتية خلال الحقبة الفحمية، أثناء الزمن الجيولوجي الأول، حيث بدأت عملية تكوين الفحم في **المناطق المنقعية** (المستنقعات) ذات الغطاء النباتي الكثيف، ومرت بالمراحل التالية:

الشكل رقم 1: مراحل تشكل الفحم الحجري



2021 https://www.maxicours.com

- **أولا** : عندما تتدهور وتتلف الغابات الكثيفة ، فإنّ مادتها العضوية تتفسخ بفعل البكتيريا مُوَلدةً مادة ثاني أكسيد الكربون وغاز الميثان.

-**ثانيا** : حينما تصبح النباتات مدفونة تحت سطح الأرض بفعل عمليات الغمر المائي المحملة بالرواسب وخاصة التكوينات الرملية، وتم عزلها لفترة طويلة عن الهواء، فسدت وتعرضت بنية البكتيريا اللاهوائية لعملية التفسخ.

-**ثالثا :** عندما تدفن المواد المفحمة على عمق كبير، فإنّ الماء والمركبات الأخرى يتم طردها منها بفعل زيادة الضغط وحرارة الدفن ويبدأ الفحم بالتشكل.

-**رابعا :** ينتج عن استمرارية عملية الدفن وزيادة الضغط ارتفاع للحرارة مسبباً عملية **الكربنة (**Carbonisation**)** ويصبح فحماً أسود اللون.

وينقسم الفحم إلى الأصناف التالية مرتبة حسب نسبة الكربون المتوفرة بها:

* **فحم الأنتراسيت (**Anthracite coal**) يعد** من أجود أنواع الفحوم، (وهو الموجود بمفاحم جرادة المغربية) إذ تتميز صخوره باللون الأسود اللامع ذات الملمس القاسي والصلب الغير قابل للتفتيت، ويحتوي على أعلى نسبة كربونية تتراوح ما بين 86% إلى 98% من مكونات الحجر تقريبًا. كما تقل فيه، تبعا لذلك، نسبة الرطوبة إلى حد كبير، فلا تزيد عن 1إلى 2 % من وزنه الكلي. وقد اشتق اسم هذا الفحم من الكلمة الاغريقية Anthrax وتعني الفحمة. وذلك للدلالة على جودته العالية. (الدليمي أحمد صبحي 2018، ص 245)

* **فحم البيتوميني (**Bituminous coal**)** ويُعرف أيضا بالفحم القاري، يمثل مرحلة متقدمة في عملية تفحيم البقايا النباتية، وهو ثاني أعلى أنواع الفحم جودةً والأكثر وفرة، تتراوح نسبة الكربون به ما بين 76% إلى 86%.

* **الفحم تحت البتيوميني** أو تحت القاري (Subbituminous coal)، ذو لون أسود، ولا تبدو فيه آثار الخلايا النباتية بوضوح، أي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة. وقد اشتقت كلمة البيتومين من الكلمة اللاتينية Bitumen وتعني القارة. إذ يتراوح المحتوى الكربوني به ما بين 42 إلى52% من وزنه.

* **فحم اللجنيت (**Lignite coal**)** هو أقل أنواع الفحم جودة، يسمى أيضًا بالفحم البني، ويتميز بلونه الأسود المائل للبني، إذ يحتوي على نسبة عالية من الرطوبة تصل إلى 45%، ومحتوى عالٍ من الكبريت، على عكس من محتواه الكربوني المنخفض والذي يتراوح ما بين 25 إلى35 % فقط. ويقدر أعمق منجم في العالم لاستخراج الفحم بحوالي 5000 متر، ويوجد بجنوب إفريقيا.

جدول رقم1: الدول الأكثر إنتاجا للفحم سنة 2020

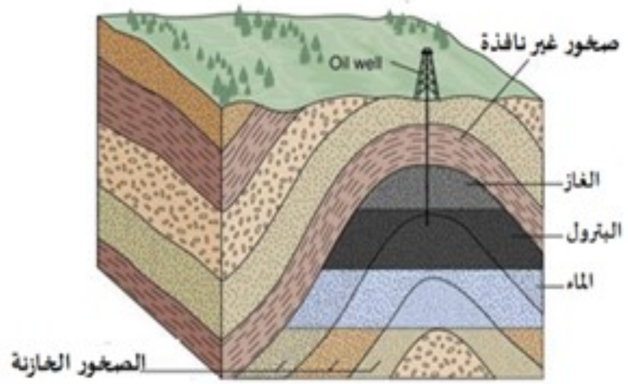
الترتيب	الدول	حجم الإنتاج
1	الصين	3.7 مليار طن (47 %من الإنتاج العالمي)
2	الهند	783 مليون طن (10% من الإنتاج العالمي)
3	الولايات المتحدة الأمريكية	640 مليون طن
4	أندونيسيا	616 مليون طن
5	أستراليا	550 مليون طن
5	روسيا	430 مليون طن
7	جنوب إفريقيا	258 مليون طن
8	ألمانيا	169 مليون طن

Source : **https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/1435370** visité le 02/05/2025

النفط (البترول): كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني **"بيترا"** والذي يعني صخر و**"أوليوم"** والتي تعني زيت ويطلق عليه الزيت الخام، كما أن له اسم دارج **"الذهب الأسود"** وهو عبارة عن سائل كثيف قابل للاشتعال، بني غامق أو بني أخضر، يوجد في الطبقة العليا من القشرة الأرضية، ويتكون من خليط معقد من الهيدروكربونات وخاصة من سلسلة الألكانات الثمينة كيمائيا، ولكن مظهره وتركيبته يختلف من مكان لآخر. (أ. نصري دياب 2011، ص 41)

يعد النفط مادة استراتيجية لها أهمية كبيرة، وقد تزايد اهتمام العالم بهذه المادة بقوة كبيرة في العقود الأخيرة. يساهم النفط بحوالي 38% من استهلاك الطاقة العالمي، ويعد عصب الاقتصاد والتنمية بالعالم حيث لا يمكن تصور الحياة بدونه، وتحتوي منطقة الشرق الأوسط على أعلى مخزون للنفط. (الدليمي أحمد صبحي 2018، ص 257). وربما يعيش العالم، حاليا، نهاية الحضارة النفطية ليدخل عصور حضارة الطاقات المتجددة. هناك ثلاث نظريات تفسر تكوين ونشأة البترول:

أولها النظرية البيولوجية أو العضوية التي ترجع الأصل إلى تحلل الطحالب والحيوانات البحرية والنباتية الدقيقة، يتم ترسبها بقعور البحار والمحيطات مختلطة برواسب أخرى. وبفعل نشاط الكائنات الحية وأهمها البكتيريا التي تحلل هذه المواد وتحولها إلى مركبات غنية بالكربون والهيدروجين، تتشكل، بعد أن تخضع لضغوط وحرارة شديدتين ونشاط كيماوي بفعل تحركات القشرة الأرضية وتأثير حرارة الأعماق (حرارة الدفن)، لتعطي طبقات رسوبية تدعى بصخور المصدر أو الصخور المولدة. وبالنظر إلى سرعة حركية المواد البترولية أو **الهيدروكاربونات** وهجرتها، يتم تسربها عبر حبيبات الصخور والفوالق والفجوات، قبل أن تتجمع فيما يدعى بالمصائد النفطية. وتعطي محروقات، تختلف من حيث الخصائص الكيمائية والصفات الطبيعية، ومن حيث المكونات الحية واللون والجودة.



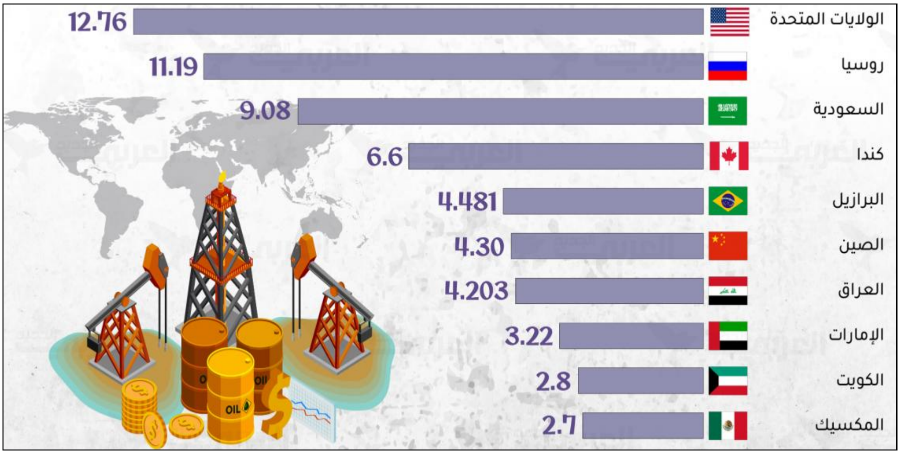
الشكل رقم 2: مجسم لحقل نفطي

أما النظرية الثانية، فترى أن أصله معدني ناتج عن تفاعل بعض فلزات الصخور مع بخار الماء ليكون محاليل كاربوناتية. أما النظرية الكيمائية، فتفترض أن بعض المواد الهيدروكاربونية قد تكونت في الأزمنة الجيولوجية الأولى (حوالي 4 مليارات سنة مضت) بعد اندماج الهيدروجين بالكربون واختزانها في الطبقات الجيولوجية.

وقد تعرف الإنسان على البترول منذ أزيد من خمسة آلاف سنة وكانت البداية بالغاز الطبيعي وأبخرة البترول المتسربة عبر الشقوق من الحقول النفطية القريبة من سطح الأرض وأشعلتها عواصف الصواعق الرعدية والبرقية كما عرف الإنسان أيضا زيت القار أو الإسفلت في هيئة برك ضحلة تميزها رائحة خاصة اكتشفها المصريون والبابليون والأشوريون.

كما أن النفط قد يوجد في ثنايا بعض الصخور الرسوبية (Roches bitumineux) وتدعى بالصخور النفطية كما هو الحال بالنضيد النفطي (les schistes bitumineux) بمنطقة تمحضيت بجبال الأطلس المتوسط بالمغرب، وكذا الرمال النفطية (les sables bitumineux) بمنطقة طرفاية بالأقاليم الجنوبية المغربية.

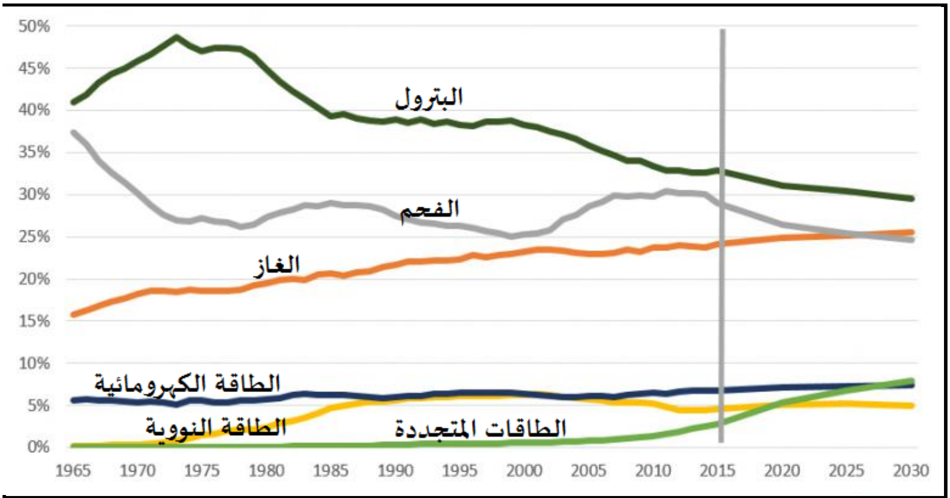
شكل رقم 1: الدول العشرة الأولى في انتاج النفط سنة 2023 بالمليون برميل يوميا



Source : https://www.alaraby.co.uk/infograph-media/%D8%A32023 visité le02/05/2025

يوضح هذا الشكل (رقم 1) بأن دول الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والسعودية تنتج أزيد من 50% من الإنتاج العالمي للنفط. وانطلاقا من وتيرة الاستهلاك الحالي لمصادر الطاقة فإن مخزون البترول يكفي لحوالي 52 سنة القادمة والغاز الطبيعي ل 53 سنة القادمة والفحم الحجري لحوالي 114 سنة.

شكل رقم 2: تطور إنتاج واستهلاك الموارد الطاقية بالعالم ما بين 1965-2030



Source : BP-statistical-review-of-world-energy-2016-full-report.pdf

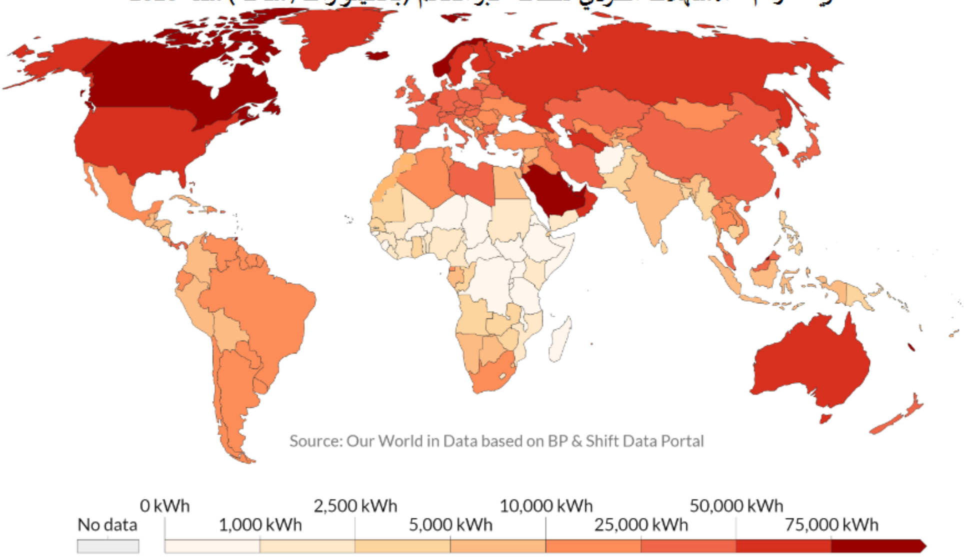
إن الأسواق العالمية للنفط تعرف هشاشة قوية نظرا لارتباطها الوثيق بالأوضاع الاقتصادية و**الجيوسياسية** الكونية مما يؤدي إلى نشوب أزمات اجتماعية وسياسية، وتستحوذ على السوق النفطية منظمة "**أوبك** OPEC" (حيث توفر 41.5% من إنتاج النفط العالمي) التي تأسست في بغداد عام 1960 بمبادرة من خمس دول هي إيران والعراق والكويت والسعودية وفنزويلا، وهدفها الرئيسي هو ضمان أسعار عادلة ومستقرة لمنتجي النفط، وإمداد الأسواق بالكميات الكافية من الخام بشكل فعال ومنتظم.

وبين التأسيس واليوم، انضمت عشر دول أخرى إليها من بينها الجزائر والإمارات ونيجيريا. وقد استعمل النفط لأول مرة كسلاح أساسي من طرف الدول العربية النفطية بالشرق الأوسط بالإضافة إلى إيران للضغط على أمريكا والدول الغربية من أجل إجبار إسرائيل بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة وذلك في خريف 1973، وتسبب هذا الحظر (le choc pétrolier) في ارتفاع أسعار النفط حيث قفزت من 2.5 دولار للبرميل إلى 18 دولار آنذاك "**1برميل من النفط** = 159 لتر= 140 كلغ" ومن الشخصيات البارزة والفاعلة في هذا الحدث وما رافقها من أزمة اقتصادية خانقة للدول الغربية وبخاصة أمريكا وهولندا وزير النفط السعودي آنذاك الشيخ أحمد زكي يماني (Le Monde diplomatique, juin 2022)، ومنذ ذلك التاريخ شرعت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة

الأمريكية في التفكير في خطط واستراتيجيات بديلة لتفادي مثل هذه الأزمات وطرحت لأول مرة فكرة المخزون النفطي، حيث يعتبر المخزون الاستراتيجي الأمريكي من النفط الخام هو الأكبر في العالم والذي يغطي حاجياتها لمدة شهرين، واستغلال الصخور النفطية (النضيد والرمال)، (الجزيرة الوثائقية، 2019).

شهدت السوق العالمية للنفط نوعين من الأزمات، نوعا يدفع بالأسعار نحو الانخفاض، وآخر يدفعها نحو الارتفاع. ومن أبرزها خلال الأربعين سنة الأخيرة "أزمة عام 1986"، حيث شهدت معها أسواق النفط تنافسا شرسا وحرب أسعار طاحنة بين الدول المنتجة، الأمر الذي خفض الأسعار إلى مستويات وصلت إلى 10 دولارات للبرميل. وأثرت هذه الأزمة بشكل كبير على الدول المنتجة والمصدرة، وتسببت بأزمات اجتماعية وسياسية، وتمكنت السعودية في الأخير من إقناع منظمة "أوبك" بتدارك الأمر، ليتم في شهر دجنبر 1986 توقيع اتفاق من أجل تقليص الإنتاج مجددا لحماية الأسعار عند 18 دولارا، وبعد هذه الأزمة غير المسبوقة ظلت أسعار النفط مستقرة نسبيا بين أعوام 1987 و1989 قبل أن ترتفع إلى 23 دولارا في عام 1990 بعد غزو العراق للكويت، كما أن الانهيار في الأسعار إلى 10 دولارات للبرميل سيعود مجددا تزامنا مع ما عرف بـ"الأزمة الآسيوية" سنة 1997، ومع بدء العراق ما سمي ببرنامج النفط مقابل الغذاء، أما في العام 2008، فقد وصلت أسعار الذهب الأسود إلى أعلى مستوى لها في التاريخ، وهو 147 دولارا للبرميل بسبب **المضاربة في الأسعار**، نتيجة الطلب المفاجئ من الصين والهند وباقي الدول الناشئة لكن الأسعار سرعان ما انهارت مجددا مع نهاية العام نفسه بسبب الأزمة المالية العالمية التي نشأت بسبب سقوط المصارف الأمريكية الكبرى وانهيار شركات الرهن العقاري في الولايات المتحدة. وفي أعقاب أزمات "**الربيع العربي**" عام 2011، حين انقطعت إمدادات الكثير من الدول المنتجة التي شهدت اضطرابات مثل ليبيا وسوريا واليمن، وقفزت الأسعار مجددا فوق حاجز 100 دولار، وهو ارتفاع أثقل كاهل الدول المستهلكة لنحو ثلاث سنوات، وأنعش ميزانية الدول المصدرة، لكن هذا الوضع لم يستمر، لتنخفض الأسعار ابتداء من 2015 إلى نحو 40 دولارا، واستمرت متقلبة إلى يومنا هذا، ومع نشوب الحرب الروسية الأوكرانية منذ نهاية فبراير 2022 عاودت أسعار النفط في الارتفاع من جديد لتصل حاليا ما يفوق120 دولار للبرميل الواحد.

خريطة رقم: 11الاستهلاك الفردي للطاقة عبر العالم (بالكيلو واط/ ساعة) سنة 2020



1-1-2 الطاقات المتجددة

لا تتناقص كمياتها مع استغلال الانسان واستهلاكه، كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وطاقة المياه وطاقة المد والجزر، وتعد جميعها من مصادر مجانية متاحة للاستغلال.

المصادر الميكانيكية: تستغل قوة الدفع الميكانيكية في تشغيل التريبنات حيث يتم تثبيت وبناء محطات توليد الكهرباء عند مساقط المياه والشلالات والسدود وحركات المدّ والجزر وطاقة الرياح.

الطاقة الشمسية: يُستفاد منها عبر التسخين المباشر للمياه والتدفئة والطهي، كما يمكن تحويلها مباشرة إلى طاقة كهربائية بوساطة الخلايا الشمسية.

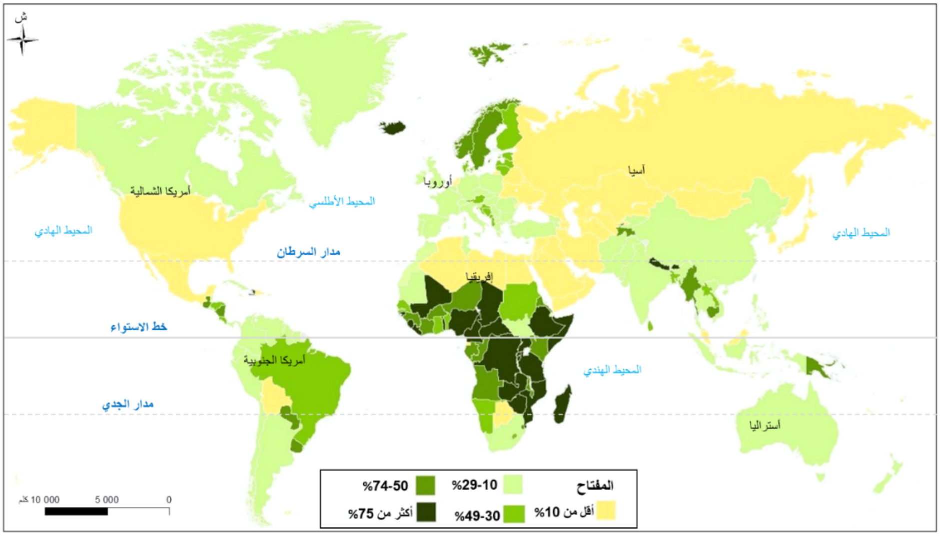
الطاقة الحرارية الجوفية: تكون غالبا مرافقة للمناطق البركانية حيث يُستفاد من ارتفاع درجة الحرارة في جوف الأرض، وفي بعض المناطق تكون هذه الطاقة قريبة من سطح الأرض فتخرج على هيئة ينابيع حارة، ففي أيسلندا مثلًا يُستفاد منها لأغراض التدفئة والتسخين.

الكتل الحيوية البيوماس: وهي المخلفات الحيوية، وتشمل بعض أنواع النفايات والمخلفات الزراعية التي يتم دفنها وتخميرها في حفر خاصة ليتصاعد منها غاز الميثان، وهو غاز قابل للاشتعال.

غاز الهيدروجين: ويمثّل نوعًا مهمًا من أنواع الوقود، وهو مرشح لأن يكون له دور كبير في تأمين الطاقة في المستقبل، وقد ظهرت سيارات تعمل على غاز الهيدروجين، وتتم الاستفادة منه في خلايا الوقود، وهي خلايا واعدة بتطبيقات واسعة في المستقبل، ويتم توليد الكهرباء داخلها مباشرة بتمرير الهيدروجين والهواء بها، وعبر دمج الهيدروجين والأوكسجين نحصل على طاقة كهربائية، وأما مخلفات هذه العملية فهي الماء فقط، أي إن خلايا الوقود لا تسهم في تلويث البيئة.

الطاقة النووية: تنتج عن الانشطار النووي داخل المفاعلات، ويُستفاد منها في توليد الطاقة الكهربائية وتسيير السفن والغواصات، وفي الصناعة الحربية والتي تعتبر من أكثر أنواع الأسلحة قدرة على التدمير، وتعتبر اليابان أول دولة قامت باكتشاف هذا النوع من الأسلحة، وتم استخدامه أول مرة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية بعد استهداف بعض مدن اليابان (هيروشيما مثلا). وتتربع روسيا على عرش الدول المالكة لهذا السلاح الفتاك متبوعة بالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا، وأبرز سلبياتها النفايات المشعة ومشكلة التخلص منها، وضوابط السلامة العالية اللازمة لمنع انفجار المفاعلات، أو تسرّب الإشعاعات منها (كما حصل في مفاعل تشرنوبيل بمدينة بريفيات الأوكرانية في 26 أبريل سنة 1986)، حيث بلغت الخسائر المادية ما قيمته أكثر من ثلاثة مليارات دولار. وقد لقي 36 شخصاً مصرعهم وأصيب أكثر من 2000 شخص بالإشعاعات، كما تم ترحيل أكثر من 100 ألف شخص من المناطق المحيطة بالمفاعل، وتعرض 8 ملايين ونصف من سكان أوكرانيا وبيلاروسيا وروسيا للإشعاعات النووية، لذا تم إغلاق هذا المفاعل نهائياً سنة 2002.

خريطة رقم 2: حصة الطاقة المتجددة من إجمالي استهلاك الطاقة خلال سنة 2019 في العالم



Source : Nations Unies (2022) : Energy Statistics Pocketbook

3-1-1الطاقة والمعادن بالمغرب

أ- الطاقة المتجددة بالمغرب

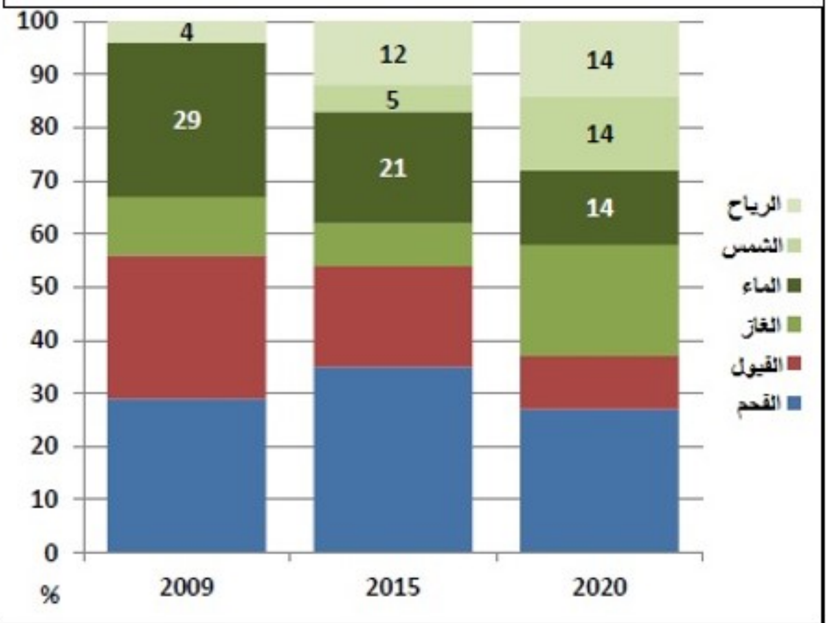
يعتمد المغرب على استيراد أكثر من 96٪ من استهلاكه الوطني من الطاقة، ويرتفع استهلاكه من الطاقة الكهربائية بحوالي 8٪ سنويا، فلهذا اعتمد ومنذ سنة 2009 على إستراتيجية طاقية وطنية جديدة متعلقة بالطاقات المتجددة، وترتكز بالأساس على الرفع من نسبة مساهمتها في استهلاكه الوطني من الكهرباء، وتطوير اقتصاد استهلاك الطاقة النظيفة، ما سيمكنه من تقليص فاتورته الطاقية وتبعيته للخارج، ومن الحد من انبعاثاته من الغازات المسببة للاحتباس الحراري، ومحاربة التغيرات المناخية؛ وبالتالي المساهمة في الحفاظ على البيئة.

ومن أجل تأمين تزويد البلاد بالحاجيات الضرورية من الطاقة وتنويع مصادر الإنتاج، وتعزيز الاستقلالية وتنافسية الأسعار، وَضعت الاستراتيجية الوطنية للطاقة أهدافا طموحة تتمثل على الخصوص في الرفع من حصة الطاقات المتجددة من 42٪ سنة 2020 إلى 52٪ في أفق 2030، مما سيمكن من استهداف قدرة إضافية لإنتاج الكهرباء باستخدام مصادر

متجددة تبلغ 6000 ميغاواط، موزعة بين الطاقة الشمسية (2000 ميغاواط) والطاقة الريحية (2000 ميغاواط) والطاقة الكهرومائية (2000 ميغاواط). كما تطمح هذه الاستراتيجية، عند بلوغ أمد هذا البرنامج، إلى تقليص التبعية الطاقية للواردات إلى 82% في أفق 2030 مقابل 97% حاليا. (CESE, 2020, p.13).

نلاحظ من خلال المبيان (رقم 3) أن إنتاج المغرب من الطاقات النظيفة، من المرتقب أن تصل نسبته إلى 42% من مجموع الطاقات المنتجة والمتداولة والمستهلكة بالمغرب، موزعة مابين 14% لكل من الطاقة المائية والشمسية والريحية.

شكل رقم 3: تطور القوة المركبة لمختلف مصادر الطاقة بالمغرب ما بين 2009-2020



Source: Ministère de l'énergie, des mines, de l'eau et de l'environnement, la nouvelle stratégie énergétique nationale, bilan d'étape Janvier 2013 p 34

هكذا، وعلى الرغم من أن التجربة المغربية في الطاقات المتجددة حديثة العهد، ففي نهاية 2018، بلغ إجمالي السعة المركبة في الطاقات المتجددة 3685 ميغاواط، منها1770 ميغاواط للكهرباء المائية، و 1215ميغاواط للرياح، و700 ميغاواط للطاقة الشمسية،

وبلغت نسـبة الطاقة الكهربائية المركبة في المغرب من الموارد المتجددة 34%. (الوكالة المغربية للطاقة الشمسية 2020)

المخطط المغربي للطاقة الشمسية

يشمل المشروع المغربي للطاقة الشمسية الذي انطلق رسميا سنة 2009، إنجاز خمس محطات لإنتاج الكهرباء، بكل من ورزازات وعين بني مطهر وفم الواد وبوجدور وسبخة الطاح، بتكلفة مالية تصل إلى 9 ملايير دولار أمريكي، مما سيمكن من إنتاج حوالي 2000 ميغاواط، أي ما نسبته 14% من إجمالي الطاقة في نهاية 2020 وصولا إلى 20% سنة 2030.

ومن مزايا المشروع المغربي للطاقة الشمسية أنه سيمكن البلاد من اقتصاد 1 مليون طن من المحروقات الأحفورية ومن المحافظة على البيئة ومقاومة التغيرات المناخية بتجنب انبعاث 3,7 مليون طن من ثاني أكسيد الكاربون (Nachid Marouane et all 2014 P166) بالإضافة إلى إنتاج الكهرباء النظيفة التي سيستهلك جزء منها في تحلية مياه البحر. وهي استراتيجية ستمكن البلاد من الحد من التبعية إلى الخارج في مجال استيراد واستهلاك الكهرباء. ويسعى هذا المشروع، الذي يندرج في سياق إنجازات المشاريع الكبرى التي تعرفها بلادنا، إلى إرساء الأسس الضرورية لتطوير البحث العلمي والتنمية في ميدان الطاقة الشمسية، ووضع برامج للتكوين وتطوير الكفاءات المغربية في هذا الميدان، بل وتصدير الخبرة إلى بعض دول الجنوب.

ومن العوامل التي ساعدت المغرب على تبني مشروع الطاقة الشمسية، موقعه الجغرافي. فمدة إشراق الشمس بالمغرب تتراوح ما بين 2700 ساعة سنويا بالشمال وأكثر من 3500 ساعة سنويا بالجنوب، أي ما يفوق 5 كيلواط ساعة في المتر المربع في اليوم؛ كما أن مدة التشميس تفوق 300 يوم في السنة بما يعادل 20000 جيكاواط كقدرة منشأة إجمالية.

نظرا للنتائج المشجعة للتجارب المنجزة فيما يخص الطاقة الشمسية، قامت السلطات المغربية المكلفة بالطاقة ببرمجة مشاريع جديدة للطاقة الشمسية، منها:

- محطة نور ميدلت (1901 ميغاواط باستعمال تكنولوجيا شمسية حرارية و605 ميغاواط بتقنية الألواح الضوئية) والتي سيشرع في استغلالها سنة 2021؛

- البرنامج الوطني للألواح الضوئية بطاقة تتراوح ما بين 800 ميغاواط و1000 ميغاواط موزعة على تسعة مواقع: بوجدور،2 والعيون2، وتارودانت، وقلعة السراغنة، وسيدي بنور، وأبي الجعد، والحاجب، وجرسيف، وعين بني مطهر2، ومن المتوقع الشروع في استغلال هذه المشاريع منذ سنة 2021؛

- محطة نور تافيلالت (في طور الإنشاء): 3 محطات للألواح الضوئية بأرفود وميسور وزاكورة بطاقة تبلغ 120 ميغاواط، ومن المتوقع الشروع في استغلالها سنة 2021؛

- نور أطلس (قيد الإنشاء عبر نظام الألواح الضوئية في عدة مواقع): 200 ميغاواط من المتوقع الشروع في استغلالها سنة 2020 (مشروع قانون المالية لسنة 2019، ص 74).

جدول رقم 2: أهم مشاريع الطاقة الشمسية المنجزة والمبرمجة بالمغرب سنة 2020

اسم المحطة	المنطقة	الإنتاج بالميغاواط	التكنولوجية المعتمدة	سنة الاستغلال	الإنتاج بالميغاواط
عين بني مطهر	**الشرق**	472	**التكنولوجيا الحرارية، المرايا الأسطوانية المقعرة**	2010	20
نور ورزازت1	**درعة تافيلالت**	160	**التكنولوجيا الحرارية، المرايا الأسطوانية المقعرة**	2016	160
نور ورزازات2	**درعة تافيلالت**	200	**التكنولوجيا الحرارية، المرايا الأسطوانية المقعرة**	2018	200
نور ورزازات 3	**درعة تافيلالت**	150	**التكنولوجيا الحرارية، الأبراج الشمسية**	2018	150

نور ورزازات4	**درعة تافيلالت**	70	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	2018	70
فم الواد	**العيون الساقية الحمراء**	500	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	2018	80
نور بوجدور	**العيون الساقية الحمراء**	100	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	2018	20
سبخة الطاح	**طرفاية**	500	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-
نور ميدلت	**درعة تافيلالت**	800	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-
البرنامج الوطني للألواح الضوئية	**تارودانت، قلعة السراغنة، أبي الجعد، جرسيف الحاجب**	800	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-
نور تافيلالت	**زاكورة، أرفود، ميسور**	200	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-
نور الأطلس	**طاطا، طانطان، أوطاط الحاج، عين بني مطهر، بوذنيب، بوعنان، بولمان**	800	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-
نور أركانة	**بومالن، تنغير، الرحامنة، الصويرة**	200	**أنظمة الألواح الكهروضوئية**	قيد الإنجاز	-

لقد حققت مشاريع الطاقة الشمسية المشغلة إلى حدود اليوم، نتائج إيجابية بالنظر إلى حجم مساهمتها في إنتاج الكهرباء إذ انتقل هذا الإنتاج من 364,9 سنة 2017 إلى 708,2 ميغاواط سنة 2018، ومن المنتظر أن يصل مجموع الطاقة الإنتاجية عند نهاية الأشغال بباقي المحطات المبرمجة، حوالي 4500 ميغاواط، في أفق سنة 2030.

المخطط المغربي للطاقة الريحية

يشكل المشروع المغربي للطاقة الريحية جزءا من الإستراتيجية الطاقية الوطنية للدولة المغربية، إذ يرنو إلى قدرة إنتاجية تقدر بحوالي 2000 ميغاواط بحلول عام 2020، مما سيوفر إنتاجا سنويا قدره 6600 جيغاوات في الساعة، أي ما يعادل 26% من الإنتاج الوطني الحالي من الكهرباء. وبذلك سيمكن مشروع الطاقة الريحية من توفير 1,5 مليون طن من النفط، إضافة إلى تجنب انبعاث 5,6 مليون طن من ثاني أكسيد الكربون سنويا.

وفي هذا الإطار، قام المغرب منذ سنة 2000 بإطلاق مشاريع كبرى لإنتاج الطاقة الريحية بتكلفة مالية تبلغ 31,5 مليار درهم:

جدول رقم 3: المحطات الريحية المنجزة بالمغرب

اسم المحطة	السنة	الإنتاج بالميغاواط/ الساعة
"كوديا البيضاء" بتطوان	2000	50
"أخنيفر" بطرفاية	2014	300
"فم الواد" بالعيون	2000	100
"الحوامة" بطنجة	2014	50

Source : Ministère de l'énergie, des mines, de l'eau et de l'environnement, 2015 p 46.

بالإضافة إلى هذه المحطات سيتعزز قطاع الطاقة الريحية سنة 2018 بالشروع في استغلال محطتي تازة وميدلت بإنتاج يقارب 300 ميغاواط.

جدول رقم 4: المحطات الريحية التي في طور الإنجاز بالمغرب

المشروع	مستوى التقدم	الجهة	التكلفة الاجمالية (المليون درهم)	تاريخ اعطاء الانطلاقة
الحقل الريحي تازة(150 ميغاواط)	في طور الإنجاز	فاس- مكناس	2.400	.2020
الحقل الريحي جبل الحديد (200 ميغاواط)	في طور الإنجاز	مراكش-آسفي	3.600	2022
الحقل الريحي بوجدور(300 ميغاواط)	في طور الإنجاز	العيون الساقية الحمراء	5.400	2020
الحقل الريحي تسكراد (100 ميغاواط)	في طور الإنجاز	العيون الساقية الحمراء	1.800	2022
الحقل الريحي طنجة 2 (70 ميغاواط)	في طور الإنجاز	طنجة تطوان الحسيمة	1.600	2022
الحقل الريحي Repowring 120)ميغاواط)	في طور الإنجاز	طنجة تطوان الحسيمة	1.500	2021
الحقل الريحي ميدلت (180 ميغاواط)	في طور الإنجاز	درعة تافيلالت	2.300	2020

المصدر: وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة (2019): مشروع قانون المالية لسنة 2019.

سـينعكس تنفيذ مشـاريع الطاقة الريحية إيجابا على الوضـعية الاجتماعية للمواطنين من خلال توفير مناصب الشغل، وخلق دينامية محلية للتنمية المستدامة.

ب - المعادن بالمغرب

يتوفر المغرب على ثلاث أرباع احتياطي العالم من الفوسـفاط محتلا بذلك المرتبة الأولى في تصـديره والمرتبة الثانية في إنتاجه، كما يحتل المغرب مراتب متقدمة نسـبيا في إنتاج الرصـاص والزنك، أما باقي المعادن فإنتاجها ضـعيف، في المقابل يفتقر المغرب إلى مصـادر الطاقة وخاصة البترول والغاز الطبيعي.

خريطة رقم 3: مصادر الطاقة والمعادن بالمغرب سنة 2012



https://www.alloschool.com/element/129890

يظل إنتاج المغرب من بعض مصـــادر الطاقة ضــعيفا رغم ما يبذله من مجهودات متواصـــلة في مجال التنقيب عنها. وإذا كان باطن الأرض يحتضـــن احتياجات هائلة من الصخور النفطية، فإن استغلالها المجدي مازال يصطدم بصعوبات فنية وتقنية لم يتم التغلب عليها إلى حد الآن.

يعرف القطاع المعدني عدة مشـــاكل، منها: ندرة الاكتشـــافات، انهيار أســعار المعادن في الأسواق الدولية، ضعف الاستثمارات، ارتفاع تكلفة الاستخراج. ويستخرج الفوسفاط من مناطق خريبكة واليوســـفية وبوكراع وبن جرير، وتتوزع باقي المناجم المعدنية عبر التراب الوطني مع تمركز أكثر في جبال الأطلس الصغير والهضبة الوسطى، في حين توجد بعض آبار البترول ناحيتي الصويرة وسيدي قاسم، وتتمركز مناجم الفحم في المغرب الشرقي.

اتخذ المغرب بعض التدابير في مجال الطاقة والمعادن، من بينها: التنقيب والبحث عن مصادر ومناجم جديدة (برا وبحرا)، وجلب استثمارات أجنبية لخلق الصناعات التحويلية داخل المغرب بدل تصدير ثرواته على شكل مواد خامة، والاقتصـاد في استهلاك الطاقة والاهتمام بالطاقات المتجددة (شمسية وريحية). وينتظر أن يعرف قطاع الطاقة ثورة هامة بدخول أنبوب الغاز، نيجيريا / المغرب، مرحلة الاستغلال، علما أن الدراســة أيضــا جارية لاستخراج الطاقة من الصخور النفطية، والاتفاقيات مع الشركات الأجنبية للتنقيب عن البترول وقعت بالنسبة لعدة مواقع واعدة ...

لقد قطع المغرب أشواطا كبيرة من أجل إرساء سياسة اقتصادية جديدة تروم تخليص اقتصاده من التبعية وذلك بتحقيق استقلال وأمن طاقي وطني تدريجي، بما سيقلص استيراد مليون طن سنويا من مصادر الطاقة الأحفورية، والحفاظ على نظافة بيئته (محمد الطيلسان، 2020)، لهذا التزم المغرب بالعمل على بلوغ إنتاج ما يفوق 55% من الكهرباء بحلول سنة 2030، 20% منها من الطاقة الشمسية ومثيلاتها من الطاقة الريحية، بالإضافة إلى 12% من الطاقة الكهرومائية، وتم تكليف الوكالة المغربية للطاقة الشمسية MASEN بالإشراف على تنفيذ برامج الطاقة الشمسية "نور" عبر بناء مركبات شمسية متعددة التقنيات في مختلف أقاليم المغرب الشمالية والشرقية (MASSEN et UBIFRANCE, 2015).

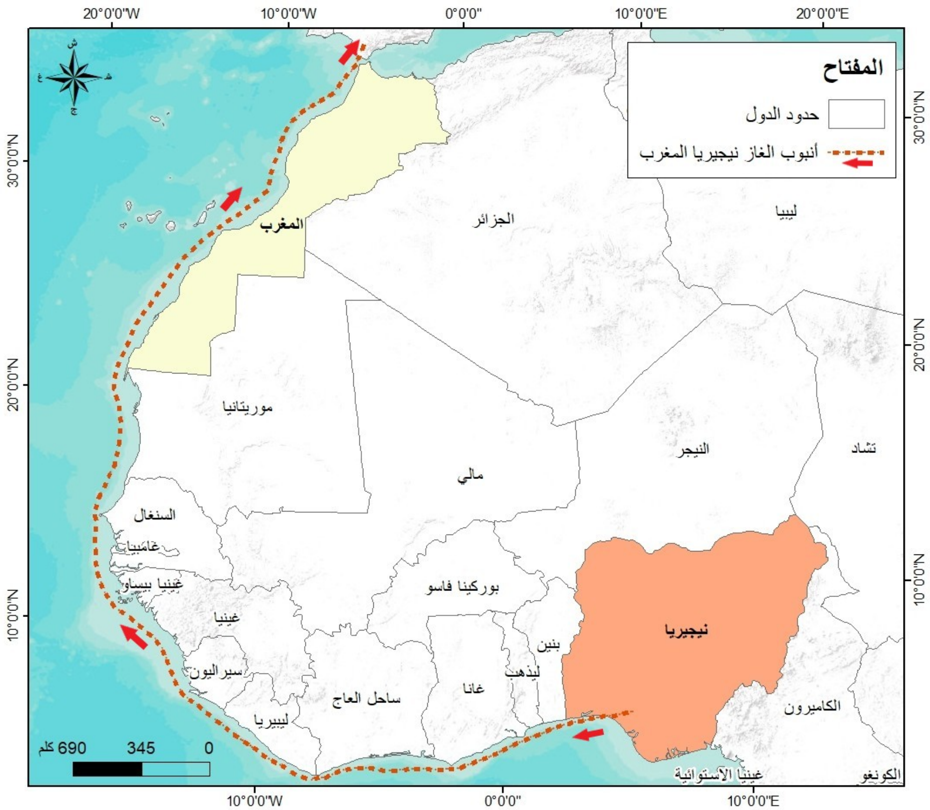
كما أن إمكانيات المغرب من الطاقة الريحية تقدر بحوالي 25 ألف ميغاوات والتي لا يستغل منها سوى ألف ميغاوات والمخطط الوطني للطاقة الريحية يطمح بلوغ 2000 ميغاوات/سعة/سنة أي باستثمار سيمكن من بناء 14 موقعا لإنتاج الكهرباء خصوصا في الواجهة الغربية لسلسلة جبال الريف وعلى الساحل الأطلنطي الصحراوي. ولتأمين حاجياته وحاجيات بعض دول أفريقيا الأطلسية وأوروبا من الغاز الطبيعي. (محمد بنسعيد: 2022).

أبرم المغرب اتفاقية هامة وغير مسبوقة مع دولة نيجيريا المحتضنة لمخزون هائل من الغاز لمد أنبوب الغاز المغرب نيجيريا والذي سيمر عبر 16 دولة بطول يقارب حوالي 5000 كلم وبتكلفة تقارب 50 مليار دولار (EGE2020). وسيكون له وقع على 340 مليون شخص في المنطقة، وسيعمل على دمج اقتصاديات البلدان المعنية، وهذا يجسد بالفعل التعاون الاقتصادي جنوب – جنوب والذي سيساهم بشكل جذري في تعزيز الأمن الطاقي والنهوض بأعباء التنمية المستدامة وتوفير سبل العيش الكريم لمجموعة من دول الساحل الأطلنطي الإفريقي (هسبريس، 2022).

قدم المغرب في مؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ COP28 الذي عقد في شرم الشيخ أواخر 2023، عرضًا طموحًا يهدف إلى جعله رائدًا عالميًا في مجال إنتاج الهيدروجين الأخضر. ويستند هذا العرض إلى الإمكانيات الهائلة للطاقة المتجددة التي يتمتع بها المغرب بفضل موقعه الجغرافي المميز، الذي يتيح الحصول على كميات كبيرة من أشعة الشمس وطاقة الرياح، مما يسمح بإنتاج الهيدروجين الأخضر بتكلفة تنافسية. وقد أظهرت الحكومة المغربية التزامًا قويًا بتطوير هذا القطاع، حيث خصصت استثمارات كبيرة لهذا المشروع مدعومة بالبنية التحتية المتطورة التي تشمل موانئ عميقة وأنابيب غاز تُسهل عملية التصدير. (الوكالة المغربية للطاقة المتجددة https://www.masen.ma/).

وبذلك يمكن القول أن البلاد مقبل على مرحلة الانتقال الطاقي، وعازم على أن ينوع مداخل اقتصاده بالانتقال من بلد يعتمد أساسا على الفلاحة إلى بلد الابتكار في ميدان تطوير الخبرات وتصديرها وميدان الصناعات الاستراتيجية الدقيقة (السيارات، الطائرات، الأدوية، الطاقات المتجددة).

خريطة رقم 4: مشروع أنبوب الغاز نيجيريا – المغرب -أوربا



المصدر: من إنجاز المؤلفين

لقد تطرقنا في هذه المادة إلى معظم أصناف وأنواع الطاقة الفانية ونقصد بها الأحفورية، من خلال مصادرها وطرق تكوينها ونشأتها وإنتاجها وتوزيعها واستهلاكها ودورها في تحريك عجلة الاقتصاد الكوني وإسعاد البشرية، دون إغفال وجهها القاتم المتعلق بأضرارها البيئية. كما أشرنا أيضا إلى مستقبل الطاقات المتجددة والواعدة والمستدامة والصديقة للمكونات الحيوية مبرزين الدور الريادي للمملكة المغربية في إنتاج واستغلال الطاقات النظيفة.

قائمة المفاهيم والمصطلحات باللغات الثلاث

محور جغرافية الطاقة

الاسم بالعربية	الاسم بالفرنسية	الاسم بالانجليزية
جغرافية الطاقة	La géographie de l'énergie	The geography of energy
الحرارة	Température	Temperature
الطاقة الريحية	Energie éolienne	Wind power
الطاقة المائية	Energie hydraulique	Hydro-electric power
المواد الأحفورية	Ressources fossiles	Fossil resources
الفحم	Charbon	Coal
البترول	Pétrole	Oil
الغاز	Gaz	Gas
الطاقات المتجددة	Energies renouvelables	Renewable energies
الريع النفطي	Rente pétrolière	Oil rent
التركيب الكيميائي والفزيائى	Composition physicochimique	Physicochemical composition
النضوب	Pénurie	Shortage
الغمر البحري	Transgression marine	Marine transgression
المناطق المنقعية	Zones marécageuses	Swampy areas
الكربنة	Carbonisation	Carbonization

Anthracite coal	Anthracite	فحم الأنتراسيت
Bituminous coal	Bitumine	فحم البيتوميني
Lignite coal	Lignite	فحم اللجنيت
Hydrocarbons	Hydrocarbures	الهيدروكاربونات
Geopolitics	Géopolitique	الجيوسياسية
OPEC	OPEC	أوبك
Barrel of oil	Baril de pétrole	برميل من النفط
Speculation	Spéculation	المضاربة في الأسعار
Solar energy	Energie solaire	الطاقة الشمسية
Biomass	Biomasse	الكتل الحيوية البيوماس
Nuclear energy	Energie nucléaire	الطاقة النووية

قائمة مراجع جغرافية الطاقة

-محمد الطيلسان (2020) المغرب وتنمية موارده الطاقية المتجددة والنظيفة لرفع التحديات السوسيوقتصادية والبيئية في أفق سنة 2030، ضمن مؤلف الصحراء الأطلنتية المغربية البيئة والمجال وتحديات التنمية الترابية المستدامة، من تنسيق عبد الرحيم وطفة وعبد العزيز فعراس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 202، مطبعة الأمنية الرباط.

- أ. نصري دياب (2011): جغرافية الطاقة، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان.

- الدليمي أحمد صبحي (2018): جغرافية الطاقة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن.

-أوليفيا وايد وآخرون (2022) الحرب في أوكرانيا تسفر عن اثنى عشر اضطرابا تغير وجه العالم، reader_input@mackinsey.com

https://www.mckinsey.com/featured-insights/highlights-in-arabic/war-in-ukraine-twelve-disruptions-changing-the-world-arabic/ar

-رسالة الملك محمد السادس إلى المشاركين في أشغال اجتماع التجمع الإفريقي لوزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية للدول الإفريقية الأعضاء في البنك وصندوق النقد الدوليين المنعقد بمراكش، الثلاثاء 05 يوليوز 2022 ، الجريدة الإلكترونية هسبريس.

-الوكالة المغربية للطاقة المتجددة https://www.masen.ma/

-الأمم المتحدة www.info

-الوكالة الدولية للطاقة المتجددة (IRENA): https://www.irena.org/

-البنك الدولي https://www.worldbank.org/en/home

-وكالة الطاقة الدولية (IEA): https://www.iea.org/

-الموقع الرسمي للعلوم والتكنولوجيا

(ScienceDaily): https://www.sciencedaily.com/

-منظمة السلام الأخضر

(Greenpeace): https://www.greenpeace.org/international/

-مؤسسة المناخ والطاقة

(Climate Action Tracker): https://climateactiontracker.org/

-وزارة الطاقة والمعادن والثروات المائية والبيئة - المملكة المغربية

https://www.mem.gov.ma/ar/Pages/rapports.aspx

-المعهد المغربي للطاقة الشمسية https://ma-ir.pl/

-المركز المغربي للطاقة والكفاءة الطاقية https://www.amee.ma/

-الوكالة المغربية للطاقة المتجددة https://www.masen.ma/

-عبد الرحيم بوعنان، الطاقة المتجددة في المغرب: التحديات والفرص، 2020.

- محمد بنسعيد، مستقبل الطاقة في المغرب: سيناريوهات وآفاق، 2022

- Bennouna .A. (2011) : Monographie de l'énergie au Maroc, Ed, Isticharsarl

- Conseil économique, social et environnemental (2020) : Accélérer la transition énergétique pour installer le Maroc dans la croissance verte.

- Diouf Aziz (2018) : Energie renouvelable : Le Maroc, un modèle unique en Afrique.

- Faizal Yahya et Abd Rahim Md Nor (2019) Énergie mondiale : enjeux, potentiels et implications politiques

- Geopolitics of Energy: Articles and analysis on the geopolitical implications of energy resources: https://www.brookings.edu/International Renewable Energy Agency (IRENA): Geography of Renewables publications focusing on specific renewable resources and their geographic distribution: https://www.irena.org/

- https://mawdoo3.com.

- https://www.mondedesgrandesecoles.fr.

-https://www.connaissancedesenergies.org/fiche-pedagogique/reserves-de-petrole-dans-le-monde.

- J.M. Powell (1980) The Geography of Energy.

- Le magazine GEO https://www.geo.fr/

- MASSEN et UBIFRANCE (2015) : L'énergie solaire au Maroc.

- Revue "Nature Energy" https://www.nature.com/nenergy/articles
- Revue Renewable and Sustainable Energy
- Revue : "Energy Policy": https://www.sciencedirect.com/journal/energy-policy
- The World Bank - The Geography of Transformation: Shifting Freight Flows and Implications for Trade : https://www.worldbank.org/en/news/statement/2023/01/13/world-bank-group-statement-on-evolution-roadmap

المبحث الثالث: : الجغرافيا الصناعية وإشكالية التوطين[1]

مقدمة

1-: جغرافية الصناعة: مفهومها وأصناف الصناعات وتطورها.

2-: الاتجاهات الفكرية لجغرافية الصناعة

3-: الأنشطة الصناعية المفهوم المقومات والأنواع

خاتمة

مقدمة

تعتبر الجغرافية الصناعية (géographie industrielle) فرعاً من فروع الجغرافية الاقتصادية، وتهتم بدراسة الإنتاج الصناعي بأنواعه وأنماطه المختلفة، من خلال الاهتمام بعوامل توطين المنشآت الصناعية المتعلقة بالمواد الأولية المعدنية، والطاقية، والنقل، والرأسمال، والموارد البشرية، والأسواق، وسياسة التخطيط الرسمية للدولة، ورغبات الفاعلين الصناعيين. كما تقارب أنواع الصناعات كالصناعات المنجمية الاستخراجية، والصناعات التعدينية الثقيلة، والصناعات التحويلية الخفيفة، والصناعات العالية التكنولوجية؛ وكذا نوع المجالات الصناعية، مثل المراكز الصناعية، والمناطق الصناعية، والنطاقات الصناعية وأقطاب الصناعات الدقيقة، وشبكة المقاولات الصناعية، والشركات المتعددة الجنسيات، فضلا عن اهتمامها على المستوى الوطني بعلاقة الصناعة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالمحيط البيئي، وعلى المستوى العالمي بأصناف الدول حسب

1 محمد الأسعد

درجة التصنيع: الدول الصناعية في الصدارة والدول الصناعية الجديدة والدول الصاعدة أو في طور التصنيع والدول غير المصنعة.

يسعى هذا الفصل من الكتاب إلى الوقوف على مفهوم الجغرافية الصناعية وأصنافها وتطورها والاتجاهات الفكرية المرافقة لها، ومقومات النشاط الصناعي، وأخيرا، توزيع النشاط الصناعي عبر العالم، وإلى تعميم وتبسيط ماهية هذه المادة وموضوعها وفهم أهم مراحل تطور الاتجاهات الفكرية الناظمة لها والغاية من تدريسها.

وتتميما للفائدة الحقت بالفصل قائمة لقاموس أولي متضمن للمفاهيم الرئيسية والمصطلحات التي يتضمنها، وعناوين أهم المراجع والمصادر المعتمدة في تأليفه.

1. : جغرافية الصناعة: مفهومها وأصناف الصناعات وتطورها.

1.1 مفهوم جغرافية الصناعة

جغرافية الصناعة هي فرع من الجغرافيا الاقتصادية، وتهتم بوصف بنية وتوزيع أصناف الصناعات (صناعات أساسية وتحويلية ودقيقة) وتفسيرها بناء على عوامل طبيعية (موارد طبيعية...) وبشرية (يد عاملة، حركية الرساميل، جاذبية الأسواق، النقل).

يصنف علماء الاقتصاد الأنشطة الصناعية ضمن ما يطلق عليه: القطاع الاقتصادي الثاني[2]. (Fisher, 1935; Clarck, 1940)، حيث تقوم الصناعة كنشاط اقتصادي

[2] تصنيف الأنشطة القطاعية الأكثر شيوعا هو الذي اقترحه آلن فيتشر (Allan.G. Fisher) سنة 1935 في كتابه الشهير(The clash of progress and security). وقد عممه الأسترالي كولان كلارك (Colin Clark) في الأربعينيات من القرن XX في كتابه: (les conditions économiques du progrès). وقد قسمت الأنشطة الاقتصادية إلى ثلاثة قطاعات. قطاع أول يشمل كل الأنشطة التي تقوم بتحويل الوسط الطبيعي: فلاحة، صيد، استغلال الغابة، استخراج المعادن. قطاع ثاني يشمل كل الأنشطة المرتبطة بالتحويل الصناعي للمواد الأولية المنتجة من طرف هذا القطاع الأول. قطاع ثالث يشمل أنشطة متنوعة، لاسيما تلك التي تربط أنشطة القطاع الأول بالثاني، علاوة على المستهلكين: نقل، تجارة، خدمات. وفي الثمانينيات من القرن XX، أقترح البعض قطاعات رابعا يسمى أحيانا قطاع ثالث أعلى يشمل أنشطة ذات تكنولوجيات عالية، وخدمات ذات قيمة مضافة عالية، تمثل ما بعد الصناعة وتستند على البحث، التنمية، المعلوميات، الاتصال... (Charvet Sivignon, 2014)

على تحويل المواد الطبيعية الخام (معدنية، نباتية، حيوانية...) إلى مواد قابلة للاستعمال بالاعتماد على مصادر الطاقة المتنوعة من بترول وكهرباء بجميع أصنافها. وقد عرف قطاع الصناعة عدة تطورات منذ نهاية القرن 19م، حيث تطورت مصادر الطاقة من الفحم إلى النفط والغاز، قبل أن تتطور الطاقة النووية وتظهر الطاقات المتجددة. كما تطورت أساليب العمل وأصبحت الآلات تعوض اليد العاملة في كثير من المجالات، وتم التخلي عن المواد الأولية الثقيلة والملوثة، لتحل محلها مواد جديدة، نظيفة وسهلة التداول.

2.1 أصناف الصناعات

تصنف الصناعات إلى أنواع ثلاثة، نجملها في: (Baud 1995 ,)

- صناعات أساسية (industries de base) وهي أنشطة صناعية تحويلية للمواد الأولية إلى مواد نصف مصنعة. تسمى أيضا الصناعات الأساسية أو الثقيلة (industries Lourdes)، وتعتبر من الصناعات الكبرى التي تحتاج رأسمالا كبيرا. ومن أمثلتها صناعة التعدين والصناعات الاستخراجية.
- الصناعات التحويلية (industries de transformations) وهي التي تعتمد في جل أنشطتها على استعمال المواد نصف مصنعة التي أنتجتها الصناعات الأساسية في صناعة المواد التجهيزية (industries des biens de production, ou des équipments) أو الآلات والمحركات ومقصورات النقل.
- صناعات مواد استهلاكية يومية (industries des biens de consommation courante) مثل أدوات المطبخ والأدوات الإلكترونية.
- صناعات غذائية (industries agro- alimentaires) وهي التي تنتج مواد استهلاكية مستخلصة من المواد الفلاحية

- صناعات دقيقة: (industries de pointe) وهي التي تنتج مواد ذات تكنولوجية عالية (high tech)، وتعتبر الصناعات الدقيقة من الصناعات الخفيفة لأنها تستعمل قليلا في المواد الأولية، وتنتج قيمة عالية، مثل أجهزة الاتصال والصناعات الصيدلية والإلكترونية. وتعتمد على الاستثمار في البحث العلمي والابتكار كما تحتاج إلى دعم مالي عالي.

3.1 تطور النشاط الصناعي

عرفت الصناعة تطورا يمكن إجماله في فترتين: فترة صناعية وفترة ما بعد صناعية.

فترة ما بعد صناعية: نهاية القرنXX إلى الوقت الراهن	**فترة صناعية: نهاية القرن XVIII-نهاية القرن XX**	**فترة قبل الصناعية: قبل نهاية القرن XVIII**
صناعات دقيقة	صناعات أساسية صناعات تحويلية	الصناعات التقليدية

الشكل1: الخط الزمني لتطور النشاط الصناعي

دشنت الثورة الصناعية في نهاية القرن XVIII بإنجلترا عهدا جديدا يسمى بالفترة الصناعية، التي تميزت بعهدين صناعيين:

حدثت الثورة الصناعية الأولى في نهاية القرن XVIII إلى نهاية القرن (XIX). وتميزت باستعمال الفحم الحجري كطاقة أساسية واختراع الآلة البخارية بإنجلترا (1770م). حيث شهدت هذه المرحلة ازدهار الصناعات الأساسية وصناعة النسيج، واعتماد الصناعة على السكك الحديدية كوسيلة أساسية للنقل.

أما الثورة الصناعية الثانية فحدثت منذ نهاية القرن XIX ولاسيما بالولايات المتحدة وألمانيا. وتميزت بالاعتماد على مصادر جديدة للطاقة، وخاصة الكهرباء، والغاز والبترول. فازدهرت موازاتا لذلك قطاعات الصناعات التحويلية مثل الصناعات الكيماوية وصناعة السيارات.

في نهاية القرن XX وخاصة منذ الثمانينيات منه، حدث ما عرف بفترة ما بعد الصناعية، ولا زالت مستمرة إلى الوقت الراهن. وتميزت باستعمال الطاقات المتجددة النظيفة والطاقة النووية وتطور الصناعات الدقيقة، خاصة في ميدان تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوميات والذكاء الصناعي واستعمال الإنسان الآلي (robot) والتسيير الذاتي (automatisation) في سلاسل الإنتاج؛ علاوة على انتشار التدبير الآلي للمعلومات

الضخمة (big data) بواسطة الحواسيب الكبرى، قصد تأمينها وتحيينها ومراقبة جودتها وسرعة توظيفها.

2. الاتجاهات الفكرية لجغرافية الصناعة

عرفت جغرافية الصناعة تطورا في مفهومها، يمكن إجماله في أربعة اتجاهات فكرية وهي: الاتجاه الكلاسيكي والاتجاه الوضعي المحدث والاتجاه الراديكالي والاتجاه السلوكي.

1.2 الاتجاه الكلاسيكي

تميز الاتجاه الكلاسيكي في جغرافية الصناعة بتغليب الملاحظة والاستقراء وعدم وجود مفهوم ينظم موضوع التوطين الصناعي. وقد عرف ثلاث مقاربات

(Bailly, A. & Béguin, H. ;1982, op. cit)

- المقاربة الاولى: الاستقصاء ويقوم على جرد قائمة الأنشطة الصناعية (George,1970; Gachelin,1977) وأصناف الأنشطة الصناعية مثل التعدين وصناعة الألمنيوم وصناعة السيارات.
- المقاربة الثانية: اهتم العديد من الباحثين بوصف أصناف التوطين الصناعي ومحاولة إيجاد تعليلات وتفسيرات للمشهد الصناعي (paysage industriel) الناجم عن توطين عدة أصناف من الصناعات (Dezezrt & Verlaque, 1978) .منتهيا إلى تمييز أشكال تنظيم المجال الصناعي أهمها:

أ- اشكال أوليه للتركيز الصناعي.

ب- صناعات حضارية.

ج- مجمعات صناعية في الأودية والسواحل.

د- مجمعات في أحواض ومركبات صناعية.

حيث اقترح بعض الجغرافيين أمثال دِيريُو (Derruau1961) تصنيف المركبات الصناعية على النحو التالي:

أ- مركبات صناعية مشتتة في الأرياف.

ب- المنطقة الصناعية الاستخراجية مع صناعات التحويل الأولي.

ج- حوض صناعي استخراجي قديم مع صناعات ثقيلة.

▪ المقاربة الثالثة: بينما اقترح آخرون لتفسير دوافع التوطين الصناعي، جرد وتحليل عوامل مثل سهولة الحصول على القروض وولوج سوق الرأسمال والطاقة ووفرة اليد العاملة، وأسواق الاستهلاك.

2.2 الاتجاه الوضعي المحدث

يستند الاتجاه الوضعي المحدث في جغرافية الصناعة على الاستدلال، وهو تأطير البحث بإطار نظري تنظمه مفاهيم وتوجهه فرضيات. ويعد الفريد فيبر[3] (Alfred, Weber 1909) وهو اقتصادي الماني من الرواد الأوائل الذين أثروا في الجغرافيا الاقتصادية الوضعية المحدثة. حيث شيد، فيبر، نظرية التوطين الصناعي بناء على خطوتين: خطوة الفرضيات وخطوة الإجراءات.

الخطوة الاولى: الفرضيات.

لتفسير مواقع التوطين الصناعي، افترض، "فيبر"، الفرضيات التالية:

- وجود مجال متجانس تكون فيه تكلفة النقل متناسبة مع المسافة.

- تحدد في المجال المتجانس عدة مواقع وهي أماكن استخراج المعادن والإنتاج الصناعي واستهلاك المنتجات. وتصنف المواد الأولية الى ثلاث فئات: فئة المواد واسعة الانتشار بأثمنة موحدة (مثل طوب البناء) وفئة المواد الخالصة والتي يمكن استعمالها بالكامل دون أن

3-ألفريد فيبر (Alfred Weber 1868- 1958) اقتصادي ألماني اهتم بالتحليل المجالي. أصدر مؤلفات منذ سنة 1909 في نظرية التوطين الصناعي أثرت في الجغرافيا الاقتصادية ومنها:

Uber den standort der industrien. Erster Teil :Reine theorie des standorts ,Tubingen ,1909-

Theory of the location of industries, Chicago, University of Chicago Press ,1929 (1re Edition Allemande 1909-

تفقد وزنها (مثل خيط النســيج) وفئة المواد التي تفقد وزنها أثناء المعالجة الآلية. واعتبر في نظريته تأثير بعض عوامل الاقتصاد الخارجي التي تصاحب تركيز المصانع والتي يسميها آثار التجمع (Les effets d'agglomération)

الخطوة الثانية: الإجراءات.

يقترح، فيبر، أربع إجراءات للتوطين الأمثل لمصــنع ينتج مواد مصــنعة، بناء على البيانات السابقة التي وردت في خطوة الفرضيات مع مراعاة تقليل كلفه النقل:

ا- تحديد لائحة موجهة لصنفين من التوطين صنف أول ناجم عن إنتاج مواد خالصة مصنعة وصنف ثاني لمصانع تنتج مواد بينية بين مكان إنتاج المواد الأولية وبين السوق.

ب- اقتراح حل ميكانيكي يعرف باســم مثلث، فيبر، يحدد مركزه رياضــيا وهندســيا بواسطة خطوط.

ج- اقتراح حل هندسي وهو ما يعرف باسم منحنيات متساوية التكلفة (isodapane) والتي تجعل مدير المصــنع يعتبر إكراهات أخرى مثل مكان إيواء العمال، علاوة على المواد الأولية والنقل.

د- اقتراح حل رياضــي والذي يقضــي بتحديد عتبة، تجعل الاقتصــاد التخارجي للمستوطنات البشرية، تتفوق على تعاظم النقل.

لاحظ، "فيبر"، أن المصــانع نادرا ما تكون منعزلة، وذاك عنصــر قد يكون إيجابيا بالنسبة لمعمل صغير، حيث يستفيد من ريع القرب من المعمل الكبير.

3.2 الاتجاه الراديكالي

يعتمد الاتجاه الراديكالي على مفهوم نمط الإنتاج بمرجعيته المادية التاريخية المبنية على مفاهيم ماركسية، لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية وصراع الطبقات. يحاول الاتجاه الراديكالي في جغرافية الصــناعة فهم أصــناف العلاقات غير المتكافئة وإيديولوجيات الجماعات المهيمنة المسؤولة عن التوطين الصناعي. (Bailly, A & Béguin, H. 1982, op., cit). انتقد الاتجاه الراديكالي الاتجاه الوضــعي المحدث، متهما إياه بأنه نشــأ في أحضــان الرأســمالية ويفســر وضــعا قائما، مما يســهل إعادة إنتاجه (LIoyd & Dickenl, 977 ; Mauzogol, 1980, Smith, 1981).

الاتجاه الراديكالي البنيوي، ويعتمد التفسير الشمولي في زمن طويل بواسطة المنهج الديالكتيكي. حيث يرى هذا الاتجاه أن التوطين الصناعي يقوي الطبقات المهيمنة التي تحتكر الرأسمال، مما يؤدي إلى تقسيم مجال العمل والرأسمال وتهميش مجالات أخرى. وهو أمر يترتب عنه تثمين فقر المجالات الفقيرة أصلا (Mouril & wohlenberg, 1971). حيث يعتقد رواد هذا الاتجاه أن دور الإيديولوجيات المهيمنة هو الحفاظ على الأمر الواقع وعلى الامتيازات المكتسبة، وبالتالي فإن فكرة المساواة بواسطة النمو الاقتصادي فكرة مثالية (Harvey, 1973).

4.2 الاتجاه السلوكي

ظهر الاتجاه السلوكي في ثمانينيات القرن العشرين، وهي الفترة التي عرفت تحولا في الأنشطة الصناعية وذلك بالانتقال التدريجي إلى مرحلة ما بعد الصناعة وهيمنة اقتصاد المعرفة. يستند الاتجاه السلوكي على الظاهراتية التي تؤكد أن مصدر أي قرار هو الذاتية، وأنه من الصعب البحث عن نظريات عامة، بل يجب البحث عن الأسباب الذاتية للمواقف والقرارات البشرية.

انتقد الاتجاه السلوكي الوضعية المحدثة لدى "فيبر"، (Weber)، حيث يفترض أن المنتج يحاول تعظيم الفائدة وأنه يتوفر على كل المعلومات، ويغفل الحقائق المعايشة (Pred, 1969) وهي كمية المعلومات التي يتوفر عليها المقرر وقدرته على استعمالها.

تزامن الاتجاه السلوكي مع الثورة الصناعية الثالثة في العقود الأخيرة من القرن العشرين وأهم تجلياتها: تناقص فرص الشغل المرتبطة بالأنشطة الصناعية وذلك بفعل تزايد المكننة والرقمنة. كما انتشرت ظاهرة ترحيل الأنشطة الصناعية (Délocalisation industrielle) نتيجة توسع العولمة. مما أدى إلى تباينات مجالية كبيرة بين الجهات التي تحولت إلى اقتصاد المعرفة والمناطق الصناعية (Moretti,2002)، وأدى تطور الأنشطة الإنتاجية إلى ظهور صناعات ثالثة. ويعد انتشار الصناعات الإلكترونية والمعلوماتية من أهم تجليات الثورة الصناعية الثالثة. إذ أصبح البحث والابتكار يتقوى، وتزايدت الأنشطة شبه المنتجة المتعلقة بالنقل والأنشطة العلمية والتقنية والخدمات الإدارية... (Damette & Bechouche, 1993)، مما دعم التوطين الترابي للأحواض الصناعية وخاصة حوض الحياة،

وهو أصــغر وحدة ترابية تمكن الســكان من ولـوج التجهيزات والخدمات (Talandier, 2018) وتوطين الأنشطة الصناعية بناء على مفهوم الأحواض الصناعية:

- **أحواض صناعية سابقة** (bassins ex- industriels) هذه الأحواض في طور الانقراض نظرا لتراجع فرص الشغل.
- **أحواض صناعية تقليدية** (bassins industriels traditionnels) وتـتـمـيـز بـثـقـل الأنشطة الصناعية.
- **أحواض صناعية جديدة** (bassins new- industriels) وهي أحواض ناشئة حديثا.

3. الأنشطة الصناعية، المفهوم المقومات والأنواع

يدخل النشــاط الصــناعي ضــمن القطاع الاقتصــادي الثاني، وتختلف أهميته ودرجة تطوره حسـب الدول، وتنوع المقومات التي يعتمدها. فما المقصـود بالنشـاط الصـناعي؟ وما هي مقوماته وأنواعه؟ وكيف تتوزع الأنشطة الصناعية جغرافيا عبر العالم؟

1.3 مفهوم النشاط الصناعي

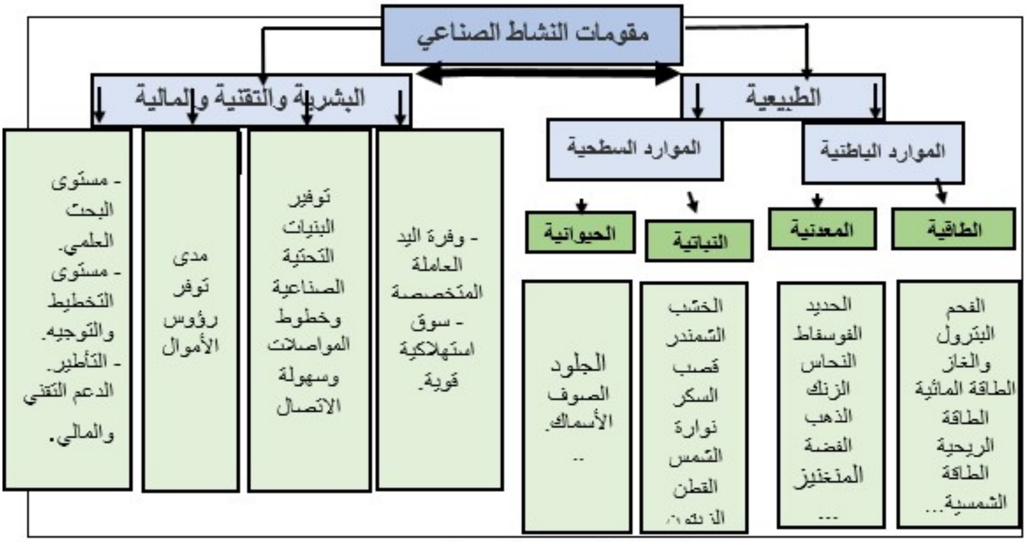
النشاط الصناعي هو مجموع الأنشطة التي تقوم بتحويل الموارد الطبيعية الخام النباتية والحيوانية والمعدنية إلى منتوجات صناعية قابلة للاستهلاك أو الاستعمال في صناعات أخرى، باستعمال مصادر طاقية متنوعة... ويختلف تصنيف النشاط الصناعي تبعا للمعيار المعتمد في التصنيف. فهناك من يصنفها على أساس حجم المقاولة الصناعية، صناعة صغيرة ومتوسطة وكبيرة ضخمة، وهناك من يصنفها على أساس الأداة المستعملة في التصنيع: صناعة يدوية صناعة آلية، أو على أساس حجم التجهيزات: صناعة ثقيلة وصناعة خفيفة، وعلى أساس نوعية المنتوج الصناعي وطبيعة تصريفه: الصناعة الاستهلاكية والصناعة التجهيزية والصناعة الأساسية[4].

[4]- Brunet (R.) et ALL (1996): Les mots de la géographie, dictionnaire critique, pp 275-276

2.3 مقومات النشاط الصناعي

يحتاج تطوير الصناعة إلى وفرة الرساميل، واليد العاملة المتخصصة، واتساع السوق الاستهلاكية. إضافة إلى كثرة الموارد الأولية المعدنية، والنباتية، والحيوانية، ومصادر الطاقة المتنوعة من بترول وغاز طبيعي وكهرباء، أو طاقات متجددة، مع الاعتماد على البحث العلمي والتقنيات المتطورة.

خطاطة رقم 1: مقومات النشاط الصناعى



المصدر: اقتراح وإنجاز فريق البحث 2023

3.3 عرف النشاط الصناعي تطورات مهمة

الصناعة هي نشاط اقتصادي يقوم على تحويل المواد الأولية المستخرجة من الطبيعة إلى منتوج قابل للاستهلاك عن طريق استعمال مصادر طاقة متنوعة. ويمر هذا التحويل بمجموعة من المراحل. وقد عرف النشاط الصناعي تطورات مهمة، توجت بالاتجاه نحو الرفع من الجودة، والاستغناء عن اليد العاملة وتعويضها بالآلة في مختلف مراحل الإنتاج.

4.3 التوزيع الجغرافي للنشاط الصناعي

تسعى القطاعات الصناعية إلى تخفيض تكاليف الإنتاج بإقامة المنشآت الصناعية قرب أماكن إنتاج المواد المعدنية والطاقية ومناطق التجمعات البشرية. وتتركز أهم المناطق الصناعية الكبرى شمال خط الاستواء، بحيث تتمركز بشرق الولايات المتحدة الأمريكية وكندا

وغرب أوربا وبروسيا ودول شرق أوربا، بالإضافة إلى شمال وشرق الصين، واليابان. وبذلك تتركز هذه المناطق بدول الشمال (الدول المتقدمة) وتقل التجمعات الصناعية بدول الجنوب، التي تضم مناطق صناعية أقل أهمية بكل من التنينين الأربع أو ما يصطلح عليه النمور الأسيوية (كوريا الجنوبية، وتايوان، وسنغفورة، وهونغ كونغ)، وأستراليا، وجنوب إفريقيا، والبرازيل.

شهد توزيع الصناعات تطورات عديدة نتيجة تغير العوامل المحددة لمواقع التوطين. فوجود الصناعات في مكان ما، قد لا يعني بالضرورة استفادة السكان والتراب من ريعها وفوائدها:

- اعتبرت المواد الأولية في البداية من أهم العوامل المحددة لمواطن إقامة الصناعات، حيث يتم استخراج المعادن، فتصنع في عين المكان، إذ تستقر المعامل داخل الأحواض المنجمية (حوض الأورال وحوض دونباس ببروسيا، حوض الرور بألمانيا، خريبكة، بوكراع، ...) أو تنقل المواد الأولية نحو مجالات التصنيع التي غالبا ما تستقر على الشواطئ، أو على ضفاف الأنهار الصالحة للملاحة، أو على طول خطوط السكك الحديدية...، حيث تراعى في ذلك تكلفة النقل وسهولة الولوجية؛
- لعبت وفرة اليد العاملة في بداية حركة التصنيع دورا أساسيا في توطين الصناعات التي تتطلب تجنيد أعداد كبيرة من العمال؛ فكان العمال ينقلون إلى حيث توفر الصناعات فرص العمل. مما أدى إلى ظهور التكتلات ونشأة المدن العمالية وما صاحبها من المشاكل البيئية والاجتماعية. لكن مع تطور التكنولوجية واعتماد العمل الآلي، تضاءلت أهمية هذا العامل، بينما تنامى دور الرساميل ومختبرات البحث ووفرة الخبرة، حاسما في تحديد مواطن الصناعة.
- أدى ازدياد الوعي بالمشاكل البيئية الى نقل العديد من الصناعات الملوثة أو التي تتطلب تجييش الكثير من اليد العاملة (الصناعات الكيماوية، الصناعات النسيجية والتركيبية، ...) إلى نقل معاملها في اتجاه الدول الفقيرة، التي زيادة على تلك الجوانب السلبية تضطر أن تخفض من الضرائب والرسوم لتستقبل تلك المعامل، مقابل بعض الوظائف الثانوية التي توفرها تلك المعامل؛

- تعتبر المناطق المزدحمة بالسكان ملاجئ للكثير من الصناعات، بالنظر لما توفره من الأسواق ومن اليد العاملة، والمواد الأولية أحيانا

خلاصة عامة

يستنتج من دراسة بنية الصناعة العالمية، أن القطاع عرف تطورات جد مهمة نتيجة الثورات التقنية والتكنولوجية التي شهدها العالم. فابتداء من القرنين الثامن والتاسع عشر، فرض استغلال الفحم والحديد، وبعدهما النفط والغاز والكهرباء، بشكل واسع، ارتباط القطاع الصناعي بمواقع انتاج هذه المواد وبالموانئ أو المحطات السككية التي بإمكانها استقبال وشحن المواد الثقيلة. وبعد اكتشاف واستغلال النفط والغاز والكهرباء وتطور وسائل النقل وتقنيات الإنتاج، أصبح البحث عن اليد العاملة الرخيصة وأسواق الاستهلاك، من العوامل المحددة لتوطين الصناعات. ويبدو أن الرحلة لم تنته، وأن الارتباط يميل أكثر فأكثر بمواقع تواجد مراكز البحث والمختبرات والتمويلات، بينما ينفك الارتباط تدريجيا مع المواد الأولية الثقيلة والملوثة. ويمكن عموما تصنيف دول العالم إلى ثلاث فئات: دول مصنعة وأغلبها في الشمال، ودول في طور التصنيع، ودول تكتفي ببيع المواد الأولية الخام واستهلاك ما انتجه الآخرون.

مفاهيم ومصطلحات:

العربية	الفرنسية	الانجليزية
جغرافية الصناعة	Géographie de l'industrie	Geography of industry
صناعة أساسية	Industrie de base	Basic industry
صناعة تحويلية	Industrie de transformation	Industrie de transformation
صناعة دقيقة	Industrie de pointe	High technology industry
توطين الصناعة	Localisation de l'industrie	Location of the industry
ترحيل الصناعة	Délocalisation de l'industrie	Relocation of industry
ثورة صناعية	Révolution industrielle	Industrial revolution
فترة ما بعد صناعية	Ere post- industrielle	Post industrial era

أهم المراجع والمصادر المعتمدة في تأليف الفصل

- Bailly, A. & Béguin, H. ;1982, Introduction à la géographie humaine. Masson.
- Bales, J.; 1976, The location of manufacturing industry. Edinburg. Olivier and Boyd
- Baud, P. ;1995, Dictionnaire de géographie. Hatier. Paris.

- Brunet, R., Ferras, R. &Théry, H. ,1992, Les mots de la géographie, dictionnaire critique. Reclus.

- Castells, M. ; 1975, Sociologie de l'espace industriel. Paris. Anthropos.

- Charvet, J-P. & Sivignon, M. (dir) ;2014, Géographie humaine : questions et enjeux du monde contemporain. Paris. A. Colin.

- Ciceri, M-F., Marchand, B. & Rimbert, S. ,2012, Introduction à l'analyse de l'espace. A. Colin

- Dezert, B. & Verlaque, C. ; 1978, L'espace industriel. Paris. Masson.

- Derruau, M. ; 1961, Précis de géographie humaine. Paris. Colin.

- Gachelin, C. ; 1977, La localisation des industries. Paris. PUF.

-George, P. ; 1947, Géographie industrielle du monde. Paris. PUF.

- Haggett, P. ; 1973, L'analyse spatiale en géographie humaine. A. Colin.

- Hamilton, I.; (éd), 1974, Spatial perspectives on industrial organisation and decision-making. Wiley. New York.

- Johnston, J., Gregory, D. & Smith, D.M. ,2009, The dictionary of human geography. Wiley-Blackwell (5th edition).

- Lévy Lussault, M.,2013, Dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés. Bélin.

- Lioyd, P. & Dicken, P. ;1977, Location in space. A theoretical approach to economic geography. Londres. Harper & Row.

- Manzagol, C. ; 1980, Logique de l' espace industriel. Paris. PUF.

- Pred, A.; 1969, Behavior and location for a geographic and dynamic location theory. Royal University of Lund.

- Smith D; 1981, Industrial location: an economic geographical analysis. Wiley. New York

- Talandier, M. & Pecqueur, B., 2018, Renouveler la géographie économique. Economica coll. Anthropos économique).

المبحث الرابع : جغرافيــة الخدمات[5]

المفهوم

مارس الإنسان أنشطة و**خدمات بدائية** يطلق عليها (أنشطة جمع الغذاء) تمثلت في جمع الثمار أو صيد الحيوانات البرية أو الأسماك حيث سميت تلك المرحلة (بالجمع والالتقاط والصيد) وهي أنشطة **الاكتفاء الذاتي** للسكان آنذاك عبر عنها أحدهم بقوله بأن تلك المرحلة "كانت فيها فرص الموت بلا حدود وفرص الحياة كانت في أضيق الحدود". والخدمات هي **الأنشطة الاقتصادية** التي تقوم بها الدولة أو القطاع الخاص أو الأفراد لتوفير منافع معينة **لإشباع حاجيات** ورغبات السكان منها منافع تعليمية وصحية وعقلية ونفسية وذهنية وبدنية وتقنية وبيئية وروحية (Schoumaker .B.M,2023). إن أنشطة الخدمات هي ابنة **الثورة الصناعية** التي حدثت فيما يعرف الآن بالدول الصناعية. فقد بلغت نسبة **القطاع الأول** في نهاية المرحلة الأولى من الثورة الصناعية (سنة 1851) أكثر قليلاً من خمس قوة العمل آنذاك، ثم انخفضت إلى 5% في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، واستمرت في الانخفاض حتى وصلت في منتصف السبعينات من نفس القرن إلى 3%، أما نسبة **القطاع الثالث** فارتفعت من نصف قوة العمل في سبعينيات القرن الماضي، ثم تجاوزت نصف قوة العمل في منتصف الثمانينيات (May. N, 1994). وما حدث في إنجلترا حدث مثيله في دول العالم الأخرى المتقدمة، أي أخذت العمالة في التحول من الأنشطة الأولية إلى الصناعات التحويلية، ثم إلى قطاع التجارة والخدمات، (aws.amazon.com).

التعريف

تعتبر **جغرافية الخدمات** إحدى فروع الجغرافيا البشرية والاقتصادية، حيث اكتسح قطاع الخدمات البُنَي الاقتصادية العامة لجل الدول الصناعية والصاعدة (فؤاد بنغضبان، 2013) وأصبح يشغّل نسبة هامة من اليد العاملة. إن هذا الفرع من الجغرافيا والذي يدعى أيضا بالقطاع الثالث يضم مجموعة واسعة ومتعددة ومتنوعة من الأنشطة: تجارة، نقل،

[5] محمد أزهار

أنشطة مالية وبنكية، وعقارية، خدمات **مقاولاتية**، وأخرى فردية، خدمات تعليمية وصحية وإدارية واجتماعية، والخدمات المندمجة **الفندقية والمطعمية**، وخدمات التمويلات والتأمينات، وخدمات الماء والكهرباء، والصرف الصحي، وجمع النفايات، وخدمات الإعلام والتواصل. ويُعنَى هذا الفرع بكل الأنشطة التي لا تدخل في باب تصنيع السلع والمنتوجات، ويعتبر اقتصاد الدولة اقتصادا خدميا عندما يفوق عدد العمال النشيطين بالقطاع الثالث 50 %.

- **التصنيف والأنواع**

تعتبر الخدمات من أهم المرتكزات والدعائم التي تقوم عليها حياة الأمم الريفية والحضرية، وتنبني عليها كل عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية (فؤاد بنغضبان، 2013). ونظرا لهذه الأهمية، فقد حضي مفهوم الخدمات باهتمام كبير في الوقت الحالي بسبب تزايد حاجيات السكان لتك الخدمات، خاصة مع تطور التقنيات والأساليب المستخدمة في توفيرها وجمعها وخزنها وتوزيعها. وكلما تطور المجتمع زادت حاجياته للخدمات بكل أصنافها. ويمكن التمييز داخل قطاع الخدمات بين الأنماط الثلاثة التالية:

- **الخدمات الاستهلاكية**: وهو إمداد الزبناء والمستهلكين بالسلع والحاجيات التي يطلبونها ويرغبون فيها. وتتألف من **خدمات التقسيط** وخدمات العناية الشخصية. وتختلف نوعية الخدمة وتصميمها حسب الفئات العمرية وحسب الجنس وحجم الأسرة والمستوى الثقافي والدخل ومكان الإقامة.

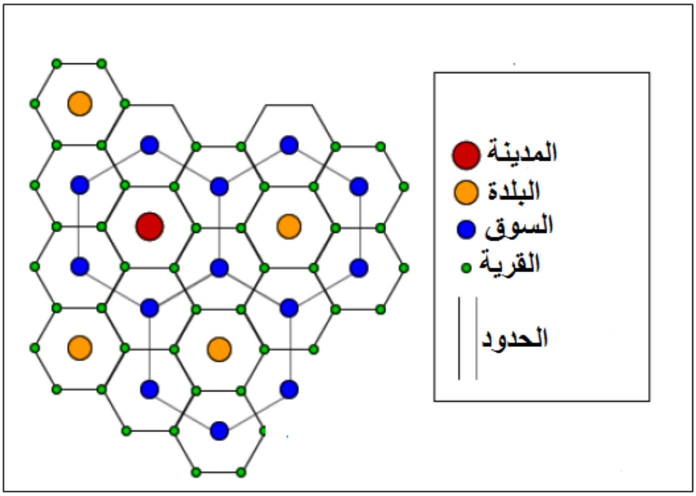
- **خدمات العمل**: ونعني بها الخدمات الزراعية والصناعية والمالية و**اللوجستيك** والنقل وخدمات معلوماتية التي تعتني بالنشر والتواصل.

- **الخدمات العامة**: ونقصد بها على سبيل المثال خدمات الحفاظ على الأمن العام وسلامة المواطنين (Schoumaker. B.M .1996).

وبناء على ما سبق تُعَرَّفُ الخدمة على أنها عمل مفيد يستهدف تحسين نوعية الحياة للفرد والمجتمع، وينتج في معظم الأحوال سلعا غير مادية، لأنه في الغالب يقدم خبرة ومهارة فئات مدربة علميا وعمليا إلى عامة السكان، وإلى هيئات وشركات محلية أو إقليمية أو عالمية.

وتهتم جغرافية الخدمات بالدراسة و**التخطيط المجالي** لتوطين المصالح والأنشطة والمنتجات والسلع والمصالح في المجالات الحضرية وشبه الحضرية والريفية، مما يتطلب توفير **الوعاءات العقارية** اللازمة المجهزة وتيسير الولوجيات والمسالك لتصريفها. هذا وكلما توطنت الخدمات بالقرب من مراكز المدن، كلما ازدادت القيمة الاقتصادية والنفعية (نظرية "المكان المركزي" للباحث الألماني والتر كريستالير).

شكل رقم 4: نظرية الأماكن المركزية للباحث الألماني والتر كريستالير



Christaller, W., Central Places in Southern Germany*, Eglewood Cliffs, N.J., 1966. 230p.*

ولإيصال المنتوج إلى الزبون في ظرف قياسي، تضطر معظم الخدمات المرتبطة بالاستهلاك والتقسيط إلى التمركز وسط الحواضر، بينما خدمات تجارة الأسواق الحرة الكبرى "المولات" وخدمات الترفيه والاستشفاء والجامعات مثلا، تميل إلى التوطن بضواحي المدن. ومع نهاية القرن العشرين، عرف انسياب المنتوجات والمعلومات طفرة نوعية هائلة، مما سهل ما يسمى **بالثورة الناعمة** التي عرفتها وتعرفها التكنولوجية الحديثة لوسائل التواصل والإعلام (الهاتف النقال، الفاكس، الانترنيت، وغيرها). كما عرف نمو الاقتصاد العالمي طفرة قوية جعلت سرعة نموه تفوق بمرتين سرعة النمو السكاني. ويعرف هذا القطاع منافسة شرسة وقوية، مما يحتم اعتماد مجموعة من الإجراءات، ومنها الحرص على الجودة والسلامة والسرعة في التنفيذ والإيصال لأن زبون اليوم أصبح أكثر ملحاحية، وأمامه عروض كثيرة ومتنوعة من

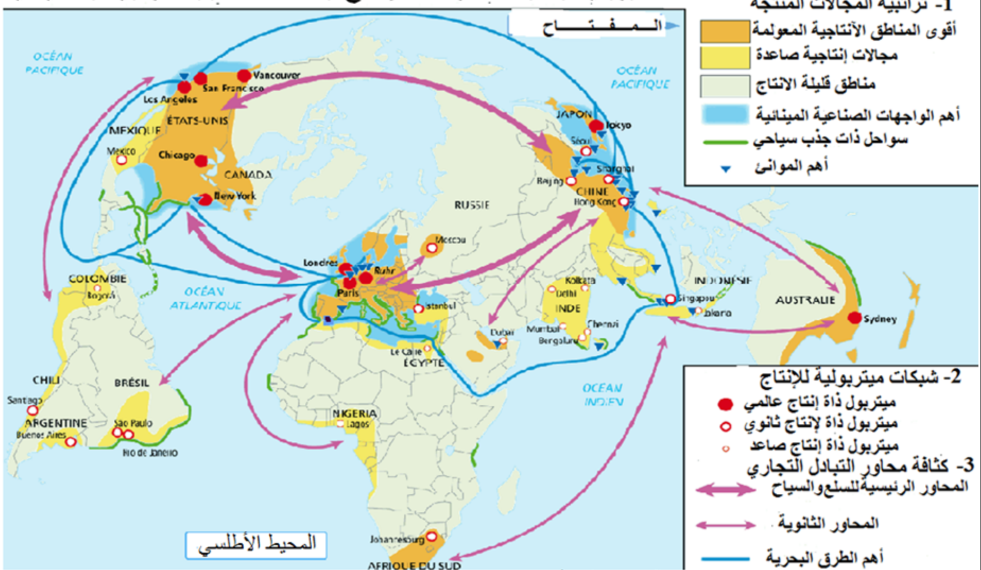
نفس الجنس، ولا يصمد إلا الجيد والمتين والمتميز، وعلى هذه الجودة يتوقف نجاح واستقرار واستدامة انسياب ورواج الخدمة والسلع.

- **التوطين وعولمة البضائع**

إن المنتجات والبضائع اليوم لم يعد لها وطن، بل أصبحت معولمة ويتم إنتاج بعض أجزائها في أماكن ودول مختلفة ويتم تجميعها في دول أخرى، وتشرف عليها وتتحكم فيها الشركات العابرة للأوطان والقارات Les firmes transnationales فقسط كبير من رأسمالها يعود إلى شركات أجنبية متعددة، مما يحتم عليها وضع خطط واستراتيجيات مجالية تهيكل وتدبر وتنفذ لمناطق الإنتاج والنقل والتوزيع ربحا للوقت والزيادة في الأرباح.

تعد الصين المعمل الكبير دوليا والذي يغذي جل دول العالم بالمنتجات، مما يتطلب تطويرا هاما لوسائل الشحن والنقل البري والبحري والجوي واللوجستيك، كما أن هناك منصات إلكترونية كبرى ك "**أمزون**" و"**علي بابا**" التي أصبح لها نفوذ عبر كل القارات لتوزيع السلع. كما أن مناطق الإنتاج أصبحت متنوعة ومتخصصة بكل دقة وجودة عالية، فهناك مجالات إنتاج السيارات وكمثال على ذلك، شركة هيونداي Hyundai بدولة كوريا الجنوبية، وشركة Bombardier

خريطة رقم:4 المتربولية وسوحلة مجالات الإنتاج وكثافة المحاور التجارية والسياحية



المصدر وبتصرف: google.com littoralisation-et-metropolisation-des-espaces-productifs.htm histgeorufppinquie.weebly.com

لصناعة الطائرات بكندا، والاقتصاد الرقمي بنيفادا، وdata center بالولايات المتحدة الأمريكية، والإنتاج المعدني لمادة الحديد بأستراليا، والإنتاج الزراعي ب Lucas do Rio Verde, Mato Grosso بالبرازيل، والأنشطة المالية CBD de Hong-Kong. إذن، فمجالات الإنتاج يمكنها أن تكون متنوعة الأصناف، ولكنها مضطرة إلى الاستناد على نشاط رئيسي ومركزي يميزها عن غيرها.

- **قطاع الخدمات في المغرب**

إن أهم ما يميز البنية الأساسية للسكان النشيطين المشتغلين بالمغرب حسب إحصاء المندوبية السامية للتخطيط سنة 2022 هو أن الخدمات والفلاحة والصيد البحري والغابات تأتي في مقدمة القطاعات المشغلة في الاقتصاد الوطني. وحسب نفس المصدر فإن قطاع الخدمات يأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد النشيطين المشتغلين (كل فرصة عمل حقيقية في العمل الصناعي توفر على الأقل 3 فرص في قطاع الخدمات)، حيث يعمل به 5.099.000 شخص، وهو ما يمثل 47.4 % من مجموع النشيطين المشتغلين، 33% منهم يشتغلون في فرع التجارة، متبوعا بقطاع الفلاحة والصيد البحري والغابات ب 3.149.000 شخص، أي ما يعادل 29.3 %، ثم قطاع الصناعة بنوعيها العصري والتقليدي 1,289,000 شخص، بنسبة 12 %. وأخيرا قطاع البناء والأشغال العمومية ب 1.209.000 شخص، أي 11,2 % وأوضحت المندوبية أن أكثر من نصف النشيطين المشتغلين 52,6 % هم مأجورين، و30.3% مستقلين، و12.3 % مساعدين عائليين، و2.1 % مشغّلين. ومن بين المهن الأكثر مزاولة من طرف النشيطين المشتغلين، هناك مهن "الحرفيين والعمال المؤهلين في المهن الحرفية" بنسبة 19.6 %، و "العمال والعمال اليدويين في الفلاحة، الغابة والصيد"، بنسبة 17.8 %، والعمال اليدويين غير الفلاحين، الحمالين وعمال المهن الصغرى 16.5 %. ونجد في المرتبة الأولى **قطاع الخدمات** حيث يساهم بحوالي 38% من الناتج الداخلي الخام، متبوعا بالقطاع الأول (الفلاحة والصيد البحري) 32 %. بينما يأتي القطاع الثاني (الأنشطة المرتبطة باستخراج الفوسفات، وصناعة النسيج، والصناعة الغذائية) في المرتبة الثالثة ب 30 % (Libération, 2019). ويعتبر القطاع السياحي رافعة مهمة للاقتصاد الوطني حيث يوفر حوالي نصف مليون منصب شغل مباشر (CESE,2020) ويعد القطاع البنكي أهم مشغل بالمغرب، إذ يتألف من 19 بنكا، و5 أبناك تشاركية، و06 في المناطق الحرة Offshores، و11 جمعية للقروض الصغرى، و18 وحدة للاستخلاص، علاوة على صندوق الإيداع والتدبير والصندوق المركزي للائتمان (La vie économique, 2021)، ونذكر أيضا قطاع الخدمات المحولة كمراكز الاتصال

(Centres d'appel) التي تشغل حوالي 70 ألف (Le point international, 2018). وفي فرنسا مثلا يستوعب قطاع الخدمات 75% من الساكنة النشيطة (INSEE, 2020).

خريطة رقم 5 : شبكة خطوط السكك الحديدية بالمغرب

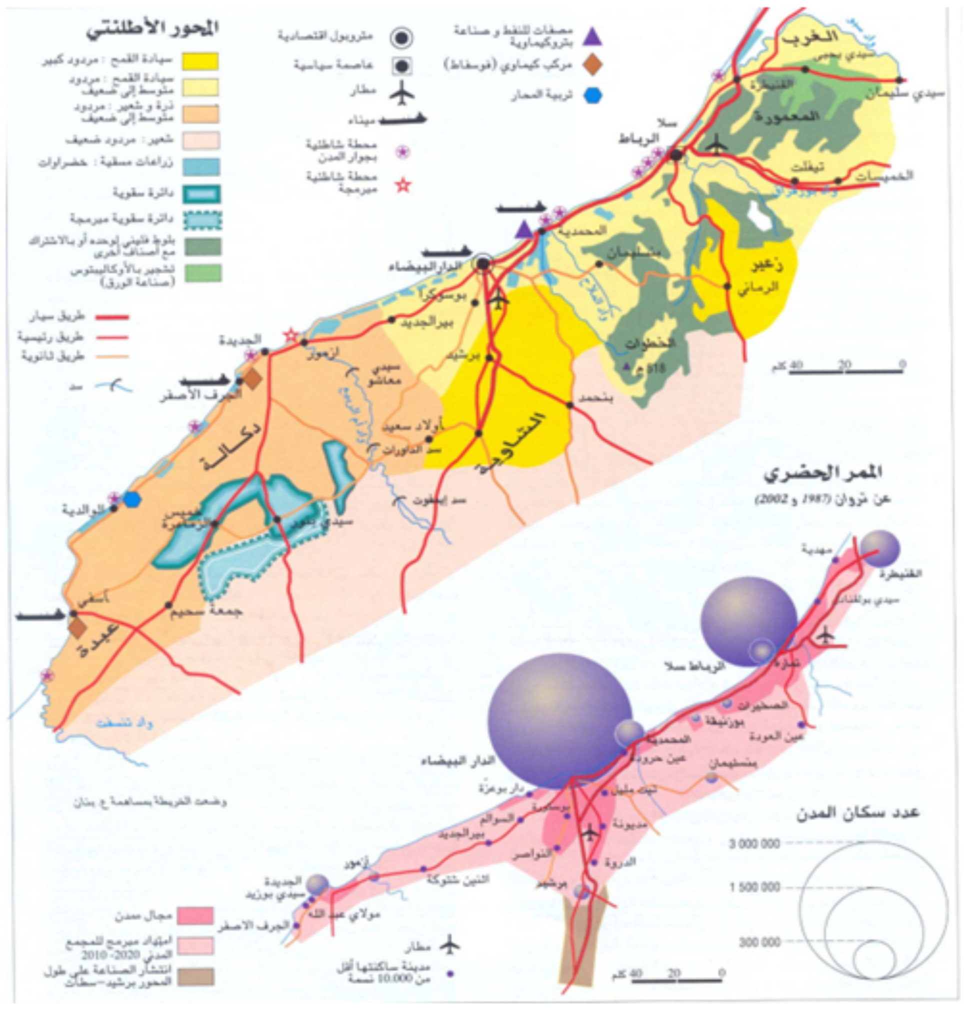


المصدر: المكتب الوطني للسكك الحديدية

يعد قطاع الخدمات إحدى رهانات وأدوات سياسة إعداد التراب، فهو في قلب المخططات المرتبطة بإعداد المجال الريفي، والتهيئة الحضرية والمشاريع التعليمية (الخرائط المدرسية والجامعية) والبرامج الصحية، والجغرافية الإدارية والتدبيرية وخدمات القرب، وتهتم هذه

السياسة بالتداخلات بين مختلف الأنشطة والاقتصاديات المحلية، حيث إن مصطلح الخدمة مرتبط أساسا بتهيئة وتدبير المجال، وهذا القطاع متشعب ومتعدد الأبعاد ويصعب تصنيفه وقياسه، نظرا للترابط الحاصل بينه وبين القطاع الثاني، أي قطاع الصناعة وإنتاج السلع وتحويلها لكي تدخل فيما بعد في سياق التوزيع والاستهلاك. ولكن المحور الأطلنطي الأوسط للمغرب يظل يستحوذ على أهم البنيات التحتية والتكتلات الحضرية والأنشطة الخدمية.

خريطة رقم:6 التمركز الحضري والخدمي بالساحل الأطلنطي الأوسط للمغرب



المصدر: جون فرانسوا تروان وآخرون :(2006) المغرب مقاربة جديدة في الجغرافيا الجهوية

تعتبر جغرافية الخدمات من ميادين البحث المتطورة باستمرار والتي تهتم بطريقة تنظيم الأنشطة الاقتصادية، وطرق وأساليب توزيعها وكيف تنتشر وتتطور عبر مناطق العالم. وتعد من المرتكزات الأساسية لفهم آليات وميكانيزمات الاقتصاد العالمي الموسومة بالتغير والتنوع المستمرين، وذلك لفهم وإعداد الخطط والسياسات العمومية الناجعة من أجل تشجيع النمو الاقتصادي المحلي والجهوي والإقليمي والقاري. وبالنسبة للمغرب يعد هذا القطاع رافعة أساسية للاقتصاد الوطني بمساهمته الفعالة في الناتج الداخلي الخام.

المفاهيم المرتبطة بالخدمات

الاسم بالعربية	الاسم بالفرنسية	الاسم بالانجليزية
خدمات بدائية	Services Primitifs	Primitive Services
الاكتفاء الذاتي	Autosuffisance	Self-sufficiency
الأنشطة الاقتصادية	Services Economiques	Economic Services
إشباع الحاجيات	Satisfaction des besoins	Satisfaction of needs
الثورة الصناعية	Révolution Industrielle	Industrial Revolution
القطاع الأول	Secteur Primaire	Primary sector
القطاع الثالث	Secteur Tertiaire	Tertiary Sector
جغرافية الخدمات	Géographie des Services	Geography of Services
مقاولات	Entreprises	Companies
الفندقة والمطعمة	Hôtellerie et Restauration	Hotels and restaurants
الخدمات الاستهلاكية	Services de Consommation	Consumer Services
خدمات التقسيط	Services de détail	Retail Services

Labor Services	Services du Travail	خدمات العمل
Logistics	Logistique	اللوجستيك
Public services	Services Publics	الخدمات العامة
Spatial Planning	Planification Spatiale	التخطيط المجالي
Land	Le foncier	الوعاءات العقارية
The Soft Revolution	La révolution Douce	الثورة الناعمة
Localization and globalization of goods	Localisation et mondialisation des marchandises	التوطين وعولمة البضائع
High Commission for Planning	Haut-Commissariat au Plan « HCP »	المندوبية السامية للتخطيط

المصادر والمراجع

- فؤاد بنغضبان (2013)، جغرافية الخدمات، عمان الأردن.
- جون فرانسوا تروان وآخرون :(2006) المغرب مقاربة جديدة في الجغرافيا الجهوية.
- CESE (2000), Le tourisme, levier du développement durable et d'intégration.
- La vie économique (2021), supervision bancaire : Chiffres clés du rapport de la Banque du Maroc.
- L'OCDE : Perspectives de l'emploi – Juin, (2000).

- JV Henderson et al. (2018), The Oxford Handbook of Economic Geography, Oxford University Press.
- RE Klosterman, (2016), Systèmes d'aide à la planification pour les villes et les régions, ESRI Press.
- P. Daniels et M. Mackinnon (2015), Services et développement métropolitain, Routledge.
- O. Ibourk & A. El alaoui Wahidi (2014), Emploi décent et tourisme durable, Téoros.
- R. Caves, (2007), Entreprise multinationale et analyse économique, Cambridge University Pres.
- M. Schoumaker B (1996), La localisation des services, Nathan, Paris.
- May. N (1994), Services et mutations urbaines questionnements et perspectives, Economia, Paris.
- https://aws.amazon.com

المبحث الخامس : جغرافيـة السياحـة[1]

مقدمة

بلغ تطور النشاط السياحي ذروته مع ظهور العولمة، حيث انتقلت السياحة من ظاهرة بشرية واجتماعية بسيطة الى صناعة ضخمة قائمة على أسس وركائز مضبوطة تعتمد عليها كثير من الدول في تنمية مواردها لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي (منال شوقي عبد المعطى احمد، 2010). وتعتبر السياحة والعولمة وجهان لعملة واحدة، فالسياحة هي أحد مظاهر العولمة لأن نشاطاتها عالمية بطبيعتها التي تقتضي انتقال الافراد وتبادل الثقافات بين الدول. كما أن تطور النشاط السياحي مرتبط ارتباطا وثيقا بشبكات الاتصال وتطوير وسائل النقل والتكنولوجيا الحديثة... هكذا وفي ظل اقتصاد العولمة، اتجهت العديد من الدول حديثة العهد بالاستقلال، الى تأكيد استقلالها وتدعيم اقتصادها معتمدة على السياحة الدولية كمصدر للدخل ولجلب العملة الصعبة لاسيما انها لا تحتاج لرأسمال ضخم. ولكنها عمليا استوردت وسائل وأساليب التجهيز والترفيه من الدول المتقدمة (صليحة عشي، 2013).

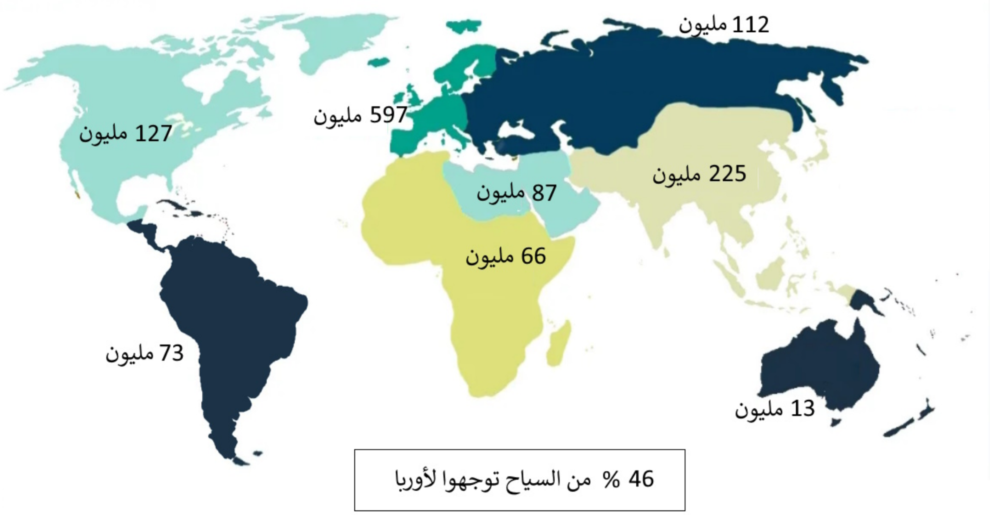
السـياحة إذن، تعد من أهم عوامل ومظاهر التغيير في العالم، ومن أهم القطاعات الاقتصادية العالمية، بحيث توظف عشر سكان الأرض وتوفر مناصب الشغل المباشرة وغير المباشـرة لمئات الملايين، كما تمثل أكثر من 20 % من الناتج الداخلي الخام لبعض البلدان؛ ففي سنة 2023 وصل عدد السياح في العالم 1,3 مليار سائح (المنظمة العالمية للسياحة، OMT) وهي ركيزة أساسية لخطة التنمية المستدامة 2030.

تعتبر السياحة عاملا لاستغلال الموارد الطبيعية والثقافية، ومحركا لمشاريع التنمية، كما لها انعكاسات حتمية، إيجابية وسلبية، على وجهات الزيارة وعلى اقتصاداتها ومجتمعاتها وبيئاتها، وبذلك فهي ظاهرة مجالية بامتياز تتم دراستها من خلال جغرافية السياحة.

[1] أسماء بوعوينات

وتهدف جغرافية السياحة إلى دراسة التدفقات السياحية، وتساهم في تحديد المواقع والمجالات ذات الحركة السياحية عالميا وإقليميا ومحليا. وبالتالي فالسياحة ظاهرة جغرافية قاعدتها البيئة الطبيعية، وبنيانها الاقتصاد المحلي والدولي والأمن، ومحركها الإنسان من خلال الثقافة والحضارة والخدمات المقدمة، ودافعها حاجيات السائح سواء الجسدية (السياحة الرياضية) أو النفسية (السياحة الإيكولوجية) أو الذهنية (السياحة الثقافية) أو الروحية (السياحة الدينية).

خريطة رقم 7 : عدد الوافدين السياحيين بالعالم سنة 2023



المصدر: المنظمة العالمية للسياحة، 2024

1. مفهوم السياحة والسائح وتطور ها من ظاهرة نخبوية إلى نشاط جماهيري

السـياحة شـكل من الحركية التي يقوم بها السـياح، لكن ليس كل تنقل سـياحة. ولتمييزها عن باقي اشـكال الحركية والتنقل نعتمد على مؤشـرين اثنين: مؤشـر مدة الاقامة (يجب أن يكون ليلة فأكثر ضـرورة تسـجيل المبيت بوجهة الزيارة)، ومؤشـر سـبب أو دافع الاقامة السياحية (لا يجب أن يكون الدافع كسب المال والقيام بعمل أو نشاط مؤدى عنه).

كلمة "سـياحة" باللغة الإنجليزية (tourism) أو الفرنسـية (tourisme) اسـتغرقت وقتا حتى تسـتقر وتدخل في التداول اللغوي، بينما كلمة سـائح قد سـبقتها. وقد ظهر تعريف

مصطلح سائح في سنة 1875 في قاموس لاروس إذ"السائح هو المسافر الذي يتوجه الى بلد اجنبي بدافع حب الاستطلاع وبدون قصد للعمل الربحي ".

منذ سـنة 1929 وفي سـياق الازمة الاقتصـادية والانهيار المالي، بدأ البحث والعمل لتعريف السـياحة بهدف تثمين وقعها الاقتصـادي. كان ينبغي اذن إحصـاء السـياح، ولأجل ذلك وجب تعريفهم. وقد كانت المنظمات الدولية سـباقة لاقتراح تعاريف عملية تطبيقية للسـائح قبل السـياحة. هكذا وفي سـنة 1937 أعلن خبراء عصبة الأمم ان السـائح هو " كل شـخص يسـافر بهدف الاسـتجمام وذلك لمدة تفوق 24 سـاعة وتقل عن سـنة بعيدا عن سكنه المعتاد ". وفي سنة 2000 أعطت المنظمة العالمية للسياحة التعريف التالي: "السياحة هي جميع الأنشـطة التي يقوم بها الأشـخاص أثناء سـفرهم أو إقامتهم، في أماكن تقع خارج محيطهم الاعتيادي، لمدة متتالية لا تزيد عن سـنة، لأغراض الترفيه أو العمل... أو لأسـباب أخرى غير القيام بنشاط مدفوع الأجر".

تاريخيا انتقلت السـياحة من ظاهرة نخبوية من خلال "الجولة الكبيرة" (le Grand Tour) التي كان يقوم بها نبلاء شـباب وأبناء البورجوازيين البريطانيين في أواخر القرن 18، إلى نشـاط جماهيري تمت دمقرطته تدريجيا بفعل تطور وسـائل النقل، وتحسـن المسـتوى المعيشـي وسـن قانون عطلة نهاية الأسـبوع. فظهرت مجموعة من منظمي الأسـفار الدوليين (tour-opérateur) ووكالات الأسـفار (agences de voyages) لتُوَسِّـعَ من خريطة الوجهات المقترحة والتي تراعي غنى منتوجها السياحي وتلبيتها للطلب السياحي وكذا العنصر الأمني.

فاكتسـحت السـياحة بلدان عدة من جميع قارات العالم، وإن كان توزيعها المجالي متباين. وهذا ما انكب على دراسته الجغرافيون باعتبار السياحة ظاهرة مجالية بامتياز.

2. تعريف مفهوم جغرافية السياحة وأهميتها

ظهر مفهوم الجغرافية السياحية في بداية القرن العشرين من خلال كتابات الباحث جوزيف ستزادنر (Josef Stradner, 1905) الذي اعتبر ضبط ودراسة الخصائص الطبيعية والبشرية للوجهة السياحية من أسباب انتشار وتطور السياحة بها. أما ألفريد فيغنر (Alfred Wegener, 1929) فقد أكد على دور علاقات التأثير والتأثر بين العوامل الجغرافية وانعكاسها على السياحة. في حين يرى ستانسلاو ليسكيوسكي (Stanisław

Leszczycki, 1938)، بأن هدف الجغرافية السياحية هو التحديد العلمي للقيمة السياحية للبيئة ودراسة إمكانات حركة السياح مع المحافظة على مميزاتها. ويرى الجغرافي (Rutherford Denney, 2004) أن الجغرافية السياحية، تدرس المميزات الإقليمية للوجهة السياحية والتوزيع المجالي لأنشطة الطلب والعرض المتعلقة بالسياحة والظروف والعوامل والمصادر التي تحدد وتطور السياحة في مختلف الدول والأقاليم وهذا ما ورد من قبل من طرف (Pearce, 1993) .

من أهم الجوانب التي يمكن أن يركز عليها الجغرافي عند دراسته للسياحة، في إطار جغرافية السياحة نذكر:

1- المعطيات السياحية للوجهة السياحية (المقومات الجغرافية الطبيعية والبشرية والثقافية)؛

2- تدفقات وحركية السياح إلى المناطق السياحية؛

3- تحليل علاقة التأثير والتأثر بين السياحة والمحيط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والبيئي والتكنولوجي للمناطق السياحية: (المحيطات الخمس للسياحة) (Kaspar, 1976) ؛

4- الطاقة الاستيعابية للمناطق السياحية؛

5- توجهات العرض والطلب ودور منظمي الأسفار الدولية في تحديد خريطة الوجهات السياحية المبرمجة.

إن دراسة الجغرافي للسياحة ترتكز على ثلاثة أسس: مصدر السياح ثم المواقع، ثم الوجهات السياحية، وأخيرا أسلوب الوصول من المصدر إلى الوجهة السياحية. على هذا الأساس يمكن تعريف جغرافية السياحة على أنها: التفاعل المجالي الناشئ عن حركة السياح من المصدر إلى الوجهة والظواهر الناشئة عن هذه الرحلة نتيجة البقاء المؤقت للسياح وما يتطلب من خاصية البقاء، حيث ينشأ طلب على الخدمات السياحية المتنوعة والتي قد تزود عددا من القطاعات المختلفة لصناعة السياحة (الفلاحة، الصناعة التقليدية، قطاع البناء، قطاع النقل...). (Duhamel, 2018)

بذلك يرتبط مفهوم الجغرافية السياحية بالمجال، وهذا يتضح من خلال دراسة مواقع المناطق السياحية، وحركات السياح من مجال إلى آخر. لذلك فإن الجغرافية تمتلك القاعدة الأساسية لتؤدي دورها في فحص التداخل المجالي للعرض والطلب السياحي، وبالتالي فإن دراسة الجغرافية السياحية ضرورية ويجب أخذها بعين الاعتبار عند القيام بأي تخطيط سياحي يهدف إلى استغلال المؤهلات السياحية في مختلف المناطق والأقاليم والدول بشكل يراعي التنمية المستدامة.

يتمثل الترابط الكبير بين السياحة والجغرافية في تداخل مقومات كل منهما؛ إن مقومات السياحة جغرافية بالأساس: فالموقع السياحي هو جغرافي قبل أن يكون سياحيا. هذا فضلاً عن أن السياحة ظاهرة جغرافية تعني الحركة، بمعنى التنقل من مجال إلى آخر، قبل أن تكون ظاهرة اقتصادية، ذلك أن ما ينتج عن السياحة من عائدات اقتصادية وآثار اجتماعية يمكن أن يوزع جغرافياً لكن بشكل متفاوت بالمناطق السياحية في العالم.

من الممكن أن نعرّف الجغرافية السياحية على أنها علاقة تفاعل ما بين الموقع الجغرافي الذي يمتاز بمقومات طبيعية وبشرية تؤهله لقيام صناعة السياحة وبين الأنشطة والفعاليات السياحية وحجم توفرها وإمكاناتها.

بذلك تعتمد الجغرافية السياحية على مكونين اثنين:

- **المكون الحركي:** حيث حركة السياح داخل الحدود وخارجها أي إلى الوجهات المقصودة، بما في ذلك خدمات النقل، ووكالات السفر والسياحة.

- **المكون المستقر:** ويقصد به الوجهات المقصودة، حيث الفعاليات والأنشطة والخدمات المقدمة في تلك المواقع.

وبما أن الجغرافية السياحية تستلزم حركة السياح بين الأماكن فإنها تبحث وبشكل دقيق عن:

- مواقع المجالات السياحية ومميزاتها المختلفة.

- الطرق المختلفة بين هذه المجالات (نور صبحي عبد الدليمي، 2021).

فأفضل طريق لتنمية السياحة هو تنمية الطرق ومحاور النقل. لذلك منهجيا تدرس جغرافية السياحة موقع ومظاهر المراكز السياحية، وخصائصها الطبيعية والثقافية

والتاريخية. كما تدرس مناطق الجذب في كل منطقة، وشبكة المواصلات التي تضمن سهولة الوصول للمراكز السياحية، وهذا يعني أن السياحة في الأساس ما هي إلا ظاهرة جغرافية، تختص بما يتعلق بنقل الأشخاص والخدمات عبر الزمان والمكان.

تكمن أهمية جغرافية السياحة في دراسة موقع وموضع المراكز السياحية، وخصائصها الطبيعية والثقافية والتاريخية، حيث يتم فهم التغيرات التطورية في المشهد السياحي وداخله، وفهم حركة السياح من الأسواق الأصلية إلى الوجهات التي يختارونها. فالعلاقة بين الجغرافيا والسياحة تكمن أيضا في دراسة السطح الطبوغرافي والتضاريس والمناخ والتكوينات الجيولوجية والموارد المائية والغطاء النباتي والغنى والتنوع الثقافي كعوامل جذب وإمكانية توظيفها لتحقيق أهداف التنمية المستدامة. الجغرافيا السياحية لها علاقة كذلك بالتاريخ، بعلم الآثار، بالفن، بالاقتصاد وغيرها من الحقول المعرفية. (Pearce, 1993)

3. مناهج بحث الجغرافيا السياحية

يدرس جزء كبير من الجغرافيا السياحية الآثار البيئية والاقتصادية والثقافية للسياحة (Bouaouinate, Essami et Azaitraoui, 2022). ومن جانب آخر فإن العديد من الجغرافيين السياحيين ينظرون في كيفية تطور السياحة، ولماذا يسافر السياح من مجال لآخر، وكيف يمكن أن يؤثر المناخ في منطقة ما على عدد السياح. كما تدرس الجغرافيا السياحية الموارد السياحية، سواء كانت طبيعية أو من صنع الإنسان، والبنية التحتية للسياحة بما فيها أماكن الإقامة، وأنواع وأشكال السياحة، والبحث الإحصائي السياحي، والأسواق السياحية وغيرها من المجالات.

وبالتالي لا تختلف مناهج البحث في الجغرافية السياحية عن مناهج البحث في فروع الجغرافية الأخرى، من بيانات جغرافية تضم المواقع ثم المتغيرات الإحصائية (مثل عدد السياح وخصائصهم الاقتصادية والاجتماعية، ومصدر السياح، وعدد الرحلات، ومحلات الإقامة، وحجم الإنفاق السياحي وأثر ذلك في الناتج الداخلي الخام للإقليم).

وبالتالي يمكن الاعتماد على المنهجين الآتيين:

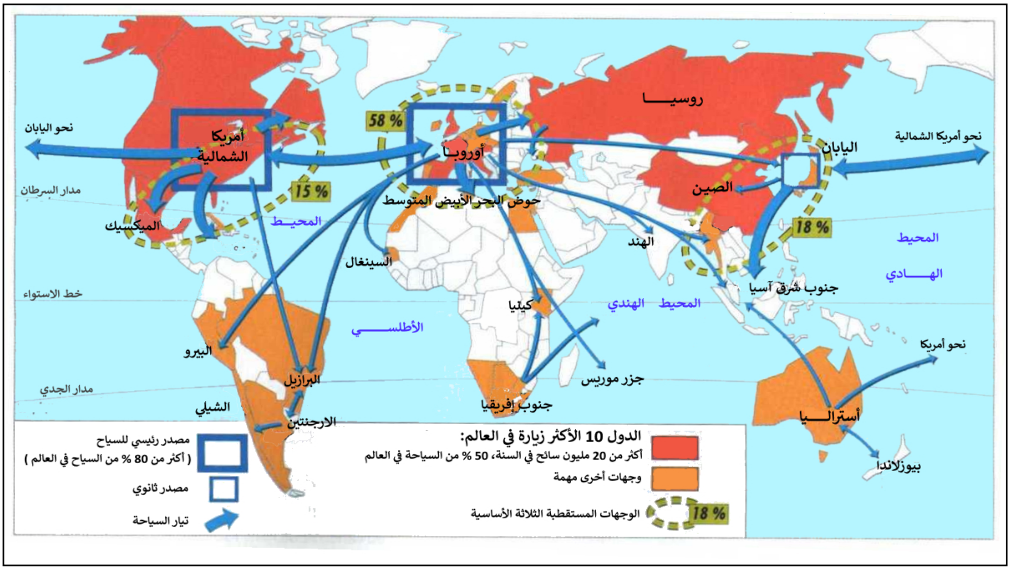
- **المنهج الإقليمي:** يقصـد به دراسـة كل أنماط السـياحة في إقليم معين وإبراز المنتوج السـياحي للإقليم الذي يتسـم بغنى المؤهلات السـياحية الطبيعية والبشـرية وتفاعلها ضـمن الإقليم.

- **المنهج الموضـوعي:** يعتمد هذا المنهج على دراسـة نمط واحد من أنماط السـياحة في مواقع مختلفة.

يحتاج الباحث في الجغرافية السـياحية لعدة معطيات سـياحية مثل: عدد السـياح، وعدد الليالي السـياحية، والعائدات السـياحية، ومتوسـط إقامة السـائح، ومتوسـط إنفاق السـائح، ونسـبة السـياح حسـب الأسـواق (الجنسـيات)، ونسـبة الايراد السـياحي في الناتج الداخلي الخام، ونسـبة الليالي السـياحية من موسـم لآخر (موسـم الذروة مقابل الموسـم الواطي)، وموسـمية الحركة السـياحية وتوزيع عدد السـياح على شـهور السـنة، وأنواع السـياحة (السـياحة الشـاطئية، السـياحة الثقافية، السـياحة الجبلية، السـياحة الاسـتشـفائية، سـياحة الأعمال، السـياحة الإيكولوجية، السـياحة الدينية، السـياحة الرياضية، السياحة الواحية، السياحة الصحراوية...). فلكل طلب سياحي نوع من السياحة، وهذا ما يفسـر تعدد أنواع السـياحة وأشـكالها واحتضـان مجال جغرافي واحد لأنواع عديدة من السـياحة تركب على شـكل منتوج سـياحي قابل للتسـويق والتنافسـية السـياحية. علاوة على ذلك، يتطرق جغرافيو السـياحة أيضـا لدينامية عدد السـياح والايراد من سـنة لأخرى، وبلاد المنشـأ للسـياح (سـلسـلة زمنية)، والاسـتثمارات السـياحية (العمومية والخاصـة)، والاسـتراتيجيات التنموية للسـياحة من طرف الدولة والتي تترجم إرادة الدولة في تشـجيع السـياحة والاسـتثمار فيها إلى جانب القطاع الخاص، وأخيرا نسـبة ملء الفنادق ومؤسـسـات الإيواء السياحية الأخرى ومقارنتها مع الطاقة الإيوائية المتوفرة.

تدرس جغرافية السياحة كذلك التباينات السياحية المتواجدة بين دول الشمال (الدول المتقدمة) ودول الجنوب (الدول النامية)، بحيث تتمركز السياحة عالميا على مستوى الدول الصناعية، بينما تستقبل القارة الإفريقية أقل نسبة من التيارات السياحية العالمية (3%).

خريطة رقم 8: التيارات السياحية في العالم سنة 2015



المصدر: المنظمة العالمية للسياحة، 2015.

انطلاقا من الخريطة أعلاه يتضح لنا ما يلي:

- هيمنة السياحة الشاطئية (tourisme balnéaire) والجزرية (tourisme insulaire) في العالم مما يؤكد على الجاذبية السياحية للسواحل.

- تركز التدفقات السياحية في ثلاثة أحواض سياحية رئيسية وهي: البحر الأبيض المتوسط وأوروبا (58%)، ثم جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ (18%)، بعد ذلك أمريكا الشمالية (15%)، أي أن 91% من التدفقات السياحية تحتكرها هذه الأحواض الثلاث، مقابل 9% لبقية الوجهات السياحية في العالم.

-التدفقات السياحية مكثفة بين دول الشمال (الدول المتقدمة) في حين تقل ما بين دول الجنوب (الدول النامية) التي تكتفي بدور "الدول المستقبلة" للسياح.

-التموقع الجغرافي للمغرب بالضفة الجنوبية لحوض بحر الأبيض المتوسط (أول حوض سياحي في العالم) سيجعل منه القبلة الأولى للسياحة بالقارة الإفريقية والثالثة في الدول العربية بعد دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

4. السياحة بالمغرب

تشكل السياحة دعامة أساسية للنمو الاقتصادي المغربي ومصدرا مهما للثروة، فالمغرب يتميز بمؤهلات طبيعية تاريخية وحضارية غنية ومتنوعة استثمرها كعامل جذب للطلب وكأساس للعرض السياحي المغربي.

لقد اهتمت المشاريع التنموية منذ وقت مبكر بقطاع السياحة، حيث اعتبر المغرب خاصة منذ نهاية الستينات، قبلة متوسطية رائدة في هذا المجال متجاوزة منذ سنة 2011 دول الضفة الجنوبية للبحر المتوسط الأخرى بما في ذلك تونس ومصر وباقي دول القارة الإفريقية. ففي سنة 2019 استقبل المغرب 13 مليون سائح، وسجل 25,2 مليون ليلة فندقية وبلغت المداخيل السياحية 78,6 مليار درهم، محتلا بذلك الرتبة الأولى كوجهة سياحية في إفريقيا. وفي سنة 2023، وصل عدد السياح 14,5 مليون سائح بإيرادات بلغت 105 مليار درهم.

لتشجيع هذا القطاع اعتمدت وزارة السياحة على مجموعة من البرامج والاستراتيجيات والمخططات التنموية السياحية الممتدة زمنيا منذ سنة 1965 إلى حدود رؤية 2010 ثم رؤية 2020 للوصول إلى 20 مليون سائح، ومضاعفة الطاقة الفندقية الحالية وتطوير قطاعه السياحي وتقوية تنافسيته مع الالتزام بمبادئ التنمية المستدامة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في إطار رؤية 2030.

ولإنجاز هذه الاستراتيجيات السياحية فإن المغرب يتوفر على إمكانات سياحية مهمة نذكر منها:

- موقع جغرافي متميز، بالضفة الجنوبية لحوض البحر الأبيض المتوسط، أول حوض سياحي عالمي وقربه من القارة الأوروبية المصدرة للسياح خاصة الاعتماد على 5 أسواق سياحية رئيسية كبرى : فرنسا، إسبانيا، ألمانيا، إيطاليا وبريطانيا. فمصدر السياح الوافدين إلى المغرب يبقى هو أوروبا بامتياز وخاصة فرنسا وإسبانيا، ويساهمان على التوالي بـ 83 % و35 % من الوافدين على المراكز الحدودية، و62 % و30 % من الوافدين الذين يرتادون الفنادق المصنفة، ويحتل الإسبان المرتبة الثانية بعد الفرنسيين بـ 11 % ويليهم الألمان ب 10%.

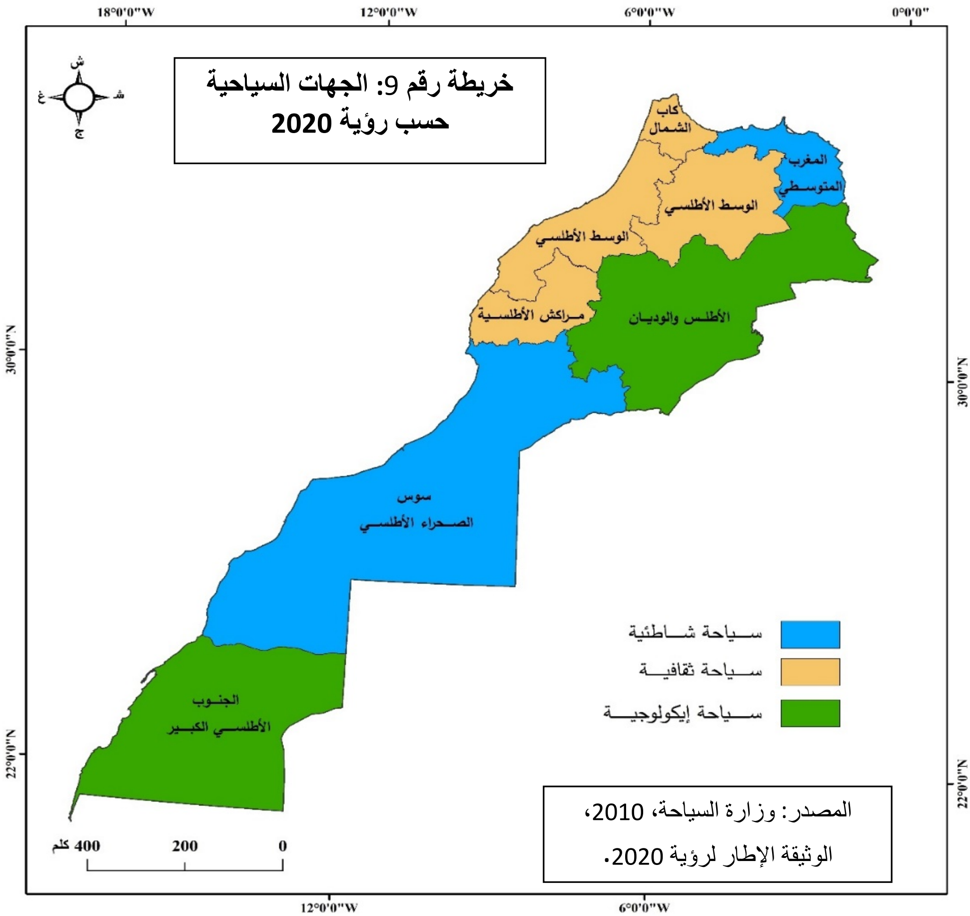
-إمكانات طبيعية متنوعة (جيولوجية، تضاريسية، مناخية، هيدرولوجية وبيوجغرافية).

-طول الساحل الأطلسي والمتوسطي (3500 كلم) يتماشى مع السياحة الشاطئية الرائدة عالميا.

- تراث ثقافي غني ومتنوع موروث منذ القدم.

- تجربة طويلة متراكمة في مجال التسيير والفندقة وتدبير الأزمات السياحية خاصة أن القطاع السياحي هش يتعرض لمجموعة من الأزمات (الاقتصادية، السياسية، الصحية...) لكنه يبرهن عن تأقلمه وصموده بعد كل أزمة سواء عالمية أو محلية.

لذلك فهذه المؤهلات لا تخفي بعض الإكراهات، ومنها عدم استقرار الأسواق السياحية، وتذبذب في أعداد السياح الوافدين على المغرب. ويرجع هذا التذبذب والانخفاض إلى الأوضاع



خريطة رقم 9: الجهات السياحية حسب رؤية 2020

المصدر: وزارة السياحة، 2010، الوثيقة الإطار لرؤية 2020.

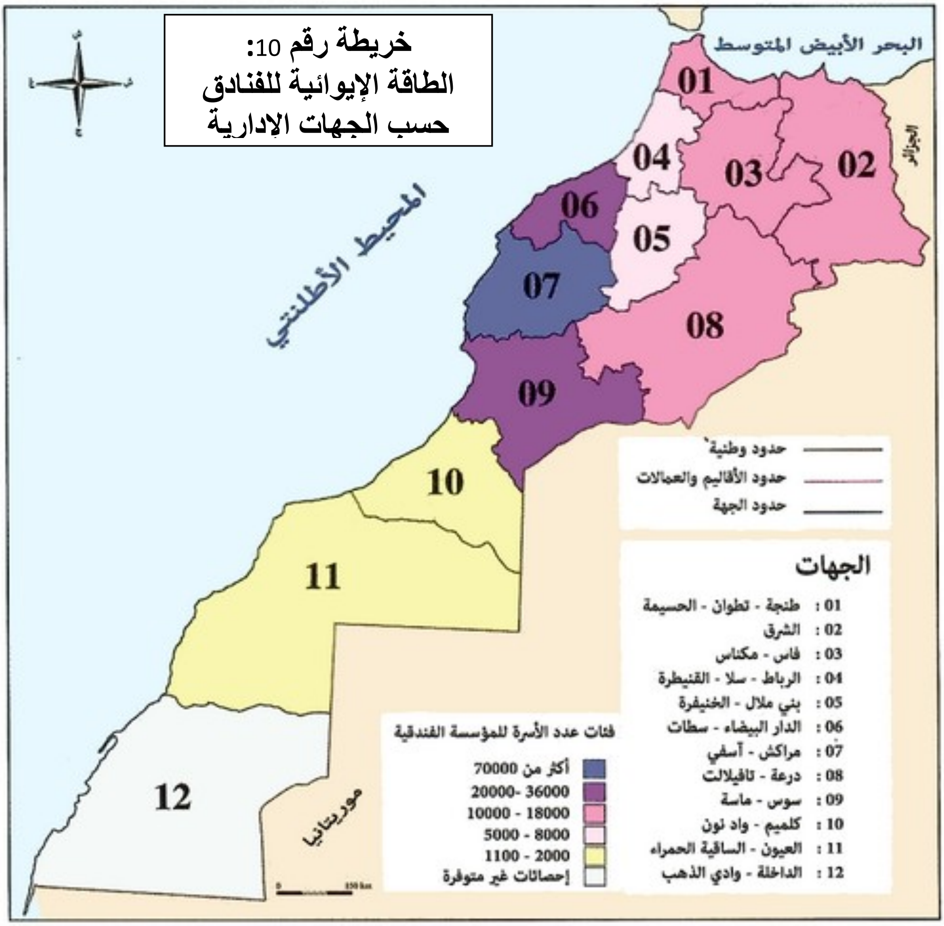
السياسية والاقتصادية العالمية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ثم تداعيات الربيع العربي سنة 2011، وكذلك تداعيات جائحة كورونا سنة 2020 (Bouaouinate et Kerzazi, 2021) الشيء الذي دفع بالفاعلين المهنيين إلى التخفيض مؤقتا من أثمان الخدمات لإنعاش هذا القطاع.

مجاليا تأتي السياحة الشاطئية في المقام الأول نظرا للمؤهلات المتميزة، تليها السياحة الثقافية الشيء الذي دفع بالأوروبيين إلى شراء "رْياضات" وهي مساكن في المدن العتيقة يتجاوز عددها حاليا 600 مسكن، يتم إصلاحها وترميمها لاستقبال السياح، ثم السياحة الجبلية والصحراوية.

كما تمت برمجة مشروع "المخطط الأزرق" لإنشاء 130000 سرير بست (6) محطات سياحية جديدة (السعيدية، خميس الساحل بالعرائش (Lixus)، الحوزية بالجديدة (Mazagan)، الديابات بالصويرة (Mogador)، تاغزوت بأكادير، الشاطئ الأبيض بكلميم). يضاف إليها 90000 سرير الموجودة، لترفع من مساهمة السياحة الشاطئية إلى 68 %، والتي تحظى بـ55,5 % من مجموع إمكانات الفنادق حاليا، خاصة في مدينة أكادير التي توفر وحدها 24 % من هذه الإمكانات، ومنطقة الشمال بـ13 %.

أما السياحة الثقافية فهي تتمركز على الخصوص داخل المغرب ممثلة في مراكش التي تساهم ب 22 % من القدرة الإيوائية بعد أكادير، تليها اتجاهات الجنوب: ورزازات، الراشدية، زاكورة ب 8 %. ثم الدار البيضاء - الرباط بنوعين من السياحة الشاطئية والثقافية وكذا سياحة الأعمال.

رغم المشاكل التي تعرقل نمو القطاع السياحي، وضعف تنافسيته مع الدول المتوسطية، فإن أهميته حاضرة بقوة، ويظل قطاعا حيويا، يشكل 7 % من الناتج الداخلي الخام ويساهم ب 608 ألف منصب شغل مباشر وغير مباشر (وهو ما يمثل 5,8 % من اليد العاملة النشيطة) كما يوفر 78,6 مليار درهم من العملة الصعبة، مما يجعل منه ثاني مورد للعملة الصعبة للمغرب بعد تحويلات المهاجرين المغاربة مساهما بذلك في توازن ميزان الأداءات المغربي.



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، بتصرف

تتباين الطاقة الإيوائية السياحية بين الجهات الإدارية الاثني عشر بحيث تستحوذ مدينة مراكش على 48% من الطاقة الإيوائية الوطنية، تليها مدينة أكادير مما يؤكد على أهمية "قطبية مراكش –أكادير" في الخريطة السياحية بالمغرب وبالتالي على ثنائية السياحة الثقافية والشاطئية كمنتوجين سياحيين رائدين بالمغرب.

اعتبرت سنة 2020، بسبب تداعيات جائحة كورونا المستجد (Covid-19)، سنة أزمة حقيقية للرواج السياحي سواء الدولي أو الوطني، حيث كان لانتشار الوباء أثر على السياحة (Bouaouinate et Kerzazi, 2023)، إذ تضاعف إلغاء الحجوزات في الفنادق وفي شركات الطيران. وتقدر الخسائر بعشرات الملايين من الدراهم، وفقدان ما لا يقل عن مائة ألف زائر

في شـهر مارس من نفس السـنة. وهذا ما يؤكد مرة أخرى على هشـاشـة هذا القطاع وحساسيته المفرطة اتجاه الأزمات العالمية الطارئة مقابل مرونته وقدرته على تجاوز الأزمات وتعويض الخسائر في وقت وجيز (الخريطة رقم 7).

ختاما تمكن جغرافية السياحة من فهم الخريطة السياحية العالمية والإقليمية والمحلية وضبط التراتبية بين الوجهات السياحية والعوامل المفسرة لتباينات التيارات والتدفقات السياحية ورصد تطور المعطيات الإحصائية الخاصة بكل مجال على حدة سواء الدول المستقبلة للسياح أو المصدرة لها أو هما معا. لذا تعد الإحصائيات الرسمية أداة رئيسية وجب تتبعها وإسقاطها مجاليا لاستشراف ديناميات الوجهات السياحية واستباق انتظارات السياح وتوجهاتهم ومتطلباتهم وتدبير المجالات السياحية بطريقة مستدامة ومندمجة.

خاتمة الفصل

ازدادت حالات عدم المساواة الاقتصادية بشكل مجالي مع ظهور الاقتصاد الجديد الذي يتسم عمومًا بالعولمة والاستخدام المتزايد للمعلومات وتقنيات الاتصالات وازدياد المعرفة. مكّن هذا الاقتصاد الجغرافيين الاقتصاديين من دراسة التباينات الاجتماعية والمجالية الناتجة عن ظهور الاقتصاد الجديد متضمنة الاقتصادات الرقمية سواء في قطاع الطاقة أو الصناعة أو الخدمات أو السياحة؛ مما يحتم على الباحث الجغرافي مواكبة الأحداث الاقتصادية والسياسية وتحليلها بشكل مركب وشمولي وتحيين الخريطة الاقتصادية للعالم لاستخراج الإشكاليات التنموية في الدول النامية وتعزيز التعاون الاقتصادي جنوب - جنوب.

محور جغرافية السياحة

الاسم بالعربية	الاسم بالفرنسية	الاسم بالانجليزية
جغرافية السياحة	Géographie du tourisme	Tourism geography
السياحة	Tourisme	Tourism
السائح	Touriste	Tourist
سياحة النخبة	Tourisme d’élite	Elite tourism
السياحة الجماهيرية	Tourisme de masse	Mass tourism
التدفقات السياحية	Flux touristiques	Tourist flows
الطلب السياحي	Demande touristique	Tourist demand
العرض السياحي	Offre touristique	Tourist offer
المنتوج السياحي	Produit touristique	Tourism product
ليالي المبيت السياحية	Nuitées touristiques	Tourist overnight
متوسط الإقامة	Moyenne de séjour	Average stay
العائدات السياحية	Recettes touristiques	Tourism revenue
الجذب السياحي	Attraction touristique	Tourist attraction
الموسمية	Saisonnalité	Seasonality
موسم الذروة	Haute saison	High season
الموسم الواطي	Basse saison	Low season

Tourist occupancy rate	Taux de remplissage touristique	نسبة الملء السياحي
Attendance rates	Taux de fréquentation	نسبة التردد
Business tourism	Tourisme d'affaires	سياحة الأعمال
Ecotourism or ecological tourism	Ecotourisme ou tourisme écologique	السياحة البيئية أو الإيكولوجية
Cultural tourism	Tourisme culturel	السياحة الثقافية
Seaside tourism	Tourisme balnéaire	السياحة الشاطئية
Tour operator	Tour-opérateur (T.O.)	الشركات السياحية الكبرى
Travel agencies	Agences de voyages	وكالات الأسفار
Sustainable tourism	Tourisme durable	سياحة مستدامة
Integrated tourism	Tourisme intégré	سياحة مندمجة

محور جغرافية السياحة

- منال شوقي عبد المعطى احمد، 2010، دراسة في مدخل علم السياحة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.
- محمد رياض وكوثر عبد الرسول (1996): الجغرافية الاقتصادية وجغرافية الإنتاج الحيوي، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- موقع المنظمة العالمية للسياحة www.wto.org
- موقع وزارة السياحة www.tourisme.gov.ma

- موقع أ. نصري دياب 2011، ص41
https://www.alaraby.co.uk/infograph-media/%D8%A32023

- صليحة عشي، 2013، العولمة وتوسع نطاق صناعة السياحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 29.

- نور صبحي عبد الدليمي، 2021، دراسة في جغرافية السياحة والترفيه باستخدام الصور الجوية ونظم المعلومات الجغرافية.

- الدليمي أحمد صبحي 2018، ص 15

https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/1435370

-وزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة(2019): مشروع قانون المالية لسنة 2019 –

- Berriane M., 1992, Tourisme national et migration de loisir au Maroc. Université Mohammed V, série Thèses et Mémoires – 16.

- Bouaouinate, A., Essami A. et Azaitraoui M., 2022, Méthodologie de Recherche en Géographie du Tourisme, dans : Bahhou A. (Coord.) : Recherches et Etudes historiques, géographiques et didactiques. Publications de l'Ecole Normale Supérieure, Université Mohammed V-Rabat, p.p. 31-54.

- Bouaouinate, A. et Kerzazi, M., 2023, Tourisme et Covid-19. Quels impacts sur la destination Maroc ? dans: Oubella A. (Coord.) : Modèles de développement : construction historique et encastrement dans des choix politico-idéologiques, Publications CERAB (Centre d'Etudes et de Recherches – Aziz Belal), p.p. 297-322.

- Denney G Rutherford, Host attitudes toward tourism: An Improved Structural Model, Annals of Tourism Research, Volume 31, Issue 3, 2004, p.p. 495-516.

- Duhamel, P., 2018, Géographie du tourisme et des loisirs. Dynamiques, acteurs, territoires, Ed. Armand Colin.

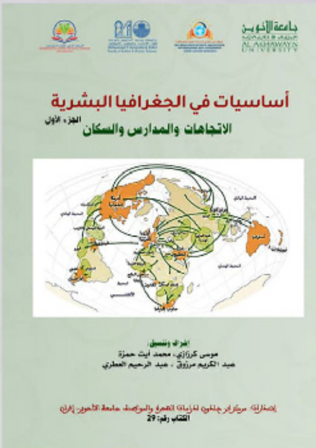
- Hillali M., 2003, Le tourisme international vu du Sud, Ed. Presses de l'Université du Québec.
- Hillali M., 2008, La politique du tourisme au Maroc, Ed. L'Harmattan.
- Kaspar, C. (1976) : « Le tourisme, objet d'une étude scientifique », dans : Revue du Tourisme, N°2 tiré de Guibilato, G. (1983), p.12.
- Leszczycki, S.: Contemporary issues of tourism, Komunikaty Studium Turyzmu UJ., 3, 1938.
- Pearce D., 1993, Géographie du tourisme, Ed. Nathan.
- Stradner, Josef (1905), Der Fremdenverkehr, Graz, Leykam, 100 p.
- Wegener, Alfred (1929). Die Entstehung der Kontinente und Ozeane [The Origin of Continents and Oceans] (in German) (4th ed.). Braunschweig: Friedrich Vieweg & Sohn Akt. Ges.
- BP-statistical-review-of-world-energy-2016-full-report.pdf
- Nations Unies (2022) : Energy Statistics Pocketbook
- CESE (2020): Accélérer la transition énergétique pour installer le Maroc dans la croissance verte
- Ministère de l'énergie, des mines, de l'eau et de l'environnement, la nouvelle stratégie énergétique nationale, bilan d'étape Janvier 2013

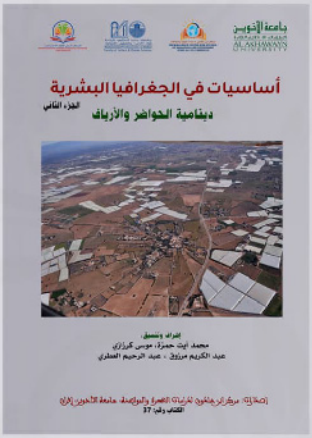
محتويات أجزاء الكتاب
عناوين الفصول مع أسماء المؤلفين والمنسقين

رقم	عنوان الفصول	أسماء مؤلفي الفصول	منسقو الفصول
الجزء الأول: الاتجاهات والمدارس والسكان			
1	ماهية الجغرافيا البشرية	الأسعد محمد	الأسعد محمد
2	المدارس الجغرافية	صديق عبد الوهاب	صديق عبد الوهاب
3	أدوات البحث الجغرافي	مرزوق عبد الكريم، العطري عبد الرحيم والأسعد محمد	مرزوق عبد الكريم
4	السكان والتنمية	كرزازي موسى، المالكي موسى، قاسم النعايمي	كرزازي موسى
5	حركية السكان وهجراتهم	كرزازي موسى	كرزازي موسى
6	جغرافية الصحة	أنفلوس محمد	أنفلوس محمد
الجزء الثاني: ديناميات الحواضر والأرياف			
7	جغرافية الأرياف	، صديق عبد النور، بوعوينات أسماء ،	صديق عبد النور

8	السكن الريفي وأبعاده السوسيومجالية	أيت حمزة محمد	أيت حمزة محمد
9	جغرافية المدن	حنزاز محمد، أنفلوس محمد ، صديق عبد الوهاب،	حنزاز محمد
10	الجغرافية الاقتصادية	محمد ايت حمزة، الأسعد محمد، أزهار محمد، بوعوينات أسماء، صديق عبد النور؛ محمد شيكر	بوعوينات أسماء أيت حمزة محمد
الجزء الثالث: التراب والبيئة والعولمة			
11	الإنسان والبيئة	فتوحي محمد ، شحو إدريس، باحو عبد العزيز، ، جمال الدين محمد، الطيلسان محمد، غزال محمد.	فتوحي محمد
12	الجغرافية السياسية والجيواستراتيجية	كرزازي موسى، المالكي موسى، النعايمي قاسم، جمال الدين محمد	كرزازي موسى
13	العولمة والمتروبولية	أنفلوس محمد	أنفلوس محمد
14	جغرافية إعداد التراب وتنظيم المجال	أنفلوس محمد، حنزاز محمد بوجداين مارية.	بوجداين مارية

أساسيات في الجغرافيا البشرية
دينامية الحواضر والأرياف







إشراف وتنسيق: محمد أيت حمزة، موسى كرزازي
عبد الكريم مرزوق ، عبد الرحيم العطري

ربيع العلوم الاجتماعية
SPRING OF SOCIAL SCIENCES
AUI EEC MOROCCO

International Sociological Association